

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



معهد الآثار

جامعة الجزائر 02

# تطوّر الزّوايا في المغرب الأوسط

من القرن 4هـ/10م إلى القرن 13هـ/19م

دراسة تاريخية أثرية

رسالة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية

إشراف الأستاذة الدكتورة: عائشة حنفي

إعداد الطالب: محمد خبيزي

2020/2019



## تطور الزوايا في المغرب الأوسط

من القرن 4هـ/10م إلى القرن 13هـ/19م

دراسة تاريخية أثرية

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية

إشراف الدكتورة: عائشة حنفي

إعداد الطالب: محمد خبيزي

### لجنة المناقشة

الأستاذ الدكتور عبد الكريم عزوق..... جامعة الجزائر 02 ..... رئيسا  
الأستاذة الدكتورة عائشة حنفي..... جامعة الجزائر 02 ..... مشرفا ومقررا  
الدكتورة هجيرة تيمليكشت..... جامعة الجزائر 02..... مناقشا  
الدكتور السعيد بوزرينة .....المركز الجامعي نور البشير بالبيض..... مناقشا  
الدكتور عبد الكريم خبزاوي..... جامعة محمد الشريف مساعديّة بسوق أهراس..... مناقشا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## الإهداء

أهدي هذا العمل إلى الوالدين الكَرِيمين حفظهما الله

إلى جميع الإخوة والأخوات من عائلتي حفظهم الله

إلى زوجتي التي صبرت معي لأتم هذا العمل حفظها الله

إلى ولدي طه إبراهيم الخليل حفظه الله

وإلى روح الدكتور علي حملاوي رحمة الله عليه

محمد خبيزي

# شكر و عرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا العمل العلمي

أتقدم للأستاذة الفاضلة الدكتورة حنفي عائشة - حفظها الله ونفع بها -  
بجزيل الشكر والعرفان على كل ما قدمته لي من توجيهات ونصائح ودعم

كانت نعم الأستاذة والمعلمة جزاها الله عنا خير الجزاء

وأشكر كل من ساهم وساعد وحفز ودعم

شكراً جزيلاً

# مقدمة

## مقدمة

تزخر الجزائر بزخْمِ هائلٍ من التّراث التّقافي المادّي الثّابت والمنقول وفي مختلف جوانبه المدنيّة والدينيّة والعسكريّة، الكثير منه قد أتت عليه عوامل التّلف المختلفة وضاع واختفى أو تبقى جزء منه، ومنه ما يزال قائمًا إلى اليوم شاهدًا على تعدّد الحضارات والتّقافات التي مرّت على أرض الجزائر، غير أنّ عوامل التّلف خاصّة الاستعمار قد هدم الكثير من المعالم خاصّة منها الدينيّة في محاولاته طمس الهويّة الإسلاميّة من الجزائر.

وعن الآثار الدينيّة الإسلاميّة في الجزائر فإنّها تزخر بالكثير من المعالم التي تعود إلى المراحل الأولى لفتح الإسلامي للمنطقة، منها المساجد والرّباطات والرّوايا والأضرحة والمزارات، خاصّة مع انتشار الزّهد والتّصوف كانت نتيجة حتميّة لظهور ما يُعرف بالخلوة والرّباط الذي تحوّل من الوظيفة العسكريّة إلى الوظيفة الدينيّة - كما يرى الكثير من المؤرّخين - وصولًا إلى الرّوايا التي تعدّدت بتعدّد الطّرق الصّوفيّة، ثمّ الأضرحة التي نتجت عن الفكر الصّوفي وانتشاره.

وعن انتشار الرّوايا في بلاد المغرب الأوسط فإنّها تعود إلى عصور متقدّمة من التّاريخ الإسلامي للمنطقة، وكانت تزداد هذه الظّاهرة أكثر فأكثر، وكما أشرنا سابقًا فإنّ الاستعمار قد دمر الكثير من هذا الإرث الديني التّقافي، ولم يبق منه إلّا القليل، خاصّة منه الذي يعود للفترة قبل دخول العثمانيين، إلّا أنّ مجموعة من الرّوايا لا تزال قائمة منها ما خضع لترميمات في بعض جوانبه، ومنها من رُمّم كليًا لكنّه لا يزال يحافظ على نمطه الأصلي، غير أنّ بعض التّرميمات العشوائية تحوّل المعلم الأثري عن أصله ممّا يجعلنا في إشكاليّة تحديد معطياته الأصليّة.

## أسباب اختيار الموضوع:

إنَّ أهمَّ ما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع للدراسة هو اهتمامنا بالزوايا كصرح علمي وثقافي ساهم في بناء الذاكرة الجزائرية في مختلف الفترات التاريخية خاصّة أوقات الأزمات سواء السياسية أو الإجتماعية وحتى الأزمات الطبيعية كالمجاعات، ثمَّ إنَّ هذا الإرث الثقافي كثرات مادّي نستقرأ من خلاله الكثير من الجوانب الحياتيّة من خلال دراسة وحداته العمرانية وعناصره المعمارية ومنظومته الزخرفية خاصّة منها الرّمزية، بالإضافة إلى أنّ مثل هذه المعالم في غالبها تتكوّن من مجموعة من الوحدات كالمسجد والضريح وبيوت الطلبة وقاعات الدراسة، فهي عبارة عن خلية اجتماعية بها كلُّ ضروريّات الحياة. ومن الأسباب أيضا:

- دافع مساهمتنا في المكتبة الجزائرية بمرجع في الدراسات حول الزوايا خاصّة منها مكتبة علم الآثار
- محاولة وضع خارطة كرونولوجية لانتشار الزوايا في الجزائر
- التوثيق للعديد من الزوايا قبل أن تطالها عوامل التلّف
- التعريف بالزوايا خاصّة منها المنتشرة في الأرياف والتي لا يكاد يسمع لها صوت على الرّغم ممّا تخرّج منها من الأئمّة والطلّبة والعلماء
- المساهمة في الحفاظ على التّراث الثقافي الجزائري.

كلّ هذه الدوافع والأسباب دفعتنا إلى البحث في موضوع الزوايا الذي قد بحث فيه قبلنا البعض من المختصين خاصّة في التّاريخ وعلم الاجتماع والشريعة وبعض المختصين في علم الآثار، وإن كانت بعض الدراسات العلمية القيّمة إلّا أنّها قليلة في هذا الحقل البحثي الذي يخبئ الكثير من الخبايا سواء في عمارتها أو في زخارفها ذات الرّمزية التي تحمل البعد الصّوفي، وكذلك ما تكتنزه من مخطوطات في خزائنها.

## إشكالية الدراسة:

انطلقنا في دراستنا لموضوع تطور الزوايا بالمغرب الأوسط دراسة نموذجية من إشكالية أساسية تتمثل في ماهية الزاوية من حيث مكوناتها العمرانية بداية بمخططاتها وهيكلها وموادها البنائية ومنظومتها الزخرفية، محاولين فهم أسباب وعوامل انبعاث هذه المؤسسة ومظاهر التحول في وظائفها وأدوارها وتوجهاتها من جهة، وما هي التحويلات الهيكلية والفنية التي طرأت على هذه المؤسسة منذ تأسيسها إلى غاية القرن 13هـ / 19م؟ وتفرعت عنها مجموعة من التساؤلات الفرعية أهمها:

- كيف كانت الإرهاصات الأولى لظهور وانتشار التصوف في المغرب الإسلامي؟
- وكيف كان تنظيمه؟ وهل كان للطرق الصوفية تأثير على مظاهر الحياة المختلفة؟
- وهل كان علم التصوف من أهم العلوم المتدارسة؟
- ثم ما هو دور الوقف في تشجيع التصوف؟
- ماهي دوافع تلك النقلة الوظيفية من الرباط إلى الزاوية؟
- ولماذا أصبحت الزاوية أهم وسائل التعليم في المغرب الأوسط ولو لفترات معينة؟
- ماهي الأنماط التي عرفتتها مؤسسة الزاوية ببلاد المغرب الأوسط؟
- هل كان لاختلاف الطرق الصوفية بالجزائر دور في اختلاف الهياكل العمرانية للزوايا؟

- ماهي العناصر المعمارية التي وفدت على "الزاوية" ومن أين؟
  - هل كانت الزاوية تتأثر بالأحداث السياسية من حيث هيكلها؟
- وللإجابة عن هذه التساؤلات من خلال المصادر والمراجع والآثار المادية ممثلة في النماذج المدروسة - كانت في نظرنا - كفيلا للوصول إلى نظرة شاملة حول " تطور الزوايا في

المغرب الأوسط من الناحية العمرانية والمعمارية والفنية"، ومن خلال الإجابة عنها نتوصل إلى مجموعة من النتائج نحدّد فيها ذلك التطور.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة للإجابة عن التساؤلات السابقة على المنهج التاريخي في سرد المعلومات التاريخية ومسار التصوف، والمنهج الوصفي في وصف معمار الزوايا المدروسة وما فيها من ملحقات معمارية، والمنهج التحليلي في تحليل المظاهر المعمارية وخاصة في الجانب الزخرفي.

وقد عالجتنا الموضوع من جانبين هما مكوّننا هذا العمل البحثي وهما:

### الجانب النظري:

قمنا فيه بجمع المعلومات والمعارف العلمية والوثائق التي لها علاقة بالموضوع، تمثّلت في المصادر والمراجع الكتابية وفي كثير من الأحيان الروايات الشفوية خاصة من شيوخ الزوايا أو القائمين عليها، هذا بالإضافة إلى الدراسات الحديثة التي لها علاقة بهذا الموضوع كالمقالات والرسائل والأطروحات الجامعية، كان هذا الجانب ضرورياً للإلمام بالموضوع قبل الدراسة التطبيقية.

### الجانب التطبيقي الميداني:

في الدراسة التطبيقية الميدانية قمنا بالعديد من الزيارات الميدانية لمجموعة من الزوايا منها ما وجدناه اندثر تماماً ولم يبقَ أيّ جزءٍ منه للدراسة خاصة الزوايا التي أنشئت قبل الفترة العثمانية، ومنها ما وجدناه خضع لبعض الترميمات، ومنها ما أعيد بناؤه وفق النمط الأصلي، ومنها ما بقيت على حالها، وبعد اختيارنا لمجموعة من النماذج للدراسة قمنا برفع المقاسات والصّور الرّقمية ومعاينة مواد البناء فيها، وقمنا بوصف المظاهر الخارجية والداخلية للزوايا بملحقاتها، ثمّ وضع المخطّطات العامّة لها، وتسجيل كلّ الملاحظات في الجانبين المعماري والزخرفي الفني، لنقوم بعدها بضبط المخطّطات من الناحية التقنية والقيام

بالتفريغات عند الحاجة لها، ثم قمنا بمعالجة الصور وفق ما تقتضيه الرسالة العلمية، وأخيرا ترتيب العمل وفق المنهجية المتبعة في العمل للوصول إلى مجموعة من النتائج.

### خطة البحث:

قمنا بتقسيم البحث إلى ما يلي:

### مدخل تمهيدي:

تناولنا فيه الإطار الجغرافي لبلاد المغرب الإسلامي عامّة والمغرب الأوسط خاصّة منذ الفتح الإسلامي إلى الفترة العثمانية وأهمّ التحوّلات خاصّة مع عدم ثبوت حدود معيّنة لكثرة الدويلات التي قامت، كما تطرّقنا لذكر أهمّ الأحداث التاريخية التي طرأت على الساحة.

### الفصل الأوّل: نشأة التصوف والطرق الصوفية وتناولنا فيه محورين:

**المحور الأوّل:** تناولت فيه التصوف من حيث المفهوم والظهور والانتشار إلى غاية وصوله إلى المغرب الإسلامي، وكذلك الحياة الصوفية أي الجانب الروحي في الحياة الصوفية وما يميّزها وما يختصّ به المتصوّفة.

**المحور الثاني:** تناولنا فيه الطرق الصوفية المنتشرة في المغرب الأوسط وعرّفنا ببعض الشخصيات التي كان لها الدور البارز في انتشار الطرق الصوفية.

### الفصل الثاني: التعليم في المغرب الأوسط وقسمناه إلى محورين:

**المحور الأوّل:** تطرّقنا فيه إلى أهمّ الوسائط التعليمية في المغرب الأوسط بداية من الكتاب والمدرسة والزاوية مع تقديم نماذج منها، ثمّ دور الرحلة وفضلها في نشر العلوم خاصّة منها التصوف، وكذلك الوقف ودعمه للحركة العلمية.

**المحور الثاني:** ودرسنا فيه انتشار التصوف في الحواضر العلمية ببلاد المغرب الأوسط

وتطرقنا إلى بعض الحواضر العلمية ببلاد المغرب الأوسط وهي: تلمسان - بجاية - إقليم توات، ثم أهم العلوم التي كانت تتدارس والتي من أهمها التصوف.

**الفصل الثالث: الحياة الصوفية بالمغرب الأوسط** قسّمناه إلى قسمين أساسيين:

**المحور الأول:** بدأنا فيه بالتطور العمراني للمؤسسات الصوفية بالمغرب الأوسط وذلك بالتطرق إلى النواة الأولى والتي هي الخلوة مع إعطاء مجموعة من النماذج المختلفة في بلاد المغرب الأوسط، ثم الرباط ودوره الجهادي ثم التعليمي مع تقديم نماذج ووصولاً إلى الزاوية.

**المحور الثاني:** تناولنا فيه نشأة الزاوية كمؤسسة مستقلة في المغرب الأوسط بذاتها مع ذكر أنواعها وفروعها، وكذلك مكّوناتها المعماريّة العامة.

**المحور الثالث:** تطرقنا فيه إلى إحصاء لأغلب الزوايا المنتشرة في ربوع الوطن وقصدنا منها الزوايا القديمة، وقسّمناها حسب الفترة الزمنية من خلال جداول تحتوي على: اسم الزاوية والمؤسس والموقع وسنة التأسيس.

**الفصل الرابع: دراسة نماذج من الزوايا** هذا الفصل بدوره قسّمناه إلى محورين:

**المحور الأول:** تناولنا الجانب التاريخي للزوايا المدروسة كنماذج وهي ستة زوايا موزعة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، تطرقت إلى أسباب ودواعي التأسيس وعن الظروف التي مرّت بها وللأسف أنّ أغلب الزوايا تعرّضت للهدم إمّا الكلي أو الجزئي.

**المحور الثاني:** تناولنا فيه التخطيط العام للزوايا، ثم قمنا بالدراسة الوصفية للنماذج المختارة للدراسة وصفاً دقيقاً في مظهرها الخارجي والداخلي كلّ زاوية على حدّ، ثم دراسة هياكلها العمرانية، وأخيراً في هذا الفصل دراسة العناصر المعماريّة الموجودة بالزوايا المدروسة.

**الفصل الخامس: مواد وتقنيات البناء والزخرفة** وهو آخر فصل في هذه الدراسة ويتكون من قسمين:

**المحور الأول:** وتطرّقنا فيه لمواد البناء التي استعملت في هذه العمائر الدينية وهي مختلفة كثيراً لأنّ الطّبيعة الجغرافية للزّوايا محلّ الدراسة مختلفة ومتباعدة ولكلّ منطقة خصائصها المناخية، وكذلك تقنيات البناء والتّسقيف.

**المحور الثاني:** ودرسنا فيه الجانب الزّخرفي والفنّي للزّوايا المدروسة وتقنيّات تنفيذ الزّخارف وتأويلاتها خاصّة في الفكر الصّوفي.

وفي آخر هذا العمل اختتمناه بمجموعة من النّتائج التي توصلنا إليها بعد الدّراسة والوصف والتّحليل، كما دعّمنا البحث بمجموعة من الصّور والخرائط والوثائق والمخطّطات.

مدخل تمهیدی

## الفصل التمهيدي

تُعتبر بلاد المغرب الإسلامي من بين أهمّ السّاحات التّاريخية التي حَمَلت لواء الإسلام منذ القرن الأول للهجرة، وهي من أهمّ الوجهات للفتوحات الإسلامية خاصة وأنها مثّلت حلقة وصل بين بلاد المشرق وبلاد الأندلس أي الغرب الإسلامي، وباعتبار المغرب الأوسط جزء مهما من هذه الرّقعة الجغرافية فلم يكن بمنأى عن الأحداث التّاريخية للغرب الإسلامي، بل كان فاعلاً أساسياً في أهمّ الأحداث والتحوّلات.

فعند محاولتنا دراسة أي جانب من جوانبه التّاريخية والاجتماعية والثقافية والسياسية أو غيرها من جوانب الحضارة، فإنّه لا يمكننا التعرف على تطورات المغرب الأوسط إلا باستقراء المظهر الجغرافي لهذه البلاد وتعيين حدود الدراسة لكل فترة، فالمغرب الأوسط عبر تاريخه خاصة العصر الوسيط قد تقلب في أطوار عديدة وحكمته دويلات مختلفة، تداولت عليه بين القوة والانحطاط والتوسع والانحسار ولم تثبت حدوده خاصة منها السياسية، تلك التقلبات (السياسية وحتى المذهبية) كانت كفيلة بتكيف تشكيلته الطبيعية، وظهرت عن هذا التكوين (المتغير) نتائج على كل الأصعدة الحضارية.

### أولاً: جغرافية المغرب الأوسط

إنه لمن الصعب علينا أن نحصر الحدود الجغرافية لبلاد المغرب عموماً والمغرب الأوسط خصوصاً دون الرجوع إلى المصادر الكتابية لكل فترة من الفترات التي مرّ بها المغرب، بالإضافة إلى الرّحلات وما كتبه الجغرافيون، لأنّ الظروف السياسية هي التي تتحكّم في رسم تلك الحدود، ومن خلال تلك الكتابات التّاريخية وخاصة ما توثّق لنا بعض المصادر المادّية يمكننا أن نعطي فكرة مُجمّلة حول الوحدة الجغرافية العامة أو الخاصة. وممّا يبرز في الكتابات الكلاسيكية حول تحديد بلاد المغرب هو التضارب بين هذه الكتابات حول منطقة جغرافية مضبوطة من حيث التحديد المفهومي: "بلاد المغرب"

## الفصل التمهيدي

لكنها تظل غامضة من حيث المضمون الدلالي، وتبرز صعوبة وضع حدود مضبوطة كأهم إشكالية تعرقل هذه الدلالة، لذا نؤوّه منذ البداية إلى أنّ مفهوم "الحدود" وتطوره عبر التاريخ يحتاج لدراسة مفصلة مختصة حتى نتمكن من استيعاب بلاد المغرب (كوحدة يقصد بها التجانس)، وتطور الحدود بين بلدانها المختلفة (الأدنى-الأوسط-الأقصى).<sup>1</sup>

وتعد الحدود الجغرافية للمغرب الأوسط ضمن خارطة المغرب الإسلامي في العهد الوسيط مسألة معقدة يصعب الفصل فيها، وذلك لعدم استقرارها على وضع مُعيّن بفعل ديمومة حركة القبائل البربرية والعربية، وحالة القوة والضعف للدول التي تعاقبت على حكمه ودورها في استثمار هذه القبائل لخدمة أغراضها السياسية والعسكرية، ودعواتها المذهبية ومطامعها الإقتصادية رغبة في التوسع والسيطرة والهيمنة.<sup>2</sup>

وبالعودة إلى صفحات التاريخ فإننا نجد أنّ مصطلح "المغرب" يرتبط بعصر الفتنة بين علي ومعاوية أي قبل منتصف القرن الأول الهجري، ويظهر أنه استعمل في هذه الفترة للدلالة على الجزء الغربي من العالم الإسلامي الذي كان يشمل مصر بملحقاتها، والشام وما جاوره ويقابله من الناحية الأخرى المشرق الإسلامي الذي كان يشمل العراق وفارس وما وراء النهر،<sup>3</sup> خاصة عندما ولّى معاوية بن أبي سفيان عقبة بن نافع سنة 50هـ/670م<sup>4</sup>، فارتأى أن يُفرد إفريقية والمغرب كقسم إداري قائم بذاته من أقاليم الدولة

<sup>1</sup> عبد العزيز غوردو، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ط2، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 2011، ص9

<sup>2</sup> الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6هـ/7هـ 12م/13م، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2004، ص 29

<sup>3</sup> موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 15

<sup>4</sup> ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج س كولان و إيفيروفنسال، ج01، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص 19.

## الفصل التمهيدي

الإسلامية وخاصة بعد بناء مدينة القيروان التي ستكون مستقرّ المسلمين وقاعدة بلاد المغرب.<sup>1</sup>

لكننا حين نحاول ضبط الحدود الجغرافية للمغرب، فيكادُ يُجمع المؤرخون والجغرافيون على أنها تمتدّ من طرابلس شرقاً إلى البحر المحيط غرباً، ومن البحر الرومي شمالاً إلى بلاد السودان جنوباً، وهي حدود ولاية جرجير البيزنطي التي وجدها العرب عند دخولهم المنطقة ولو من الناحية النظرية، لأن سلطان البيزنطيين الحقيقي كان محصوراً في المناطق الساحلية الشرقية لبلاد المغرب<sup>2</sup>، وهو ما بقي إلى غاية القرن 4هـ/10م، إذ اعتبر المهتمون بالجغرافيا والرحلة من المسلمين أنّ المغرب ما يقابل المشرق من البلاد<sup>3</sup>.

ويمكننا أن نستعرض مآذره الجغرافيون القدامى في تحديد وضبط حدوده الجغرافية:

- فهو عند الإصطخري (ت 345 هـ) في المسالك والممالك - المغرب - نصفان: " ... نصف من شَرْقِيَّه ونصف من غَرْبِيَّه، فأما الشَّرقي فهو بُرقة وإفريقية وتاهرت وطنجة والسّوس وزُويلة وما في أضعاف هذه الأقاليم، وأما الغربي فهو الأندلس وقد جمعتهما في التّصوير فأما الجانب الشَّرقي فإنّ الذي يحيط به من شَرْقِيَّه حدُّ مصر بين الإسكندرية وبُرقة من حدِّ بحر الروم، حتى يمضي على ظهر الواحات إلى برّية تنتهي إلى أرض النُّوبة، وغربيّه البحر المحيط ممتداً على حدّه، وشمالِيّه بحر الروم الذي يأخذ من بحر المحيط، يأخذ من حدِّ مصر على ما يحاذي برقة إلى طرابلس المغرب، ثم إلى المهدية ثم إلى تونس ثم إلى طبرقة ثم إلى تنس ثم إلى جزيرة بني مزغنا، ثم إلى ناكور ... إلى السوس الأقصى، ثم

<sup>1</sup> عبد القادر بوباية، امحمد بو شريط، مصطفى باديس أوكيل، مصادر ومراجع تاريخ المغرب الأوسط (الجزائر)،

crasc، ص 16

<sup>2</sup> نفسه، ص 16

<sup>3</sup> محمد محمد زيتون، المسلمون في المغرب والأندلس، المكتبة الإسكندرية، مصر، 1990، ص 05

## الفصل التمهيدي

يمتد على برية ليس وراءها عمارة، وجنوبيه رمل من حد البحر المحيط حتى يمتد من وراء سجلماسة إلى زويلة، ثم يمتد إلى ظهر الواحات من أرض مصر، وأمّا الأندلس فإنه يحيط به ممّا يلي البحر المحيط من حدّ بلد الجلالقة، على كورة يقال لها شنترين، ثم إلى أخشنة إلى إشبيلية ثم إلى سدونة ثم إلى جزيرة جبل طارق ثم إلى مالقة ثم إلى بجانة ثم إلى بلاد مرسية ثم إلى بلاد بلنسية ثم إلى طرطوشة ثم يتصل ببلاد الكفر مما يلي البحر ببلاد الإفرنجة، ومما يلي البر ببلاد علسكس ثم بلاد بسكونس ثم ببلاد الجلالقة حتى ينتهي إلى البحر<sup>1</sup>.

- أمّا ابن حوقل (ت 367 هـ / 977 م) فيضع نهر النيل هو الحد الطبيعي الجغرافي الذي يفصل بلاد المشرق وبلاد المغرب، ويرسم الخريطة الجغرافية لبلاد المغرب على النحو التالي: "وأما المغرب فهو ممتد من بحره الروم ولبحره عمارتان تنقسم بنصفين فنصف من شرقي هذا البحر للعرب والروم ونصف من غربيه، وأمّا الغربي فمن مصر وبرقة إلى إفريقية وناحية تنس إلى سبتة وطنجة فللعرب خاصة وأزيلي وما في أضعاف هذا الإقليم، وأمّا الشرقي فهو بلد الروم من حدود الثغور الشامية إلى القسطنطينية إلى نواحي رومية وقلورية والإنكبردة والإفرنجة وجليقية ثم باقي ذلك إلى آخره للعرب في أصحاب يد الأندلس ... وأمّا الجانب الغربي فإنّ حدّه المحيط وممتدا إلى حقيقة المغرب، ثم يستمر إلى الشمال ثم إلى فوهة بحر الروم التي تأخذ من البحر المحيط بنواحي طنجة وأزيلي يحاذي أرض الأندلس المذكورة المحاذية لبلد الروم وأرض صقلية، ثم تمتد أرض الأندلس على البحر فتواجه من أرض المغرب تونس وهكذا إلى طبرقة إلى جزائر بني مزغنان إلى تنس إلى وهران إلى نكورة إلى سبتة ثم إلى

<sup>1</sup>أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخرى الكرخي، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 2004، ص 36

## الفصل التمهيدي

أزيلي ثم البحر المحيط الجنوب فيمّر على ماسة ومغارب سجلماسة وظاهر السوس الأقصى ويمتدّ على ظواهر أودغشت وغانة وكوغة وقبول سامة وغيارو...<sup>1</sup>.

- أمّا المقدسي (336هـ - 380هـ/974م-990م) فقد أطلق كلمة المغرب على كلّ ما يلي مصر من الأقاليم بداية من برقة إلى إفريقية إلى تاهرتوسجلماسة والأندلس وبضيف إليهم صقلية، ويقول في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم": "... فأول كورة من قبل مصر برقة ثم إفريقية ثم تاهرت ثم سجلماسة ثم فاس ثم السّوس الأقصى ثم جزيرة إصقلية تقابل إفريقية والأندلس وراء البحر على أرض الروم وناحيتان لفاس طنجة والزّاب."<sup>2</sup>

- وفي القرن 5هـ/11م ذكر البكري أن بلاد المغرب أو إفريقية حدّها: "من برقة شرقا إلى طنجة الخضراء غربا واسم طنجة موريطانيا وعرضها من البحر إلى الرمال التي هي أول بلاد السودان وهي جبال ورمال عظيمة متّصلة من الغرب إلى الشرق"<sup>3</sup>.

- أما الشريف الإدريسي (ت 559هـ/1166م) فيحدّد بداية ونهاية المغارب الثلاثة صراحة وضمنا عندما يذكر<sup>4</sup> في "وصف إفريقيا الشّمالية" يقول: "أنّ مدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد، التي قد تمتدّ حتى

<sup>1</sup>أبي القاسم ابن حوقل، المسالك والممالك، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبع بريل، 1873م، ص 43

<sup>2</sup> شمس الدّين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الشامي المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، 1906م، ص 216

<sup>3</sup> أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشر البارون دوسلان، باريس، 1965، ص 28

<sup>4</sup> موسى لقبال، المرجع السابق، ص 15

## الفصل التمهيدي

طبرقة، وأن بلاد تلمسان بإمداداتها هي قفل بلاد المغرب"<sup>1</sup>، ومعنى هذا أن ما وراء ذلك شرقا هو المغرب الأدنى أو إفريقية، وما وراء حد تلمسان غربا هو المغرب الأقصى الذي ينتهي عند مضيق الزقاق<sup>2</sup>.

- وعبد الواحد المراكشي (581هـ - 647هـ / 1185م - 1250م) صاحب "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" يقول: "أول حد بلاد إفريقية والمغرب مدينة انطابلس المذكورة المدعوة بركة، فأول بلاد المغرب ممّا على ساحل بحر الروم مدينة انطابلس المعروفة ببرقة وآخرها ممّا على ساحل البحر الأعظم مدينة طنجة"<sup>3</sup>.

- أمّا عند القلقشندي (ت 821هـ) في "صبح الأعشى" نجد حدّ المغرب الأوسط من جهة الشرق مملكة إفريقية وما أُضيف إليها من ناحية الغرب، وحدّه من شمال البحر الرومي، وأما من الغرب مملكة فاس ومن جهة الجنوب المفاوز الفاصلة بين المغرب وبلاد السودان.<sup>4</sup>

- غير أن ابن خلدون جمع بين آراء سابقيه، وأعطى تحديدا جغرافيا أقرب إلى التمكن من ضبطه، وأعطى الحدود التي عايشها واستقرت على عصره، حيث يقول ابن خلدون: "المغرب قطر واحد مميّز بين الأقطار فحدّه من جهة الغرب

<sup>1</sup> الشريف الإدريسي، وصف إفريقية الشمالية والصحراوية، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، اعتنى بتصحيحه هنري بيري، دار الكتب، الجزائر، 1957، ص 63

<sup>2</sup> موسى لقبال، المرجع السابق، ص 15

<sup>3</sup> عبد الواحد بن علي التميمي محيي الدين المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الاندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 2006، ص ص 254/250

<sup>4</sup> أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، صبح الأعشى، ج 05، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1955، ص 149

## الفصل التمهيدي

البحر المحيط...، وأمّا حدّه من جهة الشمال فالبحر الرومي...، وأمّا حدّه من جهة القبلة والجنوب فالرّمال المتهيلّة المائلة حجزا بين بلاد السودان وبلاد البربر، وتُعرف عند العرب الرحالة البادية بالعرق...، ومن دون هذا العرق سياج آخر على المغرب مما يلي التّلول منه، وهي الجبال التي هي تُخوم تلك التّلول من لدن البحر المحيط في الغرب إلى برنيق من بلاد برقة".

أمّا في الدّراسات الحديثة والمعاصرة، فتَحظّر مسألة المعالم الجغرافية لبلاد المغرب الأوسط ضمن بلاد المغرب الإسلامي كإشكال من الإشكالات الغامضة المثيرة للجدل لدى الباحثين<sup>1</sup>، فسالت الكتابات بشكل كبير في محاولات أكاديمية لضبط الحدود الجغرافية اعتمادا على المصادر الكتابية أو الأثرية، وكذا من خلال استقراء الأحداث السياسية التاريخية بهذا القطر الجغرافي، غير أنّه لا جدال كبير في مسألة حدوده الغربية بالقدر الذي هو في محاولات ضبط الحدود الشرقية.

وقدصرّح أبو القاسم سعد الله بأنّ الجزائر إلى غاية القرن (9هـ/15م) لم تكن لها الحدود المعروفة حاليا، ولم تكن تعني الحدود الجغرافية للجمهورية الجزائرية الحالية". ذلك أن الحدود السياسيّة لجزائر القرن التاسع لم تكن مضبوطة وثابتة، وكلمة الجزائر عندئذ لم تكن تطلق إلّا على مدينة ساحلية صغيرة قليلة الأهمية، ولم تكن تعني بأيّة حال (القطر الجزائري) المعروف الآن، فهذا المفهوم لكلمة الجزائر لم يُصبح معروفا إلّا منذ القرن العاشر أي أثناء الحكم العثماني، بل إنّ عبارة (المغرب الأوسط) التي أطلقها العرب المسلمون لم تكن تعني بالضبط حدود الجزائر الحالية لأن هذه العبارة وأمثالها (المغرب الأدنى، المغرب الأقصى) كانت غامضة غموض حدود الإمارات الإسلامية التي

<sup>1</sup> عبد القادر بوعقادة، "هل المغرب الأوسط خرافة"، مجلة عصور جديدة، جامعة وهران 01 أحمد بن بلة، ع 22/21،

## الفصل التمهيدي

تعاقت على حكم المغرب العربي<sup>1</sup>. فلم تعرف هذه الحدود أي استقرار يُثبت الإمتداد ويضبط خارطة للمغرب الأوسط، بل كانت الأحداث السياسية هي التي تفرض التغييرات من حين لآخر. وهو ما ذهب إليه عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: "الجزائر اسم عربي صميم لعاصمة الوطن وأمّ القطر، ولم يكن ليطلق هذا الإسم على الإقليم كلّهُ إلا منذ العصر التركي فقط، (القرن العاشر الهجري) السادس عشر ميلادي، أما قبل ذلك فقد كان يعرف عند العرب بالمغرب الأوسط، ذلك لتوسطه بين المغربين..."<sup>2</sup>.

في حين نهض الطاهر بونابي قاصدا إزالة الغموض من خلال أطروحتهحول التصوف في الجزائر، فتتبع انتماءات النخبة (العامة والمتصوفة)، معتمدا بذلك مقياسا آخر لتحديد مجال المغرب الأوسط والمتمثل في رصد العلماء والفقهاء وذوي المكانة في المجتمع، حيث ساير كتب الطبقات والتراجم والمناقب. وأقرّ بامتداد حدود المغرب الأوسط من بلاد العنّاب شرقا إلى تلمسان غربا إلى صحراء توات جنوبا، واستند على "الغبريني" فركّز على المجال بذكره تراجم تُنسب إلى بونة وبجاية وقسنطينة وبسكرة وقلعة حماد والمسيلة والجزائر ودلس ومليانة ووهران وتلمسان.<sup>3</sup>

فمن المعلوم أنّ البحث عن الأبعاد الجغرافية لبلاد المغرب الأوسط في المراحل الأولى من العصر الوسيط معضلة تتطلب جلدا وصبرا لأجل تفكيكها وتوضيح معالمها، ذلك أن البحث عن مادة المسألة فيما قبل القرن الرابع للهجرة (10م) تواجهه صعوبات جمّة، خصوصا مع بروز بعض النصوص التي تحمل التأويل الدائم، كما أن التداخل بين

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1500-1830، ج1، ط01، دار الغرب الإسلامي، 1998، بيروت، ص ص40/39

<sup>2</sup> عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج01، منشورات دار مكتبة الحياة، الجزائر، 1965، ص 35

<sup>3</sup> عبد القادر بوعقادة، المرجع السابق، ص 62.

## الفصل التمهيدي

الكيانات قد أثمر بقوة على تحديد المجال الجغرافي ناهيك عن فترات الإضطراب التي شهدتها المنطقة.<sup>1</sup>

ومنتهى القول أن بلاد المغرب أُطلقت عليها عدّة تسميات بفعل التواكب التاريخي الذي عرفته هذه المنطقة سواء من حيث الدلالات الجغرافية أو التاريخية، والحقيقة أن كل اسم أو مصطلح عرفت به بلاد المغرب ارتبط بظروف تاريخية وعصور معينة، ومن جهة أخرى إذا كان الجغرافيون قد اختلفوا في تحديد الرّسم الجغرافي الدّقيق للمغرب، فإنّنا نخلص إلى القول بأنّ بلاد المغرب من الناحية التاريخية هي كل المناطق التي كان يقيم فيها عنصر البربر من غرب مصر إلى السّواحل الغربية المطلّة على بحر الظّلّمات (المحيط الأطلسي)، مروراً بالحدود الشمالية لما يعرف بالصّحراء الكبرى، فبلاد المغرب جغرافياً هي رديف لبلاد البربر تاريخياً وعرقياً.<sup>2</sup>

وبناءً على ذلك فإن المغرب الأوسط بحدوده الجغرافية والسياسية غرباً وشرقاً صار حلقة وصل بين أجزاء المغرب الإسلامي وما خلفه من البلاد، فهو يصل ولاية إفريقية (تونس) وما وراءها بالمغرب الأقصى وما جاوره من البلدان وهذا يؤثّر على أن إقليم المغرب الأوسط هو بمثابة جسر ومعبّر لكل ما هو سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي أو ثقافي.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> عبد القادر بوعقادة، المرجع السابق، ص 69

<sup>2</sup> محمد عليلي، الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي خلال القرنين 1 و3هـ / 7 و9 م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، 2016/2015، ص14.

<sup>3</sup> خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، دراسة تاريخية وحضارية، 633هـ/681هـ الموافق ل 1235م/ 1282م، ط1، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2011، ص 34

### ثانيا: لمحة تاريخية حول المغرب الأوسط في العصر الوسيط

يُعتبر المغرب من بين أهمّ الأقطار التي كانت وجهة للغزاة وهذا لحضارته العريقة، وكذا ثراوته التي لا مثيل لها من حيث الوفرة، لذلك نجد أن الحضارات تعاقبت عليه من الفينيقيين إلى القرطاجيين، إلى الرومان فالوندال وصولا إلى البيزنطيين الذين أعادوا مجد الدولة الرومانية، وقد رأى العرب المسلمون أنّ فتح مصر والشام لا يتمّ إلا بتأمين حدودهم الغربية وطرد الرومان منها لذلك نجدهم قد تحركوا إلى بسط نفوذهم في المنطقة، وهذا لنشر راية الإسلام وتحريراً لأبناء هاته المنطقة التي عانت من ويلات الإستغلال والإستعمار لقرون عديدة، وانتشر الإسلام بذلك وظهرت دول عديدة من رحم المنطقة ساهمت في التاريخ الإسلامي والإنساني كافة.

#### 1- الفتح الإسلامي للمغرب :

ممّا لا شكّ فيه أنّ دراسة حركة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، تعتبر مهمة صعبة للغاية، لأنّ هذا اللون من الدراسات يحتاج إلى المعرفة الواسعة وتفحص المصادر العربية القديمة، التي نجد فيها المادة التاريخية متناثرة هنا وهناك، فهي إذن تحتاج إلى غزلة وإحصاء جديدين بهدف تصنيف المعلومات التاريخية، التي كثيرا ما نجدها في المؤلفات الحديثة بنفس الصيغة، دون تحليل ونقد أو محاولة وضعها في منظور جديد، خصوصا وأنّ مثل هذه الدراسات تتطلّب إدراكا واعيا وفهما دقيقا تجاه هذه الحركة، والصّعاب التي واجهت الفاتحين لهذه البلاد.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> بن قرية يوسف الصالح، سامية بوعمران، خالف محمد نجيب، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007،

## الفصل التمهيدي

وقد كان من الطبيعي المعقول أن يُتابع العرب فتوحاتهم بشمال إفريقيا بعدما فتحوا مصر والشام وغيرها من ممتلكات امبراطورية بيزنطة، والجزائر يومئذ هي ضمن هذه الإمبراطورية التي غزاها العرب في الشرق، فكان لزاما على الدولة الإسلامية الناشئة ومن واجبها السياسي أن تستمر على خطتها في الفتح وتُتابع ممالك الدولة المغزوة حيثما انتشرت في الأرض وانبسط سلطانها في المعمورة، وذلك توطيدا للإمبراطورية الإسلامية الناشئة يومئذ في الشرق، وإتماما لسلسلة الفتوحات العربية، فقد كُتِبَ على العرب الفاتحين أن يَصْطَدِمُوا بالروم في المغرب كما اصطدموا بهم في المشرق<sup>1</sup>.

ونُلاحظ أن الفتح الإسلامي للمغرب قد مرَّ بمراحل عديدة، وهذا لعدة ظروف منها اتساع الإقليم جغرافيا ومقاومة الروم الذين كانوا يُسيطرون على هذا الإقليم، ومن بين الظروف التي صعَّبت المهمة هي الأحداث والفتن التي عصفت في المشرق والتي أجلت الفتح لسنوات عديدة، ويُمكننا أن نقسّم عملية الفتح إلى مراحل حسب حملات القادة وكذا السنوات:

### 1-1- حملة عمر بن العاص رضي الله عنه (23هـ / 644 - 24هـ . 645م)

بعدما استتبَّ الأمر للعرب المسلمين في مصر بعد معاهدة الإسكندرية مع الرومان وهذا في 16 شوال 21هـ / 17 سبتمبر 642م، واستطاعوا بذلك تثبيت أركان الدولة فيها، قاد عمر بن العاص أول حملة له على إقليم برقة في ليبيا سنة 22هـ/643م، والتي كانت في وقتها تابعة لأملاك مصر البيزنطية، ثم نجده في سنة 23هـ/644م يقود حملة أخرى على إقليم طرابلس، وكان سكانه من قبيلة نفوسة وحلفائهم من الروم، وفتح بذلك عاصمته طرابلس.

<sup>1</sup> عبد الرحمن الجبالي، المرجع السابق، ص 120

## الفصل التمهيدي

### 1-2- حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح 27هـ . 648م

يُعتبر القائد عبد الله بن أبي سرح القائد الثاني الذي قام بحملة على المغرب وكذلك يُعتبر الحاكم الثاني لمصر بعد عمر بن العاص - رضي الله عنه -، وقاد الحملة الثانية على بلاد المغرب، واتَّجه نحو مدينة سبيطلة بجيش قوامه عشرين ألف أغلبهم فرسان، وضمَّ الجيش عددًا من أبناء الصحابة على رأسهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير -رضوان الله عليهم-، وقد انضمَّ لهذا الجيش العديد من أبناء القبائل البربرية، فشكَّلوا بذلك جيشًا واحدًا ضدَّ الهيمنة الرومانية وانتصروا في معركة سبيطلة ( 28هـ/ 649م ) وانهار الجيش الروماني.

### 1-3- حملة معاوية بن حديج السكوني ( 45هـ / 665م)

منذ حملة عبد الله بن أبي سرح على المغرب توقَّفت الحملات للمغرب، وهذا لانشغال المسلمين بالفتنة بعد مقتل الخليفة الرَّاشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ( 36هـ/ 656م)، وبعد استتباب الأمر للخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ( 41هـ/ 661م)، وبعد مساعي البيزنطيين لاسترجاع هيمنتهم على المغرب، أرسل الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه - القائد معاوية بن حديج في سنة 45 هـ/ 665 م وانتصر المسلمون، لكنَّهم رجعوا إلى مصر ولم يُبْنُوا سلطانهم في المنطقة.

### 1-4- ولاية عقبة بن نافع الأولى ( 50هـ . 55هـ / 670م . 675م )

يُعتبر القائد عقبة بن نافع الفهري من أكثر القادة الذين ساهموا في نشر الإسلام بالمغرب، بل نستطيع أن نقول أنَّه الفاتح الذي استطاع تثبيت أركان الدولة الإسلامية، ونشر الإسلام في ربوع المغرب، وكذلك يعتبر أول وال عليها، وقد اختاره الخليفة معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - كقائد لجيش المسلمين وكذلك كوالي على إفريقية، وهذا

## الفصل التمهيدي

لدرابته بالمنطقة كونه قد ترعرع في نواحي فزان\* بعد أن جاء مع أبيه القائد نافع بن عبد القيس الفهري، وبذلك فقد اختار الخليفة الرَّجل الكُفَى لإتمام وتثبيت الفتح في إفريقية، وقد قاد الجيش الإسلامي سنة 50 هـ/670م، ووصل بجيشه إلى سواحل البحر المتوسط من جهة إفريقية (تونس حالياً)، واتَّخذ عاصمة للمسلمين قرب الموقع الذي جرت فيه المعركة الشهيرة مع الروم بسببيلة، وقد سمَّيت المدينة الناشئة بالقيروان، فكانت أوَّل عاصمة للمسلمين في المغرب، والنَّواة الأولى التي انطلقت منها فتح المسلمين للمغرب كله.

### 1-5- ولاية أبي المهاجر دينار: (55هـ . 675م / 62هـ . 682م )

تُعتبر ولاية أبي المهاجر دينار والذي خلف عقبة في حُكم ولاية المغرب، مرحلة فاصلة في تاريخ المغرب الإسلامي حيث أنّ هذا القائد قد جاء بسياسة جديدة تمثلت في تقريب قادة القبائل البربرية منه، ممَّا أدَّى إلى الانتشار الواسع للإسلام في المنطقة.

### 1-6- ولاية عقبة بن نافع الثانية 62هـ . 64هـ / 681م . 683م

يرجع الفضل إلى عقبة بن نافع في توطيد أركان الحكم الإسلامي في شمال إفريقيا، وخاصة بعد تأسيس مدينة القيروان سنة 55هـ/674م التي اتَّخذها في مكان بعيد عن البحر لكي يتجنَّب خطر الأساطيل الرومانية التي كانت تجوب البحر المتوسط، وقد أسَّس جامعاً في وسطها إلى جانبه دار الإمارة، وكانت المدينة محاطة بسور يتخلَّله أربعة عشر باباً، كما انتصر على الكاهنة البربرية "داهية" التي كانت تحكم قبائل البتر البربرية في بعض المعارك، إلَّا أنَّه لم يستطع القضاء عليها، وظلَّت تُغيِّر على قبائل البرانس، لذلك استجدوا بحسان ابن النُّعمان الذي تمكَّن من قتل الكاهنة.<sup>1</sup>

\* فزان: منطقة تاريخية في الجنوب الغربي من ليبيا الحالية.

<sup>1</sup> صلاح أحمد البهنسي، عمارة المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، راجعه أحمد عبد الرزاق أحمد، كلية الآداب،

جامعة عين شمس، ص 08

## الفصل التمهيدي

وقد استطاع العرب المسلمون ببسر وسهولة وفي وقت قصير جداً أن يفرضوا سيطرتهم السياسية على هذه البلاد ويندمجوا مع سكانها الأمازيغ، ويؤثروا فيهم بفضل المبادئ السّمة للدين الإسلامي الجديد الذي جاؤوا به ومن أجله إلى هذه البلاد، وأعاد هذا الاندماج السريع بين المسلمين الوافدين الجدد وبين سكّان هذه البلاد الأصليين، الوحدة الوطنية والقومية للإقليم وأزالت ذلك التشتت والتمزق اللذين خلفهما العهد البيزنطي السّابق، والروماني قبله، وبذلك انسجمت الوحدة الجغرافية والتاريخية للإقليم مع الوحدة السياسية والدينية واللغوية الجديدة<sup>1</sup>.

غير أنّ بعض قادة الحملات اهتموا منذ بداية وصولهم إلى إفريقيا باختيار مكان مناسب ينزل فيه الجند بحريهم وذراريهم وأثقالهم ويضربون فيه خيامهم ويجتمعون فيه كلّما انتهت الحرب ريثما يرجعون إلى المشرق<sup>2</sup>.

أمّا فكرة بناء قاعدة ثابتة وترك حامية عربية لحراسة ما وفق المسلمون إلى فتحه فلم تظهر بين مشروعات القادة الأوّلين، وأوّل من اختار قيروانا للنزول فيه هو معاوية بن حديج الذي لاحظنا أنّ استراتيجيته الجديدة تعتبر إرهاباً حقيقياً لما تمّ فعلاً في عصر عقبة بن نافع الفهري، الرّجل الذي غير وجهه الحرب المغربية تغييراً كبيراً فسعى ونجح في تمكين العرب من المغرب<sup>3</sup>.

فاستحسن جنوده الفكرة وتحمّسوا لبناء معسكر يأويهم وقاعدة ثابتة ينطلقون منها لمزاولة نشاطهم العسكري والتّبشيري وإخضاع القبائل المخالفة ومقاومة الروم والأفارقة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثّقافة في الجزائر، ج01، ط01، دار الغرب الإسلامي، 1995، الجزائر، ص 10

<sup>2</sup> موسى لقبال، المرجع السابق، ص 28

<sup>3</sup> نفسه، ص 29

<sup>4</sup> نفسه، صص 29/30

## الفصل التمهيدي

وقد استطاع بذلك القائد عقبة بن نافع أن يكون فاتح المغرب، وخاصة في طريقة استشهاده وبسالته في القتال مع قلّة من جنوده وهذا في تاهودتبسكرة سنة 64هـ/684م، حيث ترك استشهاده أثراً كبيراً في نفوس البربر الذين عُرفوا ببسالتهم وتضحياتهم، فكان لحياته وموته أثرٌ في نشر الإسلام في المغرب.

### 1-7- ولاية زهير بن قيس البلوي (68هـ . 70هـ / 687 . 689م )

بعد استشهاد القائد عقبة بن نافع الفهري انسحب ماتبقّى من الجيش الإسلامي إلى برقة في أقصى شرق ليبيا، وبقي ينتظر الإمدادات من الشرق، إلا أن الفتن في المشرق التي عصفت بالدولة الأموية ووفاة الخليفة الأموي الرابع مروان بن محمد أخرت تلك الإمدادات عن القدوم، وبعد اعتلاء عبد الملك بن مروان سدة الحكم في دمشق واستقرار الأمور له في سنة 68هـ/688م، قام بإرسال جيش قوي بالإضافة إلى الأموال من مصر إلى القائد زهير وأمره بالتّحرك إلى المغرب وفعلاً تحرك الجيش، وكان في انتظاره جيش عظيم من بقايا الروم وقبائل البربر يقودهم كسيلة، ف وقعت معركة من أشدّ المعارك في المغرب قُتل فيها الكثير، إلا أن المسلمين انتصروا ودخلوا القيروان في سنة 69هـ/689م، وفي طريق عودته استشهد مع عدد قليل من جيشه بعد هجوم الروم عليهم، فأصاب الفتح في المغرب نكسة جديدة.

### 1-8- حملة حسان بن النعمان الغساني (71هـ . 85هـ / 690م . 704م)

حسان بن النعمان الغساني من بني غسان، أصله من أشراف العرب، اختاره الخليفة عبد الملك بن مروان ليكون قائداً للجيش الذي أرسله للمغرب سنة 71هـ/691م، وقام بعدة حملات لتوطيد حكم الإسلام، والتقى جيشه بالبربر في معركة حاسمة سنة 74هـ/694م، وقد أبلى فيها الجيش الإسلامي بلاءً حسناً وانتهت بانتصارهم الساحق،

## الفصل التمهيدي

وبدأ بعدها في تنظيم الولاية وقام بالإستيلاء على مدينة قرطاجنة آخر معقل للروم في المغرب.

### 2- بناء الدولة الإسلامية في المغرب وظهور الدول المستقلة

لقد عرف المغرب الإسلامي في بداية عهده تنظيمًا إداريًا خاصًا به، حيث أنّ المسلمين حينما دخلوا مصر وفارس والشّام وجدوا تنظيمات إدارية سابقة لهم، أمّا بخصوص المغرب فوجدوا قبائل متعدّدة كانت تشبه لحد ما القبائل العربية في الجزيرة العربية، لذلك نجد أنّ المغرب قد بقي وحدة كاملة عاصمته القيروان وتتبع الخلافة في دمشق مباشرة، ثم بعد ظهور الدولة العبّاسية وانتقال العاصمة السياسية للخلافة الإسلامية إلى بغداد سنة 132هـ/792م أصبح بذلك المغرب جزءًا من هاته الدولة وتابعًا مباشرًا لها.

واستمرّت تبعيّة المغرب الإسلامي للمشرق طيلة القرن 1هـ/7م، وفي بداية المنتصف القرن 2هـ/8م ظهرت عدّة حركات في المشرق أهمّها الحركات الخارجية وكذلك الشّيعيّة ووجدت في المغرب ملاذًا آمنًا ومنطقة لإقامة دعوتها وتأسيس دولها ومن بين هاته الدول التي ظهرت في المغرب الأوسط نذكر :

### 2-1- الدولة الرّستمية:

الدولة الرّستمية هي من أوّل الدول الإسلامية المستقلة عن الخلافة الإسلامية، مؤسسها الأوّل عبد الرحمان بن رستم في سنة 160هـ/776م، الذي بويغ بعد أن أثبت مقدرته على تأسيس دولة مبنية على قيم الإسلام، وبناء مؤسسات قوية وتوحيد قبائل المنطقة والاتّصال بالصّفرية في تلمسان لتوحيد جهود الإباضية والصّفرية التي يريد

## الفصل التمهيدي

العباسيون تصفيتهما معاً، بعض المؤرخين يؤرّخون بداية الدولة الرستمية من هذه السنة أي سنة المبايعة وهذا خطأ، فبدايتها من سنة وصول عبد الرحمان للمغرب الأوسط.<sup>1</sup> وهي دولة خارجية أسسها عبد الرحمان بن رستم بن بهرام الفارسي عام 177هـ/793م، ويذهب ياقوت الحموي وابن عذارى المراكشي إلى أنّ رستم هذا يُنسب إلى أبيه بهرام مولى عثمان بن عفان، بينما يرى ابن خلدون أنّ عبد الرحمان بن رستم من أبناء رستم أمير فارس بالقادسية، وذكر أنّه قدّم إلى إفريقية مع العرب الفاتحين، حيث تولّى عبد الرحمان بن رستم على القيروان من قبل أبي الخطاب عبد الأعلى بن السّمح المغافري.<sup>2</sup>

ولم تعرف الدولة الرستمية حدوداً ثابتة ومستقرّة ومعينة ظاهرة المعالم خلال تاريخها العريق والطويل، وإنّما وضعت حدودها الجغرافية من باب التّقريب لتوضيح الرّقعة الجغرافية التي جرت فيها الأحداث التاريخية والسياسية،<sup>3</sup> ولقد نجحت هذه الدولة في تأسيس مركزها هذا غاية التّوفيق، فإنّ قُرب تيهرت من الصحراء يمنعها من الوقوع في يد العدو في أيام الحرب، كما أنّ موقعها هذا بين جبال الأطلس إلى بلاد التّل الخصيبة جعلها تُهيمن على بلاد المغرب من جهاتها الأربع، فلا هي متطرفة جنوباً ولا شمالاً، ثم إنّها كانت حسب موقعها الجغرافي أيضاً متوسطة بين ولاية تونس والمغرب الأقصى.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، شركة دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع، 2013، الجزائر، ص 227

<sup>2</sup> محمد كمال شبانة، الدويلات الإسلامية، ط01، دار العالم العربي، القاهرة، 2008، ص 112

<sup>3</sup> إبراهيم بحاز بكير، عبد الرّحمان بن رستم، (160/171هـ/777/888م)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1999، ص 78

<sup>4</sup> عبد الرحمان الجبالي، المرجع السابق، ص 220

### 2-2- الدولة الأغلبية:

قامت دولة الأغلبية في المغرب الأدنى ( تونس ) والنصف الشرقي للمغرب الأوسط ( الجزائر )، أسسها الوالي العباسي إبراهيم بن الأغلب سنة 184هـ / 800م،<sup>1</sup> وظهرت نتيجة للاتفاق المبرم بين إبراهيم بن الأغلب والخليفة العباسي هارون الرشيد، وتعتبر تجربة تأسيس الدولة الأغلبية تجربة فريدة من نوعها حيث أقر فيها الخليفة أحد ولاته على إقليم من أقاليمه على أن يعترف الوالي الأغلبي بالسلطة الإسمية للخليفة، والدعاء له بالمنابر، وكذا تداول نفود الخلافة، وفي المقابل يُقر الخليفة على الحكم لإبراهيم بن الأغلب ويبقى الحكم في عائلته متوارث، وبذلك أصبحت الدولة الأغلبية إسمياً تابعة للدولة العباسية.

وقد امتد سلطان الدولة الأغلبية إلى جانب النصف الشرقي للجزائر والمغرب الأدنى وغرب ليبيا وجزيرة صقلية، كذلك جنوب إيطاليا.<sup>2</sup> وكان قيام دولة الأغلبية تجربة جديدة في نُظم الحكم الإسلامية، حيث تخلت الدولة العباسية عن سياسة المركزية إلى اللامركزية في أقاليم الدولة المختلفة سواء في الشرق أو في الغرب.<sup>3</sup> وهكذا عرفت بعض التحولات على المستويات السياسية التي تؤثر على الحياة الاجتماعية وكان لها انعكاسها على كل مستويات الحياة.

وقد عمل بنو الأغلب كما عمل جيرانهم بنو رستم على نشر اللغة العربية، فانتشرت العربية انتشاراً سلساً وسريعاً لتجاوب البربر معها لقربها من لغتهم وأنها لغة الدين الذي اعتنقوه وأمنوا به، وكان الزاب مركزاً تشع منه الثقافة العربية، فكانت

<sup>1</sup> محمد سهيل طقوش، التاريخ الإسلامي الوجيز، ط 4، دار النقاش، 2008، ص 275

<sup>2</sup> السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، 2008، ص 322

## الفصل التمهيدي

طبنة بواسطة عقد هذه الثقافة بين تاهرت والقيروان، وكان سكان الزّاب يتعلمون بالزّاب أساس الثقافة ثم يتوجّهون للقيروان للزيادة في التعليم<sup>1</sup>.

واستمرّ عمر الدولة الأغلبية طيلة القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، لتنتهي في بداية القرن العاشر الميلادي، وتحديدا في سنة 296هـ / 909م نتيجة لضربات الفاطميين.

### 2-3- الدولة الفاطمية :

الدولة الفاطمية أو الخلافة الفاطمية فيما بعد، هي دولة شيعية إسماعيلية باطنية، ظهرت في المغرب، وقد أسست على يد الدّعي أبي عبد الله الشيعي، وهو مبشّر جاء من المشرق لنشر تعاليم الإسماعيلية، التي تدعو الموالاة أهل البيت وأحفيتهم في الخلافة والحكم، وتنسب نفسها إلى إسماعيل الباقر بن جعفر الصادق، وقد نجح الدعي فعلا في إقناع قبيلة كتامة، واستطاع بذلك هزيمة الرستميين ودخول عاصمتهم "تيهت" في سنة 296هـ / 908م، وكذلك هزموا الأغالبة في سنة 297هـ / 907م.<sup>2</sup>

وقد قامت الدولة الفاطمية على أسس قوية لذلك كانت أعظم وأجلّ وظيفة بها هي وظيفة داعي الدّعاة، وكان الإمام يعتبر اللبنة الأساسية في الدولة وهو رأسها ومدبّرها الرئيسي، حيث أنّ المذهب الإسماعيلي الذي حكمت به الدولة يرى أن الإمام معصوم عصمة تامة.<sup>3</sup>

فالإمام على هذا الأساس ليس شخصا عاديا بل فوق الناس جميعا فهو المُشرّع والمُنفّذ لا يسأل عما يفعل لأنّه معصوم من الخطأ نتيجة لما ورثه من علوم، ومن هذه النظرة الشيعية للإمام نفهم السرّ في سبب تقديس الناس له، والركوع عند مروره وتقبيل

<sup>1</sup> عثمان سعدي، المرجع السابق، ص 254

<sup>2</sup> أيمن فؤاد السيد، الدولة الفاطمية في مصر، ط1، الدّار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص 68

<sup>3</sup> صالح فوكوس، تاريخ الجزائر من ماقبل التاريخ إلى غاية الإستقلال، دار العلوم، الجزائر، ص 90

## الفصل التمهيدي

الأرض بين يديه،<sup>1</sup> فهو رئيس الحكومة والأعلى ويُلقَّب بأمرير المؤمنين،<sup>2</sup> فلم يكن لها في أول أمرها بالمغرب وزراء إلا بعد انتقالها إلى مصر.<sup>3</sup>

وقد امتدَّ نفوذ الفاطميين منذ عهد الخليفة الأول عبد الله المهدي ( 297-322هـ/ 909-934 م ) إلى كافة أرجاء المغرب وورثت أملاك الرستميين والأغالبة ووصل حكمها إلى تخوم المغرب الأقصى غربا وحدود برقة ومصر شرقا وكذلك جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا.

وحافظ الفاطميون على سلطانهم في المغرب رغم أنهم يحملون مذهباً مغايراً لمذهب أهل المغرب، بسبب إهتمامهم الكبير بتقوية جيوشهم وتمييزها، فقد كانت فصائل كتامة النواة الأولى في الجيش الشيعي الفاطمي، وفي تدعيمه بالأسلحة والعتاد، كما أنَّ الجيش الفاطمي قد حظيَ بامتيازات كبيرة طيلة فترة حكم الفاطميين للمغرب من حيث منح الإمتيازات والمنح والرُّتب.

كما اهتمَّ الفاطميون بالقضاء، والذي هو أحد أهمِّ أساسات الحكم وأولوه أهمّية كبرى، فاخترتوا قضاة من أتباعهم وحرصوا على تنظيمه وفق تعاليم المذهب الشيعي الإسماعيلي، الذي كان له الحق في اختيار قضاة النواحي أو الولايات وتغيير مناصبهم أو عزلهم، كما مُنحت له مهام النَّظر في أهمِّ الوظائف العامَّة مثل الحِسبة وبيت المال، كما يتولى قاضي القضاة في المذهب الشيعي إلقاء الخطب في المناسبات بالمساجد الرئيسية.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، دت، ص 53

<sup>2</sup> مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دت، ص

137

<sup>3</sup> نفسه، ص137

<sup>4</sup> عبد الرحمان الجبلاني، المرجع السابق، ص 280

## الفصل التمهيدي

وبعد وفاة المهدي آلت الخلافة إلى ابنه أبي القاسم بأمر الله (322هـ-334هـ/934م-945م)، إذ قامت في فترة حكمه عدّة ثورات كادت أن تعصف بالحكم الفاطمي في المغرب، وأهمّها وأخطرها ثورة زناتة والتي كانت حاكمة عن الفاطميين ورغبتهم في القضاء على الخلافة الفاطمية، وقاد ثورة زناتة أبي يزيد مخلد بن كداد النكاري المعروف بصاحب الحمار سنة 323هـ/934م.<sup>1</sup>

وقد قسّم الفاطميون المغرب الأوسط في عهدهم إلى أربع ولاياتهي: - ولاية المسيلة: تشتمل على زناتة، الحضنة، سطيف، - ولاية باغة: تشتمل على نواحي عنابة، قالمة، جيجل، ولاية أشير: الموجودة قرب البرواقية حالياً في ولاية المدية: وتشتمل على مواطن صنهاجة وما جاورها من زورة وزناتة، - ولاية تيهرت: التي تشتمل على مواطن مغراوة وما بين مليانة ومازونة.<sup>2</sup>

وكما هو معلوم فإن الخلافة الفاطمية لم يكن هدفها البقاء في المغرب، وإنما كان هدفها التوجّه للمشرق وإقامة الخلافة فيها، لذلك نجدهم قد حاولوا عدّة مرّات وفي حملات متعددة السيطرة على مصر وفعلاً تمّ لهم ذلك، وهذا في سنة 358هـ-969م.

ومن الحكام الفاطميين في المغرب نذكر:

عدد سنوات الحكم	فترة الحكم	الخلافة
25 سنة	297هـ . 322هـ / 909م . 934م	عبد الله المهدي
12 سنة	322هـ . 334هـ / 934م . 945م	القائم بأمر الله
7 سنوات	334هـ . 341هـ 945م . 952م	المنصور بالله
14 سنة	341هـ 365هـ/952م . 975م	المعز لدين الله

جدول رقم 01 يمثل الخلفاء الفاطميين في المغرب وسنوات حكمهم

<sup>1</sup> محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية في مصر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص 93

<sup>2</sup> عبد الرحمان الجبلاني، المرجع السابق، ص 285

### 2-4- الدولة الزييرية الصنهاجية :

الصنهاجيون قبيلة بربرية وهي من بين القبائل الأكثر تعلقًا بالفاطميين ومن أعوانهم الأكثر ثقة لهم في المغرب، لذلك نجد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله حينما نقل عاصمة ملكه وعرشه من المغرب إلى مصر فوض الأمر كله، للقائد الصنهاجي بلكين بن زييري وعيَّنه حاكمًا بالنيابة له عن المغرب، وهذا في 361هـ/972م، وقد أطلق عليه إسم سيف الدولة، وقد نصحه قبل أن يغادر بأمر أربعة في قوله له: "إن نسيت ما أوصيتك فلا تنسى أربعة أشياء، إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية، والسيف عن البربر، ولا تولي أحدًا من إخوتك أو بني دمك فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك، وافعل مع أهل الحاضرة خيرًا"<sup>1</sup>

وفعلا عمل بلكين بن زييري بوصايا الخليفة الفاطمي بالمغرب، ووطد حكمه ووسَّعه وبلغ به مبلغًا كبيرًا، فوصل غربًا إلى غاية مدينة فاس حاضرة الأدارسة وفي الشرق إلى تخوم برقة، وتولَّى بعده ابنه المنصور ابن بلكين الحكم وواصل سيرة والده، وأخذ الثورات التي قامت في عهده وخاصة التي قامت بها قبيلة كتامة سنة 380هـ/991م، وتولَّى بعده ابنه باديس بن المنصور والذي عانى من الثورات الداخلية ضده وخاصة قبائل زناتة الذين بايعوا الخليفة الأموي في الأندلس، فما كان له سوى مخالفة القواعد التي رسمها جده وتولية عمه حماد بن بلكين بن زييري، والذي أقطع المغرب الأوسط شريطة إخماد الفتن التي كادت أن تعصف بدولته، وفعلا تمكَّن عمه من القضاء على زناتة وثورتهم في سنة 395هـ/1005م، ليبدأ في تأسيس دولته.

وفي عام 440هـ/1048م بايع المُعزُّ بن باديس الصنهاجي الخليفة العباسي ونزع الطاعة عن الفاطميين بمصر، ممَّا أغضب الفاطميين وأمروا جحافل قبائل بني سليم

<sup>1</sup> عبد الرحمان، الجبالي، المرجع السابق ، ص 324

## الفصل التمهيدي

وبني هلال بالتحرك نحو المغرب وهذا في سنة 442هـ/1050م<sup>1</sup>، فتمكّن الهلاليون من السيطرة على القيروان عاصمة الزيريين.

### 2-5- الدولة الحمادية :

ومنأهمّ الدول التي قامت ببلاد المغرب الأوسط الدولة الحمّادية، فقد بذل حمّاد جهودا عظيمة لتأسيس دولة كبرى بالمغرب الأوسط وتصدّى بشجاعة لحروب قبائل زنّاتة واختط مدينة القلعة بجبل كيانة في 398هـ/1007م، وبنى فيها المباني وأحاطها بسور فازدهرت وصارت قبلة للعلماء والأدباء يؤمونها من سائر أرجاء المغرب ومن الأندلس.<sup>2</sup> وفي سنة 407هـ/1014م أعلن حمّاد رسميا دولته وانفصاله عن الدولة الزييرية في القيروان، ولم يكتف بهذا بل قطع الخطبة عن الخليفة الفاطمي واستبدلها بالدعاء للخليفة العبّاسي في بغداد، ممّا أدى بالأمير الزيّري باديس بن منصور أن يعلن الحرب على الدولة الحمّادية الناشئة و يحاصر القلعة 407هـ/1016م،<sup>3</sup> وقد ظلّ بنو حمّاد يحكمون المغرب الأوسط ما يقرب من قرن وربع القرن من الزمن، إلى غاية ظهور الموحدين وسقوط عاصمتهم بجاية في 547هـ/1253م، وقد تركالحماديون بصّمتهم واضحة في تاريخ وحضارة المغرب.<sup>4</sup>

### 2-6- الدولة المرابطية :

يعود أصل المرابطين إلى قبائل "صنهاجة الجنوب" الضّارية في الصحراء الغربية، صحراء شنقيط أو مايسمّى اليوم موريتانيا، وكانت صنهاجة تضمّ كل من قبائل جدالة ولمتونة ومسوفة، وقد أرغمت الظروف هاته القبائل أن تتوحّد وتتحالف فيما بينها، وكان

<sup>1</sup> أعمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، ط1، دار الغرب، بيروت، 1997، ص 44

<sup>2</sup> عثمان سعدي، المرجع السابق، ص 278

<sup>3</sup> أعمار بوحوش، المرجع السابق، ص 45

<sup>4</sup> عزوق عبد الكريم، تطور المآذن في الجزائر، مكتبة زهراء الشرق، مصر، 2006، ص 31

## الفصل التمهيدي

يُطلق على هاته القبائل مجتمعة بصنهاجة اللّثام، لأنّ أفرادها كانوا يضعون اللّثام على وجوههم وقد اتّصفوا بالإقدام والشّجاعة المفرطة في القتال.<sup>1</sup>

ويعتبر المؤسس الأوّل لهاته الدولة عبد الله بن ياسين، وهو رجل علم جامع قائد قبيلة جدالة يحي بن إبراهيم إلى مضارب لمتونة وجدالة ومسوفة، ونشروا تعاليم الإسلام الصحيح بين أبناء القبائل مكوّنين النّواة الأولى لهاته الدولة، ويعتبر القائد يوسف بن تاشفين من أهم أمراء هاته الدولة النّاشئة وقد حكمها طيلة 47 سنة (453هـ-500هـ/1061م-1107م)، وقام بتنظيمها تنظيمًا جيدًا، ووحد أقاليم المغرب تحت سلطانه، ليمتدّ حكم المرابطين في عهده من الأندلس شمالاً إلى غانا جنوباً ومن المحيط الأطلسي غرباً إلى حدود الدّولة الحمّادية شرقاً.

وقد عُرف المرابطون بتمسّكهم بالمذهب المالكي، وتتمثّل سياستهم في مسالمة الدول الإسلامية ومحاربة المسيحيين، والحقّ أنّها كانت مدعومة من طرف العبّاسيين في بغداد، لأنّ العبّاسيين كانوا يريدون أن يجعلوا من المرابطين قوّة مُنافسة للأُمويين في الأندلس والفاطميين في شمال إفريقيا.<sup>2</sup>

وكان المغرب في أيّام ظهور المرابطين يعيش حالة من الفوضى والإضطراب السياسي الذي عانت منه شعوب تلك البلاد معاناة مُرّة، حيث غاب القانون وفُقد الأمن والإستقرار، ففي المغرب كانت الفوضى تضرب أطناها في كلّ جوانب الحياة، فالفقر منتشر والجهل حالة عامّة للبدو وسكّان الصحاري، والكيانات الإقليمية والقبلية الضيّقة تُساهم إسهاماً كبيراً في تشجيع كلّ النّشاطات السّلبية، فالغارات بين القبائل قائمة بسبب وبدون سبب، وزعماء تلك الأقاليم متمسّكون بسلطاتهم الهامشية تلك وكلّ منهم يعمل على

<sup>1</sup> نهلة شهاب محمد، تاريخ المغرب العربي، دار الفكر العربي، عمان، 2009، ص 244

<sup>2</sup> عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 39

## الفصل التمهيدي

ضمان استمرارها وتوسيعها على حساب جيرانه بأي طريقة كانت،<sup>1</sup> فأصبح المغرب في ذلك الوقت يعاني من الإنقسام الحاد سياسياً واقتصادياً ودينياً، حيث انتشرت الباطنية والأفكار الهدامة، وأصبح أهله شيعياً وأحزاباً يعيشون حالة انقسام مستمر وصراع متجدد يؤججه أمراء السوء الذين يُديرون الفتن بدون وازع من ضمير أو راع من دين، أو وعي لمصالح الأمة وحقوقها المترتبة عليهم، لذلك عانت شعوب المغرب من الفرقة المزرية وويلات الطائفية وفقدان الأمن والنظام.<sup>2</sup>

وبالإضافة للمغرب، نجد أنّ مساهمات المرابطين في حفظ سلطان المسلمين في الأندلس كبير، ويمكننا القول بأنهم حافظوا على ملك العرب للأندلس أربعة قرون أخرى، فقد لبّى المرابطون نداء ملوك الطوائف وهذا في سنة 479هـ/1087م، حيث انطلق جيش المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين وانتصر على الإسبان في معركة الزلاقة التي انتصر فيها المسلمون، وبذلك ضمّ الأمير يوسف بن تاشفين للأندلس بعد أن ضاق ذرعاً بملوكها وهذا في سنة 484هـ/1091.<sup>3</sup>

وبعد وفاة يوسف بن تاشفين سنة 500هـ/1107م، خلفه ابنه علي بن يوسف والذي حافظ على سياسية والده واستمرت في عهده الدولة المرابطية في قوتها وازدهارها ومنعتّها وحكّم مثل والده بالعدل والقسط، لكن في سنة 516هـ/1122م ثار عليه المهدي بن تومرت زعيم الموحدين، واستمرت الثورة طيلة حكمه وحكم ولده تاشفين بن علي الذي قُتل في معركة معهم، وفي سنة 541هـ/1147م انتهت دولتهم ودخل عاصمتهم مراكش الأمير الموحد عبد المؤمن بن علي.

<sup>1</sup> حامد محمد الخليفة، انتصارات يوسف بن تاشفين، بطل معركة الزلاقة وقائد المرابطين موحد المغرب ومنقذ الأندلس

من الصليبيين، ط1، مكتبة الصحابة، الإمارات، الشارقة، 2004، ص 58

<sup>2</sup> حامد محمد الخليفة، المرجع السابق، ص 58

<sup>3</sup> عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 39

### 2-7- دولة الموحدين :

هي دولة أسّسها الموحّدون وهم سلالة أمازيغية، وترتبط أساسا هاته الدولة بالمؤسس الأوّل محمد بن تومرت، وهو شخصية دينية ظهرت أساسا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد التفتّ النَّاس حوله وأعجبهم حديثه، وينتمي الموحّدون إلى قبيلة مصمودة وهي قبيلة أمازيغية تتخذ من مدينة تتمل قرب مراكش مكانا لها، وقد سُموا بالموحّدين لأنّهم يدعون بتوحيد الله وحده، ويَدْعُونَ أن المرابطين مشركون،<sup>1</sup>

وقد ذاع صيت محمّد بن تومرت قائدهم ممّا جعل المرابطين يرسلون قوة لمحاربتهم في سنة 515هـ/1121م، لكن محمد بن تومرت ألحق الهزيمة بهم، وقد بقي في حرب مع المرابطين إلى غاية مقتله في رمضان من عام 524هـ/1130م.<sup>2</sup>

وقد تولّى بعده عبد المؤمن بن علي وتمكّن من هزيمة المرابطين 539هـ/1145م، وضمّ تلمسان ووهران ودخل عاصمتهم مراكش سنة 541هـ/1147م، مُنهيًا بذلك دولة المرابطين ومؤسسًا دولة الموحدين والتي أعلنت نفسها خلافة، واستطاعت توحيد المغرب ودخل الخليفة عبد المؤمن بن علي بجاية 547هـ/1156م، وضمّ بذلك دولة الحماديين لملكه، ثمّ اتّجه إلى تونس وسيطر عليها في 555هـ/1160م، واستطاعوا كذلك مدّ سلطانهم نحو طرابلس وبرقة في ليبيا، فالموحّدون أوّل من وحدّ المغرب الإسلامي تحت راية واحدة.

وبعد أن استولى عبد المؤمن بن علي على المغرب كله من طرابلس إلى طنجة، قرّر أن يتحوّل إلى الأندلس التي بايعه أهلها سنة 542هـ/1148م، وفي عام

<sup>1</sup> نهلة شهاب أحمد، المرجع السابق، ص 244

<sup>2</sup> عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 44

## الفصل التمهيدي

556هـ/1161م عبّر بجيوشه بحر الزقاق ( مضيق جبل طارق)، ومنه إلى الأندلس حيث حارب النصارى في غرب الجزيرة وانتصر عليهم.<sup>1</sup>

وظهرت دعوة الموحدين في الشمال الإفريقي على إثر انتشار مذهب المجسمة\* الذين كان أصحابه يفسرون الآيات التي يبدو منها التجسيم تفسيراً ظاهرياً لا مجازياً وذلك في النصف الثاني من القرن 5هـ/11م،<sup>2</sup> وليس في المغرب كلها آثار تُعادل في الكثرة والعظمة والجمال آثار الموحدين، وهم أصحاب مدرسة فنّ وعمارة في الزخرفة.<sup>3</sup>

وقد بلغت الدولة الموحدية أوجّ ازدهارها في عهد عبد المؤمن بن علي صاحب الشخصية القوية والفكر السياسي العادل، فبدأ بطريقة منظمة في تشييد دولته الفتيّة، فاهتمّ بإنشاء المدارس وتتوير العقول والهداية إلى الدين الحنيف، وقد عمل على إنشاء معسكر لتكوين رجال السياسة الأكفاء، فخرّج جيلاً جديداً من القوّاد الأكفاء والسياسيين المخضرمين، وأخرجت هاته المراكز كذلك قادة للبحرية، وأقام كذلك الخليفة عبد المؤمن مصانعاً للأسلحة ليستعدّ لحرب الصليبيين في الأندلس.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> أعمار بوحوش، المرجع السابق، ص 41

\* **المجسمة**: مصطلح إسلامي يطلق على من يقول بأن الله جسم، أو من يشبه الله بالمخلوقات ويطلق عليهم أيضاً الحشوية، ومن أشهر الفرق التي ينسب إليها التجسيم أصحاب هشام بن الحكم، والكرامية التي تنسب إلى ابن كرام، وكذلك السبئية التي تنسب إلى عبد الله بن سبأ، وكذلك اليونسية نسبة إلى يونس بن عبد الرحمان القمي، والمنصورية أتباع أبي منصور العجلي.

<sup>2</sup> محمد كمال شبانة، المرجع السابق، ص 51

<sup>3</sup> السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، 476

<sup>4</sup> محمود السيد، تاريخ دولة المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2007، ص 45

## الفصل التمهيدي

وتُعتبر الأساطيل الموحدية كذلك من أقوى الأساطيل في ذلك العهد فقد سيطر الموحدون بفضلها على البحر المتوسط، وقد بلغ عددها عشرة أساطيل حمت الثغور الإسلامية من هجمات الصليبيين.<sup>1</sup>

وقد استمرت قوّة الموحدين بعد وفاة الخليفة عبد المؤمن بن علي سنة 558هـ/1163م، وتولّى ابنه يوسف والذي واصل سيرة والده في جهاده في الأندلس واستشهد سنة 580هـ/1185م.

وفي بداية القرن 7هـ/13م شهدت الدولة الموحدية بداية الضعف مع ولاية محمد الناصر، وتأزمت أكثر بانهزامه في معركة حصن العقاب ضدّ القشتاليين وهذا في سنة 609هـ / 1212م، حيث كانت بداية النهاية لهاته الدولة العظيمة، فتوالت الفتن الداخلية والإنقسامات في الدولة الموحدية، والذي أدّى إلى استقلال بني حفص في تونس وبجاية سنة 628هـ/1231م واستقلال بني زيان بتلمسان سنة 646هـ/1249م، وسقوط مراكش نفسها في يد بني مرين في سنة 668هـ/1270م، لتنتهي الدولة رسمياً.

وهذا الجدول يبين قائمة الخلفاء الموحدين الذين حكموا الدولة :

عدد سنوات الحكم	فترة الحكم	إسم الخليفة
7 سنوات	515هـ / 522هـ 1121م / 1128م	محمد بن تومرت
33 سنة	524هـ / 558هـ 1130م / 1163م	عبد المؤمن بن علي
19 سنة	558هـ / 580هـ 1163م / 1184م	أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي
14 سنة	580هـ / 595هـ 1184م / 1198م	عبد الله يعقوب بن يوسف

<sup>1</sup> السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 697

## الفصل التمهيدي

16 سنة	595هـ / 610هـ 1196م / 1212م	أبو عبد الله محمد الناصر
1 سنة	620هـ / 621هـ 1224م / 1224م	أبو مالك عبد الواحد
3 سنوات	621هـ / 624هـ 1224م / 1227م	أبو عبد الله محمد بن يعقوب المنصور العادل بالله
5 سنوات	624هـ / 629هـ 1227م / 1232م	أبو علي إدريس الملقب بالمأمون
11 سنة	629هـ / 640هـ 1232م / 1240م	أبو محمد عبد الواحد
6 سنوات	640هـ / 646هـ 1242م / 1248م	أبي الحسن علي بن المأمون الملقب بالسعيد
18 سنة	646هـ / 665هـ 1248م / 1266م	عمر بن أبي إبراهيم إسحاق
3 سنوات	665هـ / 668هـ 1266م / 1269م	الأمير أبو العلاء إدريس بن أبي حنفي بن إبراهيم بن عبد المؤمن الملقب بأبي دبوس

جدول رقم 02 يمثل خلفاء الدولة الموحدية وسنوات حكمهم

### 2-8- الدولة الحفصية :

الحفصيون هم سلالة أمازيغية عينها الموحدون كولاة لهم على تونس والقيروان، ويعتبر أبي زكرياء يحي الحفصي مؤسساً للعائلة الحاكمة، وأول وال للخليفة الموحد علي تونس. ويُعتبر جدّ العائلة أبو حفص والذي كان من جماعات الموحدين ومكافأة له لدعم الموحدين عينه الخليفة عبد المؤمن بن علي والّ على الأندلس والمغرب الأقصى ثم تعيين أحفاده على تونس، وعند انهزام الموحدّين في موقعة حصن العقاب بادر أبو زكرياء (يحي ابن الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص) بإعلان الإستقلال عن الدولة

## الفصل التمهيدي

الموحّدية، لكنّه بقي مرتبطاً بها روحياً من حيث الدعاء على المناير، وتأكّد هذا الإستقلال بقطع الخطبة عن الخليفة الموحي وهذا في سنة 634هـ/1236م، وقام بالإستيلاء على مدن المغرب الأوسط قسنطينة وبجاية والجزائر وتلمسان ما بين سنوات 627هـ و640هـ/1229م-1238م، ليدخل بعدها إلى المغرب الأقصى ويستولي على مراكش في 668هـ/1266م.<sup>1</sup>

وقد بايع أهل الأندلس كذلك السلطان الحفصي أبي زكرياء في سنة 635هـ/1238م، وبعدهما توفي السلطان أبي زكرياء سنة 647هـ/1249م خلفه ابنه محمد بن أبي زكرياء سنة 648هـ/1250م وقد لُقّبَ بالمستنصر، واتّخذ كذلك لقب أمير المؤمنين، وقد اعترفت بهذا اللقب عددٌ كبير من الدول 649هـ/1260م، ممّا أدّى إلى تعرّض تونس إلى حملة صليبية قادها القديس لويس التاسع سنة 650هـ/1270م،<sup>2</sup> وقد عصفت بعد ذلك الثورات والفتن بالدولة الحفصية وخاصة ما قام به عرب بني هلال ضد الدولة، وفي سنة 730هـ/1229م تحالف السلطان الحفصي مع السلطان المريني أبي سعد المريني للقضاء على الزيانيين، وفعلاً قام أبي الحسن المريني على رأس جيوشه على المغرب الأوسط وسيطر على وهران وتلمسان (736هـ-737هـ/1336م-1337م)، ثم قام بحملة ثانية على المغرب الأوسط في 748هـ/1348م وسيطر على الجزائر وبجاية وقسنطينة وفي 8 جمادى الثانية سنة 748هـ/ سبتمبر 1347م، وقتل السلطان أبو حفص الثاني وبذلك استولى المرينيون على الأقطار الثلاثة.

### 2-9- الدولة الزيانية :

<sup>1</sup> أعمار بوحوش، المرجع السابق ، ص 53

<sup>2</sup> نفسه، ص 43

## الفصل التمهيدي

الزيانيون أو بني زيان، أو بنو عبد الواد، هم سلالة بربرية حكمت في غرب الجزائر، ويرجع أصلهم إلى قبيلة زناتة البربرية التي استقرت شمال الصحراء الكبرى ثم هاجرت في حدود ق5/11م إلى شمال إفريقيا، أين أصبحوا من أنصار الموحدين، فنقلت إليهم الدولة الموحدية إدارة مدينة تلمسان، وبعد سقوط الدولة الموحدية استقل يحي يغمراسن بن زيان بالحكم لمدة 47 سنة، تمكّن خلالها من وضع قواعد وأسس لدولة قوية سواء في عهده أو من بعده.<sup>1</sup>

وقد كان الوضع في دولة بني زيان عند ظهورها خطرا للغاية، لأنها ظهرت وسط قوتين هما المرينيون في الغرب والحفصيون في الشرق، كما كانت تزاحمها في نفس الوقت عدّة قبائل محلية، لذلك كان لزاما عليها أن تحافظ على التوازن بين مختلف القوى، فحالفت أحيانا الحفصيين ضدّ المرينيين، وأحيانا أخرى المرينيين ضدّ الحفصيين غير أنّ بني زيان كان نجاحهم في سياستهم الداخلية أكثر، إذ قرّبوا إليهم بعض رؤساء بعض القبائل واتخذوهم حلفاء ضدّ القبائل الثائرة على سلطتهم، وبهذه السياسة نجحوا في توطيد دعائم دولتهم.<sup>2</sup>

وكان لعاصمتهم تلمسان موقع استراتيجي، وتميّرت بموقع محصّن طبيعيا، وكذلك فُربها من مراكش المغربية حيث نقلت المعركة في عدة مرات إلى التراب المغربي، ومنذ تأسيسها تعرّضت إلى غزوات عديدة، من بينها غزوة الموحدين بقيادة الخليفة الموحي المعتصم سنة 633هـ/1235م، وانتصر الأمير يغمراسن على الأمير الموحي، وتعرّضت تلمسان أيضا للحصار من طرف الحفصيين في 640هـ/1242م، وقد اعترف فيها الزيانيون بسلطة الحفصيين عليهم، وفي سنة 698هـ/1299م تعرّضت تلمسان أيضا

<sup>1</sup> محمد المطوي العروسي، السلطنة الحفصية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 77

<sup>2</sup> جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، الدار التونسية للنشر، تونس، ص 98

## الفصل التمهيدي

إلى حصار دام 8 سنوات، وهو الأقسى في تاريخهم وتضررت بشكل كبير، وبعد وفاة السلطان المريني أبو يعقوب رفع الحصار، كما تعرضت تلمسان إلى هجوم كبير من طرف المرينيين سنة 737هـ / 1338م، وخضعت بذلك دولة الزيانيين المرينيين 22 سنة بين سنتي 737هـ - 760هـ / 1337م - 1359م، وقد استطاع السلطان الزياني أبي حمو الثاني بالإستعانة بالحفصيين استعادة تلمسان من المرينيين وهذا في سنة 760هـ / 1359م.

لذلك نجد أئال الزيانيين قد عرفوا طيلة عهدهم اضطرابات عصفت بحكمهم في فترات معينة، إلا أنهم استطاعوا خلق التوازن بين القوتين الكبيرتين المتمثلة في الحفصيين في الشرق والمرينيين في الغرب، وإلى جانب هاته الفتن الخارجية عان الزيانيون من المشاكل التي قامت بها القبائل، أهمها قبيلة مغراوة التي أسست دولة لها في المغرب الأوسط. وما قسم ظهر الدولة الزيانية في القرن 9هـ - 10هـ / 15م - 16م وتدخل الإسبان بقوة، وقاموا بعدة حملات على سواحل المغرب الأوسط، ومازاد الأمر سوءاً هو سقوط غرناطة بيد الإسبان في 897هـ / 1492م، فازدادت حدة الحملات الصليبية، فقد قام الإسبان باحتلال مدينة بجاية 910هـ / 1504م، ومدينة وهران في 914هـ / 1518م، وعجز بنو زيان عن التصدي لهم، وبذلك فقدوا الهيبة في نفوس السكّان والقبائل المحلية فانتهدت الدولة الزيانية بتدخل الأتراك العثمانيين وإنهائهم لسلطة بني زيان على تلمسان 942هـ / 1535م.

### 2-10- الدولة المرينية :

المرينيون أو بنو مرين أو بنو عبد الحق هي سلالة أمازيغية حكمت بلاد المغرب الأقصى من القرن 7هـ - 9هـ / 13م - 15م، وتوسعت حدود دولتهم خارج نطاق المغرب في عهد السلطان أبي سعيد الأول، ويوسف بن يعقوب وخاصة أيام أبي الحسن المريني،

## الفصل التمهيدي

الذي ضمّ لدولته المغرب الأوسط والأدنى فوحد المغرب الكبير تحت رايته مسيطرا على بلاد السوس ومعازل الصحراء جنوبا إلى مصراتة قرب الحدود المصرية شرقا، ورندة بالأندلس شمالا، ولم يستطع المرينيون بسط سيطرتهم على كامل الأراضي التي كانت تُشكّل الدولة الموحدية، غير أنّهم استطاعوا توحيد المغرب الأقصى والعبور إلى الأندلس للجهاد لوقف زحف ممالك إسبانيا ومكافحة القرصنة المسيحية على سواحل المغرب.

ويرجع ظهور المرينيين لوضعية بلاد المغرب الأقصى بعد كارثة حصن العقاب 609هـ/1213م، حيث ضعف كيان السلطنة المركزية للموحدين هذا، بالإضافة إلى تفشي الطاعون وهلاك جند الدولة الموحدية فظهر بنو مرين على الساحة السياسية سنة 613هـ/1216م، واستطاعوا إلحاق الهزيمة بالجيش الموحد الذي أعده والي فاس لحربهم في أول صدام لهم مع الموحديين، ثم تفاقم خطرهم وازدادت قوتهم، فاستطاعوا القضاء على الدولة الموحدية والجلوس في مكانهم بعد قضائهم على الموحديين في مراكش سنة 668هـ/1269م، واتخذوا من مدينة فاس عاصمة لهم.

وقد حمّل المرينيون راية الجهاد في الأندلس، وحازوا على عدّة مدن أندلسية، وعلى عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق وصل عددها 53 مابين مدن وحصون، إضافة إلى عدد من المدن، والذي تنازل عليها ولده السلطان يوسف بن يعقوب مكتفياً بالجزيرة الخضراء وطريف جنوب الأندلس.<sup>1</sup>

وقد اتخذ المرينيون أسلوباً عسكرياً وسياسياً للوصول إلى الحكم وإسقاط الموحديين وحققوا انتصارات عديدة عليهم، ومن أجل الحفاظ على تلك الانتصارات والمكاسب استعملوا أسلوباً سياسياً بارعاً، تمثل في الاعتراف بالخلافة الحفصية في تونس، وطلب العون منهم بذلك حققوا مكاسب متعددة، منها وقف خطر بني زيان القادم من الجزائر

<sup>1</sup> أحمد المختار العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الإسكندرية، الإسكندرية، 2008، ص 89

## الفصل التمهيدي

نحوهم، وتضعيف تحالف بني زيان ودولة الموحدين بإدخال طرف قوي في النزاع وقام بنو حفص بمساعدة بني مرين وتدمير تحالف بني زيان مع الموحدين والإستيلاء على تلمسان عاصمة بني زيان عام 640هـ/1243م، ومن ذلك الموقف حافظوا على تبعيتهم لبني حفص<sup>1</sup>.

وعندما وصل السلطان أبو يوسف يعقوب المنصور للحكم استقل بالإمارة والسلطنة وانفصل عن الحفصيين، وقام أبو يوسف ببناء دولة قوية وفرض سيطرته على أقاليم المغرب الأوسط والأدنى، وقد استمر نفوذها على المغرب الأوسط إلى غاية 796هـ/1393م، وهو تاريخ قطع الخطبة من السلطان الزياني أبي حمّو الثاني عن المرينيين<sup>2</sup>.

وقد استمرت قوة المرينيين إلى غاية تولّى السلطان أبو سعيد عثمان الثاني سنة 801هـ/1398م، حيث بدأت الدولة تفقد قوتها ولم تعد قادرة على مواجهة البرتغاليين، وفي عهد السلطان أبو محمّد عبد الحق بن أبي سعيد عثمان الثاني الذي تولّى في سنة 831هـ/1428م، فقد اقتسم الوزراء السلطة بينهم وتسلب اليهود على الإدارة العليا في البلاد، ففقد السلطان هيئته وثارَت الرّعية على السلطان وقتلته هو وولّاته اليهود سنة 869هـ/1465م، وانقرضت بذلك دولة بني مرين سنة 961هـ/1554م، يوم تغلب عليها محمّد الشيخ السعدي<sup>3</sup>.

### 3- التواجد العثماني في المغرب الأوسط :

إنّ الحروب والانقسامات التي عرفها المغرب في بداية القرن 9م/15م- نستطيع القول منذ سقوط الدولة الموحدية- وانقسام المغرب إلى كيانات ضعيفة متناحرة، قد أنهكت

<sup>1</sup> حمّود شيث خطاب، قادة فتح بلاد المغرب، ط7، دار الفكر، بيروت، 1984، ص 234

<sup>2</sup> أبو عبادة كحيلة، المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب، ط7، الرباط، 1997، ص 134

<sup>3</sup> عمّار بوحوش، المرجع السابق، ص 50

## الفصل التمهيدي

المنطقة وخاصة المغرب الأوسط، حيث كان الحلقة الأضعف في تلك الفترة وتحول إلى ساحة حرب وكرّ وفرّ بين الحفصيين في الشرق والمرينيين في الغرب، ثم الذي جعل الأمور تتعقّد أكثر في المنطقة هو التدخّل الصليبي ومطاردته لمسلميّ الأندلس بعد سقوط غرناطة 897هـ/1492م.

فقد قام الإسبان في سنة 911هـ/1505م بالاستيلاء على المرسى الكبير ثم الاستيلاء على وهران سنة 915هـ/1509م، ثم توجه الصليبيون لموانئ الجزائر حيث احتلّوها إلى غاية بجاية في بداية القرن 916هـ/1510م، وخضعت بذلك أغلب الموانئ الجزائرية مثل دلس، شرشال، مستغانم، وأجبرت على دفع الجزية للدولة الإسبانية.<sup>1</sup> لذلك لم يجد سكان المغرب الأوسط وخاصة سكان السواحل سوى طلب العون من الأتراك العثمانيين ممثلين في عروج خير الدين بربروسا.

وقد أوفد سكان مدينة الجزائر وفودًا عديدة لإقناعهم بالقدوم وتخليصهم من مضايقة وظلم المسيحيين، وقبّل الإخوة بربروسا هذا الطلب ورأوا فيه أهمية كبيرة في مواصلة نشاطهم وجهادهم ضدّ الصليبيين.<sup>2</sup>

وفعلا استجاب عروج لنداءات السكان وهاجم مدينة بجاية سنة 918هـ/1512م وقام بفرض الحصار عليها إلاّ أنّه أُصيب بجروح بليغة تسببت ببتريده، ثم هاجم مدينة جيجل في 920هـ/1514م ودخلها منتصرًا، وعندما عرف عروج أنّه لن يستطيع مقاومة الإسبان بمن معه طلب المساعدة والدعم من عتاد ورجال.

<sup>1</sup> أعمار بوحوش، المرجع السابق، ص 47

1 كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510. 1541)، ترجمة جمال حمدانة، ديوان

المطبوعات الجامعية، ص 2

## الفصل التمهيدي

وأتجه عُرُوج إلى مدينة شرشال ودخلها سنة 922هـ/1516م ثم توجه إلى مدينة الجزائر وحررها من الإسبان،<sup>1</sup> وبعد دخوله للجزائر عمل على تنظيم البلاد وأحوالها وبينما هو هكذا حتى جاءه وفد من تلمسان حاضرة الزيانيين، واستجاب لهم وتحرك في جيشه نحوها، ودارت معهم معركة غير متكافئة لكثرة الإسبان وهي معركة زاوية سيدي موسى واستشهد وعمره لم يتجاوز 50 سنة.<sup>2</sup>

وقد خَلَفَ عُرُوج في إدارة المغرب أخاه خير الدين وطلب التفويض من السّكان ثم أرسل للسلطان سليم يطلب منه العون، وفعلا خلع عليه لقب "باي لارباي" أي أمير الأمراء إضافة إلى المدد من الجند والعتاد، واستطاع بذلك خير الدين الانتصار على الإسبان في شهر رمضان عام 936هـ/ماي 1529م، وبهذا الانتصار استطاع القضاء على النفوذ الإسباني ولو مؤقتا، وفي سنة 942هـ/1535م تمّ استدعاء خير الدين من طرف السلطان العثماني ليكون قائدا للبحرية العثمانية، وترك وراءه خير الدين نائبه محمد حسن آغا والذي استطاع مواجهة الإمبراطور "شرلكان" سنة 1541م في هجومها استطاع أن يقضي على جيشه ويدمر أسطوله.<sup>3</sup>

وقد مر الحكم العثماني في الجزائر سياسياً بأربع مراحل وهي :

### 1/ عصر الباي لاربايات (920. 995. هـ 1514 م .

المرحلة	فترة الحكم	مدة الحكم	مميزات الفترة
عصر الباي لاربايات	920-995 هـ 1514-1587 م	73 سنة	تعيين الحاكم من السلطان مباشرة السلطة في يد رياس البحر تحرير بجاية 1555 وتونس 1575

<sup>1</sup> نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، نشر كلية

الآداب الجزائرية ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1965 ، ص 42

<sup>2</sup> بسّام العسيلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر، 1470-1547، دار النقاش ، صص 95-96

<sup>3</sup> عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 49

## الفصل التمهيدي

ازدهرت البلاد سياسيا واقتصاديا			
كان يتم تعيين باشا كل ثلاث سنوات ظهور خلافت بين قادة القوات البحرية الجزائري والتركية حول الحكم بروز قوة رياس البحر وسيطرتهم على البحر المتوسط	72 سنة	995هـ - 1069هـ 1587.1659م	عصر الباشوات
سيطرة فادة القوات البرية على الحكم الصراعات المحلية على السلطة وضعف السيطرة العثمانية فشل الأغوات في إقامة حكومة محلية	12 سنة	1069هـ - 1082هـ 1659.1671م	عصر الأغوات
أطول الفترات في الحكم التركي في الجزائر أصبحت الجزائر في هذا العهد تتمتع بإستقلال ذاتي القضاء نهائيا عن الحكم الإسباني في الجزائر 1792م	159 سنة	1082 - 1245هـ 1671.1830	عصر الدايات

جدول رقم 03 يمثل مراحل الحكم السياسي في الجزائر

وقد قام الأتراك بتقسيم الجزائر في عهدهم إلى أربع ولايات وهي :

عاصمتها	موقعها	الولاية
---------	--------	---------

## الفصل التمهيدي

الجزائر	تحوي عاصمة الدولة وتمتد من دلس شرقا إلى تنس غربا ويحدها بايلكالتيطري جنوبا وبايلك الشرق شرقا وبايلك الغرب غربا ومن أهم مدنها دلس وتنس	دار السلطان
قسنطينة	وهو من أكبر الولايات تحده تونس شرقا ودار السلطان وبايلكالتيطري غربا والبحر المتوسط شمالا والصحراء جنوبا من أهم مدنه عنابة وجيجل	بايلك الشرق
المدية	هو أصغر ولاية يحده دارالسلطان شمالا وغربا وبايلك الغرب وشرقبايلك الشرق وجنوبا الصحراء ومن أهم مدنه مليانة	بايلكالتيطري
العاصمة الأولى مازونة حتى 1710 ثم معسكر حتى 1792م ثم وهران بعد تحريرها من الإسبان	يعتبر الثاني بعد بايلك الشرق في المساحة يحده من الغرب المغرب والشرق بايلكالتيطري ودار السلطان وشمالا البحر المتوسط وجنوبا الصحراء ومن أهم مدنه معسكر وتلمسان	بايلك الغرب

جدول رقم 04 يمثل التقسيمات الإدارية للآيالة العثمانية في الجزائر

أمّا مذهبيا فإنّ عُموم سكّان المغرب الأوسط وإفريقية كانوا على المذهب السنّي المالكي الذي انتشر منذ القرن الثاني الهجري على يد الفقهاء والمعلّمين الذين توافدوا على المنطقة، وقد لاقى هذا المذهب إقبالا من قبل الأهالي، ذلك أنّ الفقهاء لم يخوضوا في العقائد والأصول والفلسفة، بل تركوا ذلك للفطرة وظواهر النصوص، وبالإضافة إلى السنّة وجد المذهب إلى السنة وجد المذهب الخارجي بفرعيه الإباضي والنكاري بمعاملة الأولى تيهرتوواركلا وبعض القبائل شرقي تيهرت حيث أشار اليعقوبي إلى أتباع هذا المذهب

## الفصل التمهيدي

---

حيث يقول:<sup>1</sup> "وإذا خرج الخارج من عمل الزابمغرياً صار إلى قوم يقال لهم بنوا زروال وهم فخذ من بني دمر من زناتة وهم شراة كلهم".<sup>2</sup>

وختاماً يُمكننا القول أنّ بلاد المغرب عموماً وبلاد المغرب الأوسط كانت ساحة للعديد من الدول منها من طالت فترة حكمها ومنها ما قصرت وتداولت هذه الدول بين القوّة والإنحطاط، وهذا كله راجع إلى التعدّد العرقي للقبائل بالمغرب الأوسط، بالإضافة إلى الموقع الجغرافي الإستراتيجي إذ تمثّل حلقة وصل إلى بلاد الأندلس وماجاورها.

---

<sup>1</sup> عبد القادر بوباية وآخرون، المرجع السابق، ص 34

<sup>2</sup> أحمد بن أبي يعقوب اسحاق بن جعفر الشهير باليعقوبي، البلدان، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، منشورات

محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 191

# الفصل الأول

## نشأة التصوف والطرق الصوفية

يُعتبر التصوف من أهم العلوم التي حدثت في الأمة الإسلامية، وكان له من المنتسبين والزواد العدد الهائل، بل إنه أصبح يمثل جزءاً مهماً سواء من حيث التأليف فيه، أو من ناحية الانتماء إليه كتيار ديني في مختلف البلدان الإسلامية، وسنتطرق في هذا الفصل إلى إعطاء صورة عن هذا التيار وعن ماهيته وظهوره وتفرعاته وانتشاره إلى وصوله إلى بلاد المغرب الإسلامي.

**أولاً: نشأة التصوف وتطوره:**

### 01- مفهوم التصوف:

يعتبر التصوف من بين أهم المظاهر الدينية التي أسالت حبرا كثيرا من طرف الباحثين منهم المؤرخين وعلماء الدين والمختصين في الثقافة الإسلامية بشتى تخصصاتها وتفرعاتها.

فهو عند الكثيرين كل عاطفة صادقة، متينة الأواصر، قوية الأصول، لا يساورها ضعف، ولا يطمع فيها ارتياب،<sup>1</sup> والانتفاء إلى تيار التصوف ظاهرة معقدة ومنتشعبة في أعماق الإنسان والظروف الملازمة لوجوده، ومن السذاجة تبسيط أمرها وتعميم الحكم فيها كالقول بأنها نتيجة حتمية لحياة الترف التي توازيها،<sup>2</sup> بل هو ظاهرة دينية ومفهوم معين للإسلام عرفه التاريخ الإسلامي، قوامه فلسفة روحية ترتكز على الذكر والاعتكاف وفق أساليب تربوية مرهقة للنفس لحملها على الطاعة حتى تزكو وترتقي إلى مراتب عليا من الإيمان.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، ج1، المكتبة العصرية للطباعة، بيروت، 1938، ص25

<sup>2</sup> عبد السلام غرميني، المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري، ط1، دار الرشاد الحديثة، 2000، ص23

<sup>3</sup> التليلي العجيلي، الطرق الصوفية والإستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية، مجلد2، منشورات كلية الآداب بمتونة، جامعة تونس، 1992، ص 25

ويمكننا القول أنّ التّصوف نتاجٌ تاريخي لمجموعة من العوامل والمظاهر الإجماعية والسياسية والفكرية والدينية المختلفة التي كوّنت هذه الظاهرة الدينية وتطوّرت بتداخل الثقافات المختلفة وامتزاجها.

ولقد اختلفت المفاهيم في ضبط مبناه، وتعدّدت التعاريف لمصطلحه ومعناه،<sup>1</sup> فعندما نبحث عن أصل كلمة "التصوف" نجد من قد نسبها إلى "أهل الصّفة"، وهناك من قال أخذت من "الصّفاء" أي: صفاء القلب وطهارته في ظاهره وفي باطنه، وهناك من ذهب إلى أنّها مشتقة من "الصّوف" لأنّ بعضا من القوم كانوا يُفضّلون لباس الصّوف لمناسبته لحياة الزهد والورع التي كانوا عليها، وأنّ كلمة تصوّف هي نفسها جمعت عدّة كلمات ولكنّها مختزلة وحسب مصطلحهم فإن: التّاء تشير إلى التّقوى والصاد تشير إلى المصافاة والواو إلى الوفاء والفاء تشير إلى الفناء.<sup>2</sup>

وكلّ هذه الأقوال قريبة مبدئياً وصحيحة من حيث معناها، إلا أنّها بعيدة في مقتضى اللّغة والإشتقاق،<sup>3</sup> فنسبة الصّوفي إلى أهل الصّفة غلط لأنّه لو كان كذلك ل قيل "صّفّي"، وقد ذهب إلى أنّه من الصّوفانّة وهذا أيضا غلط لأنّه لو نُسبوا إليه ل قيل "صّفوفاني"، وقال آخرون هو منسوب إلى "صوفة القفا" وهي الشعرات النّابتة في مؤخره، كأنّ الصّوفي عطف به إلى الحق وصُرف عن الخلق، ورأوا أنّ أوّل من انفرد به بخدمة الله

<sup>1</sup> عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصّوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1989، ص 22

<sup>2</sup> حسن العكريمي، حقيقة التّصوف والطريقة في الإسلام، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 06

<sup>3</sup> مازن الشريف، ومجموعة من الباحثين، التّصوف في المغرب العربي وإفريقيا، ج 01، الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، المنستير، تونس، 2017، ص 27

سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل يقال له "صوفة" واسمه (الغوث بن مر)<sup>1</sup> فانتسبوا إليه لمشابهتهم إياه في الإنقطاع إلى الله سبحانه وتعالى فسموا بالصوفية.<sup>2</sup>  
**أما من الناحية الاصطلاحية:**

فالتصوف من أهم المظاهر الدينية التي اصطبغت بها الحياة الروحية الإسلامية، فهو بحق مرآة عاكسة لها، حيث يُخضع فيها الصوفي نفسه لقواعد وضوابط سلوكية ومبادئ في الأخلاق ومناهج في تذوق الحياة، وقد أجمع الصوفية في كل العصور على أنّ تجاربهم الروحية أمور تستعصي على الوصف وتعلو عن التعبير، فلم يحاولوا أن يضعوا لها تفسيراً أو تعليلاً، ومع ذلك اعترفوا لأنّ محاولاتهم أن يصفوا ما أدركوه بأنّها أمور وجدانية ذوقية لا تفي اللغة بالتعبير عنها أو ترجمتها بالألفاظ، حيث وضع البعض منهم تعريفات للتصوف من حيث هو حياة روحية خاصة، والصوفي من حيث كونه إنسانياً يحيا هذه الحياة الخاصة.<sup>3</sup>

فالتصوف من علوم الشريعة الحادثة في الملة، وأصله العكوف على العبادة والإنقطاع إلى الله، والإعراض عن زُخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور

<sup>1</sup> الغوث بن مر: بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، كان يلي الإجازة للناس بالحجّ من عرفة، وولده من بعده، وكان يقال له ولولده: صوفة، وإنما ولي ذلك الغوث بن مر لأنّ أمّه كانت امرأة من جرهم وكانت لا تلد فنذرت لله إن هي ولدت رجلاً: أن تتصدق به على الكعبة عبداً لها يخدمها، ويقوم عليها، فولدت الغوث، فكان يقوم على الكعبة في الدهر الأول مع أخواله من جرهم، فولي الإجازة بالناس من عرفة، لمكانه الذي كان به من الكعبة، وولده من بعده حتى انقرضوا. أنظر: أبي القاسم عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن، الرّوض الآنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 226

<sup>2</sup> ابن الجوزي، تلييس إبليس، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008، ص 176-177

<sup>3</sup> بوغديري كمال، الطّرق الصّوفية في الجزائر الطّريقة التّيجانية نموذجاً، رسالة دكتوراه، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف، 2015/2014، ص 152

من لذة ومال وجاه، والإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة،<sup>1</sup> وسُميت بذلك لأنّ الذين فكّروا فيها أول مرّة هم من المتصوّفة والمرابطين، حيث اختاروا الإنزواء بمكانها والإبتعاد به عن صخب العمران وضجيجه طلباً لجوّ السكينة والهدوء، وهو الجوّ المناسب للذكر والعبادة.<sup>2</sup>

وعُرف التّصوّف كذلك أنّه التماس الحقّ عن طريق تطهير النّفس التي تلوّثت بأدران المادة عند حلولها في الجسد بعد أن كانت طاهرة شريفة، وإعدادها لقبوله بالإلهام الإلهي، ولا سبيل بعودتها طاهرة إلّا بقهر الجسد وإذلاله وحرمانه من مشتبهاته ورغباته الدنيوية، وذلك بالإنقطاع إلى العبادة، وممارسة الصلّاة، والتّقشّف، فإذا تمّ لها ذلك سمّت نحو الله واقتبست منه المعرفة الحقيقية وسلكت طريق الجنة،<sup>3</sup> ومجاهدة النفس والخلوة والذكر يتبعها غالباً كشف حجاب الحسّ والإطلاع على علم من أمر الله لصاحب الحسّ إدراك شيء منها، والروح من تلك العوالم، وسبب هذا الكشف: أن الروح إذا رجعت عن الحسّ الظاهر إلى الباطن ضعفت أحوال الحسّ وقويت أحوال الروح وغلب سلطانه وتجدّد نشوه، وأعان على ذلك الذكر فإنّه كالغذاء لتنمية الروح، ولا يزال في نموّ وتزايد إلى أن يصير شهوداً بعد أن كان علماً ويكشف حجاب الحسّ ويتمّ وجود النفس، والعلوم اللدنيّة والفتح الإلهي...، هذا الكشف كثيراً ما يُعرض لأهل المجاهدة فيُدركون من حقائق الوجود ما لا يُدرِك سِواههم وكذلك يُدركون كثيراً من الواقعات قبل وقوعها.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ط1، دار ابن الهيثم، القاهرة، 2005، ص391

<sup>2</sup> عبد الله عمّاري، "واقع تعليم العربية في الزوايا القرآنية بمنطقة توات الجزائرية"، مجلة آفاق علمية، مج 11، ع

03، المركز الجامعي تمنراست، 2019، ص 389

<sup>3</sup> إيميل ناصيف، أروع ما قيل في الزهد والتصوف، دار الجيل، بيروت، 1992، ص 97

<sup>4</sup> صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم، الوشم المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، ج2، دار

الكتب العلمية، بيروت، 1978، ص 157

كما عُرف أيضاً أنه امتثال الأمر واجتتاب النهي في الظاهر والباطن من حيث يرضى لا من حيث ترضى،<sup>1</sup> وعرف أنه ترك لذائد الدنيا الفانية طمعا بلذائد الآخرة الخالدة،<sup>2</sup> وعرفه الغزالي: "هو أن تأتي الدنيا الإنسان رغبة صفواً عفواً، وهو قادر التنعم بها من غير نقصان جاه، وقبح اسم، فيتركها خوفاً من أن يأنس بها، فيكون آتسا بغير الله، محباً لما سوى الله، ويكون مشركاً بما في حب الله غيره"،<sup>3</sup> كما عرف التّصوف أنه تجنّب كل وصف قبيح ودنيء والتّحلّي بكلّ خلق سنّي، وأن تعمل لله بغير غاية إلاّ رضاه.

ومن خلال ما سبق من التعريفات يُمكن أن نخلص إلى أنّ التّصوف هو أخلاق دينية وطريقة سلوكية قوامها التقشّف والزهد والتّخلي عن الرذائل والتّحلي بالفضائل، ولذلك تتفق معظم الآراء حول التّصوف على أنه نزعةٌ روحيةٌ تتأى بالإنسان من العالم المادي وترتفع به إلى العالم الخارجي،<sup>4</sup> وهو طريق أو منهج أو اتّجاه يسير فيه المرء الذي يُسمّى نفسه "سالكا" وهذا السالك ينتقل من مقامٍ إلى مقامٍ ومن حالٍ إلى حالٍ خلال عبور هذا الطّريق الصّوفي الذي هو أشبه برحلة طويلة أو حج يمرُّ من درجة إلى درجة، وهو في كلّ درجة ينتقل إليها تحدّثٌ له حالٌ مخالفة لما سبقها ولما سيتلوها، في هذه المرحلة يسعى السالك إلى البحث عن ربّه، ذلك أنّه قد أدرك في مرحلة سابقة أنّ للمخلوقات خالقاً وأنّ للعالم صانعا عظيما حكيمًا وهو الآن يطمح من رحلته هذه أن يصل إلى ربّ العالمين.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> أيمن حمدي، قاموس المصطلحات الصوفية، دار أنباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص 50

<sup>2</sup> إيميل ناصيف، المرجع السابق، ص 07

<sup>3</sup> أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج4، دار القلم، بيروت، لبنان، د ت، ص 187

<sup>4</sup> إبراهيم مياي، لمحات من جهاد الشعب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 213

<sup>5</sup> بوغديري كمال، المرجع السابق، ص 177

إذن فالتصوف في نظر العارفين هو مراقبة الله في السرّ والعلن بعيدا عن الأنظار، والوقوف على أحكام الشرع والتقيد بها، والمجاهدة الدائمة لتطهير القلب من الشهوات والأهواء، والأمراض الخفية التي تُبعد السالك عن الله عز وجلّ، ولا مصطلحات وشعارات أو أقوال يردّها السالك.<sup>1</sup>

وحتى أضع الموضوع في سياقه التاريخي لنتبّع نشأة التصوف وكيف وصل إلى بلاد المغرب العربي عموما، ثم تغلّغه في بلاد المغرب الأوسط وانتشاره وذيوعه ليصبح قوّة دينية لها أدوار كبيرة في تاريخ المغرب الأوسط، سنُحاول تتبّع مراحل انتشاره وأهمّ المحطّات التاريخية لهذه الظاهرة الدّينية.

<sup>1</sup> مكّي عبد الكريم، "التصوف في نظر الثعالبي"، مجلة الفكر المتوسطي، عدد خاص، ع 07، جامعة أبي بكر بلقايد،

تلمسان، سبتمبر 2013، ص 341

## 02: نشأة التصوف:

يرى الكثير من الباحثين خاصّة منهم المستشرقين وغيرهم من بعض المسلمين الذين يكتبون في موضوع التّصوف أن يردوا الجانب الرّوحي في الإسلام الذي اصطلح على تسميته بالتّصوف إلى مصدر أجنبي بحت هندي أو يوناني أو مسيحي أو إلى أي مصدر آخر خارجي لا يمتّ للإسلام بصلة، ويريد أكثر أولئك المستشرقين من وراء ذلك أن يبيّثوا الشّكوك بين النّاس وأن يستغلّوا التّصوّف استغلالاً سلبيّاً بإثارة الشّبّهات ممّا يؤدي إلى الجدل والخلاف المؤرّث للضّغن وقسوة القلوب والطّعن في الأعراض وفي هذا من المفاصد ما لا يخفى.<sup>1</sup>

وبدأت بذور التصوف تظهر في سماء الفكر الإسلامي في بداية القرن 2هـ/8م على هيئة نزعات شديدة من الرّهد في متاع وزُخرف الدّنيا نتيجة ما وقع فيه العالم الإسلامي وقتئذٍ من حوادث شديدة أثّرت تأثيراً كبيراً في جميع جوانب الحياة.<sup>2</sup>

ففي زمن رسول الله صلى الله عليه وسلّم كانت النّسبة إلى الإيمان والإسلام، فيقال مسلم ومؤمن، ثم حدث اسم زاهد وعابد، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالرّهد والتعبّد فتخلّوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفرّدوا بها وأخلاقاً تخلّقوا بها،<sup>3</sup> ثم انتشرت الفتوحات واتّسعت رقعة أرض المسلمين، واختلط العرب بالعجم وعُرّبت كُتُب الفلاسفة اليونان وأدباء الفرس، فبلبت أفكارها عقول المسلمين وجنحت بهم إلى كثرة التّشكيك،<sup>4</sup> ولما فشا الإقبال على الدنيا في القرن 2هـ/8م وما بعده، وجنح النّاس إلى مخالطة الدنيا

<sup>1</sup>مازن الشريف، المرجع السابق، ص 41،

<sup>2</sup> عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المرجع السابق، ص 22

<sup>3</sup> ابن الجوزي، المرجع السابق، ص 176

<sup>4</sup> محمد بن عبد الكريم، التّصوف في ميزان الإسلام، مطبعة النهضة، وهران، 1997، ص 10

اختصّ المقبلون على العبادة باسم الصّوفية والمتصوّفة،<sup>1</sup> فالصّوفية لم تكن بطبيعتها فرقة واضحة متميّزة حتى يمكن للباحث تتبّع تطوّرها، لكننا سنحاول ذكر المعالم الرئيسية التي مرّت بها الفرقة عبر القرون، وما قد يكون من ظهور أفكار كبرى تصلح أن يعتبرها الباحث مرحلة من المراحل، فهو تطوّر امتزج فيه التاريخ بالفكر.<sup>2</sup>

فخلال القرنين 1هـ-2هـ/7م-8م كان التّصوف عبارة عن زهد، إذ اقتصر بعض المسلمين آنذاك على نمط خاص في حياتهم سواء في مآكلهم أو ملبسهم أو مسكنهم، إلى جانب إقبالهم على العبادة والإكثار من الأدعية وتفضيلهم الآخرة على الدنيا والعمل لها،<sup>3</sup> ويبدو أنّ من أسباب ظهور طبقة العبّاد والزّهاد هو إقبال الناس على الدنيا يجمعون منها ويتفاخرون،<sup>4</sup> فكانت ردّة الفعل عند البعض هي الابتعاد الكلّي عنها، ولا بدّ أنّ هناك أسبابا أخرى قد تكون شخصية وقد تكون من أثر إقليم معيّن أو مدينة معيّنة،<sup>5</sup> وبالفعل هناك من يرى أنّ التّصوف ليس نتيجة معاكسة لحياة مادية بانخة، وإنّما نتيجة آلية لغيابها، بمعنى أنّه يزدهر في التربة التي لا تعرف إغراءات مادية ولا أحابيل شهوانية، عسير أمر هذا الذي نسّميه بالتصوّف، ينفلت من بين أيدينا كلّما أردنا أن نشدّ عليه لنُدخله في قالب حتمي قائم على الأسباب والمسببات، مرّة يبدو لنا مزدهرا في البيئة الغنية المتفسّحة، ومرّة

<sup>1</sup> عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ص 391

<sup>2</sup> محمد العبدو، طارق عبد الحليم، الصوفية نشأتها وتطورها، دار الأرقم، الكويت، دت، ص 13

<sup>3</sup> أبو الوفاء الغنيمي التافتراني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ط3، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1979، ص

17

<sup>4</sup> عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ص 467

<sup>5</sup> محمد العبدو، طارق عبد الحليم، المرجع السابق، ص 17

يظهر نشاطاً في الوسط المتقشّف البسيط، وأحياناً يتجلّى كظاهرة شعبية لا صلة له بالثقافة وأهلها، وتارة يجذب إليه عمالقة الفكر وأرياب النّظر.<sup>1</sup> ثم تأخذ ظاهرة الزُّهد نمطاً آخر، وتنتشر عبر جميع البلاد الإسلامية،<sup>2</sup> حيث أصبح الزهد علم عملي وفنّ للعبادة ومنهج للحياة وأداة تؤهّل للتصوف،<sup>3</sup> واستمر في النّمو والانتشار خلال القرن 3هـ/9م،<sup>4</sup> وبدعم هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية: "أما لفظ "الصوفية" فإنّه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة، وإنّما اشتهر التكلّم به بعد ذلك، وقد نقل التكلّم به بعد ذلك، وقد نقل التكلّم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ: كالإمام أحمد بن حنبل، وأبي سليمان الداراني، وغيرهما، وقد روي عم سفيان الثوري أنّه تكلم به، وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري، وتنازعا في المعنى الذي أضيف إليه الصوفي، فإنّه من أسماء النّسب،: كالقرشي، والمدني، وأمثال ذلك.<sup>5</sup> وقال: "وأوّل مَنْ بَنَى دُويْرَةَ الصُوفِيَّةِ بَعْضُ أَصْحَابِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ \*، وَعَبْدُ الْوَاحِدِ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ، وَكَانَ

<sup>1</sup> عبد السلام غرميني، المرجع السابق، ص4

<sup>2</sup> أحمد عبيدي، الخطاب بالشعري الصوفي المغربي في القرنين السادس والسابع الهجري، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2004/2005، ص 22

<sup>3</sup> أنثيوش بلاسين، ابن عربي حياته ومذهبه، ترجمة عبد الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دت، ص 111

<sup>4</sup> منال عبد المنعم جاد الله، التصوف في مصر والمغرب، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1997، ص 121

\* عبد الواحد بن زيد : أبو عبيدة البصري الزاهد القدوة شيخ العباد أبو عبيدة البصري، حدّث عن الحسن وعطاء بن أبي رباح وعبد الله بن راشد، وعبادة بن نسي وعدة، وعنه: محمد بن السماك ووكيع وزيد بن الحباب وأبو سليمان الداراني ومسلم بن إبراهيم وآخرون، قال حصّين الوزان: لو قُسم بث عبد الواحد على أهل البصرة لوسعهم. وقد نُسب إلى شيء من القدر ولم يشهر، بل نصب في مذاهب النّسّاك وتبعه خلق. أنظر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد "الذهبي"، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، 2006.

<sup>5</sup> ابن تيمية، فقه التّصوف، تهذيب وتعليق زهير شفيق الكبي، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1993، ص11

في البَصْرَةَ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي الزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ وَالْخَوْفِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مَا لَمْ يَكُنْ فِي سَائِرِ أَهْلِ الْأَمْنَسَارِ، لَذَا يُقَالُ فَقَهُ كُوفِي وَعِبَادَةَ بَصْرِيَّةً".<sup>1</sup>

وبداية من القرن 2هـ/8م إلى القرن 7هـ/13م تطور التصوف إلى علمٍ ونظامٍ شديد في العبادة وصار اتجاهاً نفسياً وعقلياً وسلوكياً وعملاً وعبادة، ويُعدُّ بوجه عام فلسفة حياة وطريقة معيَّنة في السلوكات يتَّخذها المتصوِّف لتحقيق كماله الأخلاقي وعرفانه بالحقيقة وسعادته الروحية.<sup>2</sup>

ومن هذا يمكن اعتبار نهاية القرن 2هـ/8م هي الحدُّ الفاصل بين فترة الزُّهد وبداية التَّصوف. حيث يرى أبو العلا عفيفي أنَّ التَّصوف جاء نتيجة خروج الإسلام من حدود البيئة الصَّحراوية التي نشأ فيها، وامتزاج تعاليمه بتعاليم وأديان الأمم التي نشر فيها ضوئه، تلك الأمم التي كانت على حظِّ كبير من الفلسفة والعلم والحياة الروحية العميقة، فالنَّصوف في حقيقته وليد تاريخ الإسلام الديني والسياسي والعقلي والاجتماعي وليس وليد الإسلام وحده.<sup>3</sup>

لتحدُّث مرحلة انتقالية بين هذا الزُّهد المشروع وبين التَّصوف حتى أصبح له تآليف خاصة،<sup>4</sup> إذ دخلت كثير من الأمم الإسلام نتيجة الفتح الإسلامي لها، وأقبل الناس على الحياة من متع وملذَّات، وتكالب الخلفاء على الحكم، وانقسم المسلمون بين معارضين ومؤيِّدين للحكام، فكان لا بدَّ أن يواجه علماء التصوف تعبيرات جديدة، هذه التعبيرات

<sup>1</sup> أحمد بن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، المجلد 11، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن قاسم، مكتبة المعارف، الرباط، دت، ص 356

<sup>2</sup> الطَّاهر بونابي، المرجع السابق، ص 38

<sup>3</sup> أبو العلا عفيفي، التَّصوف الثورة الروحية في الإسلام، دار الشعب للطباعة والنشر، بيروت، ص 58

<sup>4</sup> محمد العبدو، طارق عبد الحليم، المرجع السابق، ص 17

مستمدّة أيضا من الكتاب والسنة ثم أرادوا أن يميّزوا بينهم وبين بقية المسلمين،<sup>1</sup> ومن أهمّ روّاد هذه المرحلة نذكر الحسن البصري\* وأبي يزيد طيفور الفارسي\*،<sup>2</sup> وعبد الواحد بن زيد\* ورابعة العدوية\* وهم من أقطاب المرحلة الإنتقالية.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المرجع السابق، 27

\* الحسن البصري: هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ويقال مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي، قاله عبد السلام أبي مطهر، عن غاضرة بن قرهد العوفي، ثم قال: وكانت أم الحسن مولاة لأم سلمة أم المؤمنين المخزومية، ويقال كان مولى جميل بن قطبة. ويسار أبوه من سبي ميسان سكن المدينة وأعتق، وتزوَّج بها في خلافة عمر فولد له بها الحسن - رحمة الله عليه - لسنتين بقيتا من خلافة عمر واسم أمه خيرة، ثم نشأ الحسن بواد القرى، وحضر الجمعة مع عثمان، وشهد يوم الدار وله يومئذ أربع عشرة سنة. وكان الحسن دائم الحزن، كثير البكاء مطالباً نفسه بالحقائق بعيداً عن التصنع لا يظهر التقشف وإن كان بادياً عليه ولا يدع التجمل ولا يمتنع من لبس جيد الثياب، ولا يتخلف عن مؤاكلة الناس ولا يتأخر عن إجابة الداعي إلى الطعام، وكان له سمّت يعرفه به من لم يكن رآه. وقد ذكر عليه الكثير من الزهد. أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، وكذلك: جمال الدين ابن الفرج ابن الجوزي، آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، تحقيق سليمان الحرش، ط3، دار النوادر، 2008، ص23

\* طيفور الفارسي: أبو يزيد البسطامي طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي البسطامي أبو يزيد توفي على ما ذكره الشيخ شمس الدين في حدود الثلاثمائة، وقال في هذا: الأصغر واسم جد الكبير شروسان واسم جد هذا آدم وقال ابن خلّكان: توفي سنة إحدى وستين ومائتين، أنظر: الوافي في الوفيات، ج13، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ص 86، أنظر كذلك: كمال الدين محمد بن محمد شريف العامري، الورد الأنسي والوارد القدسي في ترجمة العارف عبد الغني النابلسي، ناشرون، بيروت، لبنان.

<sup>2</sup> الفريد بيل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمان بدوي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987، ص 863.

\* عبد الواحد بن زيد: سبق تعريفه

\* رابعة العدوية: البصرية الزاهدة العابدة أم عمرو رابعة بنت إسماعيل، ولاؤها للعتكيين. صوفية كبيرة وعابدة شهيرة تمكّنت في معرفة دقائق التصوف مكانا عليا واستقتها في دقائق التصوف كبار المتصوفة. أنظر: سير أعلام النبلاء، ج7، دار الحديث، ص 273، أنظر كذلك: عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص430

<sup>3</sup> محمد العبدو، طارق عبد الحليم، المرجع السابق، ص 18

ونجد الصّوفية في هذه المرحلة (ق3هـ/9م) قد عنوا بالكلام في دقائق أحوال النفس والسلوك وغلب عليهم الطابع الأخلاقي في علمهم وعملهم ، كما نشأ من ذلك كلّ علم الصّوفية حيث يميّز عن علم الفقه من ناحية الموضوع والمنهج والغاية، وله لغته الإصلاحية الخاصة التي لا يشارك الصّوفية فيها غيرهم، وفي هذه المرحلة نجد المشايخ يجمعون حولهم المريدين من أجل تربيتهم، فتكوّنت لأول مرّة الطّرق الصّوفية في الإسلام والتي كانت آنذاك بمثابة المدارس التي يتلقّى السّالكون فيها آداب التّصوّف علما وعملا،<sup>1</sup> كما تميّزت هذه المرحلة أيضا بما يسمّونه المقامات كمقام التوكّل ومقام الرّضا الذي له صلة بموضوع القضاء والقدر،<sup>2</sup> وأصبح للمتصوّفة مذهبهم الخاص من حيث الطّرق والوسائل دون أن تختلف في الجوهر عن المذاهب الإسلامية، وواجهت حركة التّصوّف معارضة من كثير من الفقهاء، وحتى من السّلطة المركزيّة لكنّها لم تتوقّف الإنتشار،<sup>3</sup> وقد كان ذو النّون المصري (ت 245هـ/860م)\* أكبر شخصيّة مثّلت المذهب الصّوفي

<sup>1</sup> فاطمة قارة، موقف الطّرق الصّوفية التّونسية من الحماية الفرنسيّة (1939/1881) الطّريقة القادرية والتّيجانية، مذكرة ماجيستر، كلية العلوم الإنسانيّة، جامعة الجزائر، 2012/2011، ص08

<sup>2</sup> محمد العبدو، طارق عبد الحليم، المرجع السابق، ص 36

<sup>3</sup> ألفريد بيل، الفرق الإسلاميّة في الشّمال الإفريقي، تحقيق عبد الرحمان بدوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 401

\* ذو النّون المصري: الزاهد شيخ الديار المصريّة ثوبان بن إبراهيم وقيل فيض بن أحمد وقيل فيض بن إبراهيم النوبي الإخميمي، يكتّى أبا الفيض، ويقال أبا الفياض، وُلد في آخر أيام المنصور، قال ابن يونس: كان عالما فصيحاً حكيماً توفي في ذي القعدة سنة خمس وأربعين ومائتين، وقال السلمي: ذو النّون أوّل من تكلم في بلده في ترتيب الأحوال ومقامات الأولياء. وجاء في الوافي بالوفيات: اسمه ثوبان. وكذلك في ميزان الإعتدال: اسمه ثوبان بن إبراهيم، قال: كان ممن امتحن وأوذي لكونه أتاهم بعلم لم يعهدوه واتهم بالزندقة. أنظر: سير أعلام النبلاء، و الوافي بالوفيات، ومحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ميزان الإعتدال في نقد الرجال، مجلد2، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1963، ص 33.

وطبعته بطابعه الدائم،<sup>1</sup> والسري السقطي\* وأبا القاسم الجنيد\* وكذا أبي الحسن النوري\*،<sup>2</sup> وقد طرأت على التصوف في المراحل التالية إضافات كمّية ونوعيّة كانت تزيد اتساعاً وبعداً عن شكله الأوّل.<sup>3</sup> وفي أواخر القرن 3هـ/9م وبداية القرن 4هـ/10م تحوّلت الحركة الصوفية إلى تيار فكري مع الحلاج\* صاحب نظريّة الحُلُول، الذي أُعدم لاثّهامه بالكفر لكونه قال عبارات خارجة عن الدين كعبارة أنا الحق، معتبراً بذلك نفسه هي الله، وبعده

<sup>1</sup> محمد بركات البيلي، الزّهاد والمتصوّفة حتى القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية، القاهرة، 1993، ص 38

\* السري السقطي: أبو الحسن سري بن المفلس السقطي، أحد رجال الطريقة وأرباب الحقيقة، كان أوحد زمانه في الورع وعلوم التّوحيد وهو خال الجنيد وأستاذه، وهو تلميذ معروف الكرخي. وهو أول من تكلم ببغداد في لسان التّوحيد وحقائق الأحوال، وهو إمام البغداديين وشيخهم في وقته، مات سنة إحدى وخمسين ومائتين. أنظر: الوافي بالوفيات، كذلك:

أبي عبد الرحمان السلمي، الطبقات الصوفية، تحقيق أحمد الشرباصي، ط2، مؤسسة دار الشعب، 1998، ص19

\* أبا القاسم الجنيد: أبو القاسم بن محمد بن الجنيد النهاوندي الأصل ولد ببغداد بعد العشرين ومائتين، وكان أبوه يبيع الزجاج، فلذلك كان يقال له القواريري، أصله من نهاوند، من بلاد الجبل، ومولده ومنشؤه بالعراق وكان فقيهاً تفقه على أبي ثور وكان يفتي في حلقته، وصحب السري السقطي والحارث المحاسبي ومحمد بن علي القصاب البغدادي وغيرهم، وهو من أئمة القوم وسادتهم، توفي سنة سبع وتسعين ومائتين. أنظر: الوافي بالوفيات وكذلك طبقات الصوفية، ص49

<sup>2</sup> محمد مصطفى حلمي، الحياة الروحية في الإسلام، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984، ص 17

<sup>3</sup> محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص 43

\* الحلاج: أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج، وهو من أهل بيضاء وفارس، نشأ بواسط والعراق، وصحب الجنيد وأبا الحسين النوري وعمر المكي، واختلف فيه المشايخ رده أكثرهم ونفوه وأبوا أن يكون له قدم في التصوف، وقبّله آخرون منهم أبو العباس بن عطاء و أبو عبد الله محمد بن خفيف، قُتل ببغداد باب الطّاق يوم الثلاثاء لستّ بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة. أنظر: طبقات الصوفية، ص102. امتدّ لاثّهامه قروناً، فنشأت الطّرق الصوفية الكبرى حتى إنّ البكتاشية التي انتشرت في كثير من الدول ترجع في أصولها إلى الحلاجية. أنظر: طه عبد الباقي سرور، الحلاج شهيد التصوف الإسلامي 309/244، وكالة الصّحافة العربية ناشرون، الجزيرة، مصر، 2018، ص18، أنظر أيضاً: زكي مبارك، التّصوّف الإسلامي في الأدب والأخلاق، مؤسّسة هنداي للثقافة، القاهرة، 2012، ص 197.

تنفيذ حكم الإعدام في حقّه اعتُبر شهيداً،<sup>1</sup> ممّا ألزَم الصّوفية المعتدلين محاولة النهوض بالتصوف وجعله يتوافق مع الشريعة، فخلال القرن 5/هـ 11م نحا هؤلاء بالتصوف منحاً اصطلاحياً، إذ عملوا على محاربة الغلوّ والإنحرافات التي عرّفها بعض المتصوّفة أمثال الحلاج والبسطامي(ت262هـ/876م) محاولين الرجوع به إلى الكتاب والسنة النبوية،<sup>2</sup> فخلال القرن 5/هـ 11م تمّ التوفيق بين التصوف والسنة بفضل القشيري،\* الذي بعث برسالته في حدود 437هـ/945م إلى الصّوفية في بلاد الإسلام وهي خلاصة لمبادئ التصوف بُنيت على أساس الشريعة الإسلامية،<sup>3</sup> كما أنّ أبا حامد الغزالي (ت505هـ/1111م) هو الآخر عهد إلى الرجوع بالتصوف إلى قواعد الدين الإسلامي،<sup>4</sup> في هذه المرحلة التي كان يُمثّلها الإمام الغزالي أصبح التصوف طريقاً ذوقياً ومنهجاً روحياً يُوصِل إلى المعرفة ويُستعان به على تحقيق السعادة في الدارين، حيثُ أصبح التصوف هنا مخالفاً لعلم الكلام بعد أن كان مخالفاً لعلم الفقه،<sup>5</sup> وقد انتصر الإمام الغزالي للتصوف

<sup>1</sup> ناصر الدين سعيدوني، مؤسسة الزوايا في الجزائر العثمانية، نموذج بلاد القبائل، مجلة: international congres on Learning and éducation the ottoman, world Istanbul, 12–15 April 1999, p29

<sup>2</sup> ديلاسيأوليري، الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ترجمة إسماعيل البيطار، دار الكتاب، بيروت، لبنان، ص 265  
\* القشيري: أبو الحسن بن الحاج بن مسلم القشيري نسباً النيسابوري وطناً، وهو أحد أعلام أئمة هذا الشأن، وكبار المبرزين فيه، وأهل الحفظ والإتقان والرحالين في طلبه إلى أئمة الأقطار والبلدان والأقطار والبلدان، والمعترف له بالتقدم فيه بلا خلاف عند أهل الحذق والعرفان والمرجوع إلى كتابه والمعتمد عليه في كلّ الأزمان. أنظر: المنفردات والوحدان، للإمام الحافظ مسلم بن الحاج القشيري النيسابوري، تحقيق عبد الغفار سليمان البندارري و السعيد بن بسيون زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1988، ص13.

<sup>3</sup> أبو الوفاء التفتازاني، المرجع السابق، ص 147

<sup>4</sup> الفرد بل، المرجع السابق، ص 367

<sup>5</sup> أبو الوفاء التفتازاني، المرجع السابق، ص 18–19

السُّنِّي القائم على الكتاب والسنة، وضمّن كتابه "إحياء علوم الدين" أحكام الورع والإقتداء إلى جانب شرح مصطلحات المتصوّفة وتبيين آدابهم.<sup>1</sup>

وفي القرن 6/هـ 12م ازداد تأثر التّصوّف السُّنِّي في العالم الإسلامي بشخصية الإمام الغزالي، حيث ظهر صوفيّة كبار كوّنوا لأنفسهم رُتَبًا لتربيّة المريدين،<sup>2</sup> وفي هذه المرحلة ظهرت الكثير من الطّرق الصّوفية التي مازال امتدادها قائمًا إلى وقتنا الحاضر، منها على سبيل المثال الطّريقة القادرية نسبة إلى عبد القادر الجيلاني والطريقة الرّفاعية نسبة إلى أبي العبّاس أحمد بن الحسين الرّفاعي والتي انتشرت بمصر وشمال إفريقيا، والأحمدية نسبة إلى أحمد البدوي والبرهامية والشاذلية،<sup>3</sup> وسننطرق إلى الطّرق الصّوفية بالتّفصيل في فصل آخر من هذا البحث، خاصّة منها التي انتشرت في المغرب الأوسط وكانت لها أتباعٌ وزوايا.

هكذا كان مسار التصوف في العالم الإسلامي منذ ظهوره في القرن 2/هـ 8م حتى ظهور الطرق الصوفية في القرن 6/هـ 12م، وإذا كانت نزعة الزهد التي سبقته ومهدت له قد بدأت في المشرق الإسلامي وفيه تصاعدت مؤدية إلى التصوف، فإن الأمر لم يختلف عن ذلك في المغرب الإسلامي الذي لم يتأخر كثيرا عن مواكبة الحركة الزهدية الصوفية في المشرق الإسلامي، إذ ما لبثت هذه الحركة أن امتدت إلى بلاد المغرب.<sup>4</sup>

ويبدو أنّ الإهتمام بالتاريخ للتصوف لم يكن له شأن التّصوف نفسه - خاصة في بلاد المغرب الإسلامي - ولم يحظَ بالإهتمام الذي حظي به التّصوف نفسه، إذ لم يسايره

<sup>1</sup> عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ص 382

<sup>2</sup> فاطمة قارة، المرجع السابق، ص 09

<sup>3</sup> إبراهيم مذكور، معجم العلوم الإجتماعية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1975، ص 368

<sup>4</sup> محمد بركات النبيلي، المرجع السابق، ص 49

في الظهور كظاهرة دينية بل جاء متأخراً عنها، غير بعض الإشارات الخفيفة المتفرقة لبعض التراجم والسير، أمّا عن التأريخ له فيبدأ تحديداً من القرن السادس الهجري/12م. إن حركة الزهد في المغرب الأوسط إلى غاية نهاية النصف الأول من القرن 5هـ/11م استمدت أفكارها وتأثرت إلى حد كبير بالتطورات الزهدية والصوفية التي عرفتها مدينة القيروان قبل خرابها من طرف القبائل الهلالية سنة 449هـ/1057م، وقد نتج عن هذا الارتباط ظهور تيارين زهدين: تيار يعتمد طابع المجاهدة العلمية من خلال المرابطة في الثغور والسواحل لحراستها من هجمات المسيحيين، وتيار زهد أنصاره اعتكف أصحابه على مجاهدة أنفسهم عن طريق الصيام والقيام والمكابدة على نشر العلم بين المتدربين،<sup>1</sup> فالأولى كانت مرحلة التصوف النخبوي من أمثال ما يبرز خلالها أبو مدين شعيب\*، ومحي الدين العربي\* وأبو الحسن الشاذلي وذلك خلال القرن 6هـ/12م أمّا

<sup>1</sup> الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص ص 53-54

\* أبو مدين شعيب: ابن حسين الأنصاري، أصله من حصن قطنيانة من عمل إشبيلية، اختلّف في عام ولادته قبل سنة 520هـ/1126م وقيل سنة 509هـ/1109م وقيل عام 504هـ/1110م، نزل بجاية وأقام بها إلى أن أمر بإحضارها إلى حضرة مراكش، فمات وهو متوجه إليها بموضع يسّر عام أربعة وتسعين وخمسمائة وقيل عام ثمانية وثمانين، ودفن بالبغداد خارج تلمسان، وذكره الشيخ أبو الصبر أيوب بن عبد الله الفهري فقال: كان زاهداً فاضلاً عارفاً بالله تعالى، قد خاض من الأحوال بحارا ونال من المعارف أسراراً وخصوصاً مقام التوكل لا يُشَقُّ فيه غباره ولا تُجهل آثاره وكان مبسوطاً بالعلم مقبوضاً بالمراقبة كثير الإلتفات بقلبه إلى الله تعالى حتى ختم الله له ذلك. أنظر: أبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1984، ص 319، سيرته أكثر: أنظر أكثر: شجرة النور الزكية، البستان، كنز البراهين. وكذلك: ديوان أبي مدين شعيب الغوث، جمع وترتيب: عبد القادر سعود، سليمان القرشي، ط1، ناشرون، لبنان، 2011، كذلك: ابن عطاء الله السكندري، عنوان التوفيق في آداب الطريق، تحقيق خالد زهري، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2004، ص 9 وما بعدها.

\* محي الدين العربي: محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي، يكتى أبا بكر ويُلقب بمحي الدين

المرحلة الثانية فكانت مرحلة الإنتقال إلى التَّنْظِيم الجماعي للتَّصَوُّف، أو الإنتقال من التَّصَوُّف الفكري إلى التَّصَوُّف الشَّعبي الطَّرْقي، وقد وقع ذلك في ظرْفِيَّات تاريخية خاصة،<sup>1</sup> فحركة التَّصَوُّف كانت نتيجة لتراكم عدَّة عوامل سياسية ودينية واقتصادية واجتماعية، أدَّى تفاعلها إلى انتشار التَّصَوُّف خلال عصر المرابطين في شكله البسيط ليعرف ازدهارًا وتطورًا في توجُّهه الفلسفي مع الموحِّدين.<sup>2</sup>

ففي عهد المرابطين نشأ التَّصَوُّف مبنياً على الزَّهد والتَّقشُّف والنُّسك وحمل النَّفس على المجاهدة والطَّاعة، والوقوف مع ظاهرة الشَّرْع دون التَّغْلغل في علوم المكاشفات والحقائق،<sup>3</sup> ولم تعرف بلاد المغرب أيَّ انتشار للفلسفة والحكمة قبل تأسيس دولة الموحِّدين لتمسك علمائها بمذهب أهل السُّنَّة، وعدائهم للمعتزلة والفلاسفة والغلاة من الصُّوفية،<sup>4</sup> وفي منتصف القرن 5هـ/11م دخلت بعض كتب التَّصَوُّف للمغرب وفوجئ العلماء في أواخر هذا القرن بكتاب إحياء علوم الدِّين للإمام الغزالي، ووجدوا فيه الكثير ممَّا لم يألفوه فثاروا عليه وأمروا بإحراقه وتحريم قراءته.<sup>5</sup>

ويعرف بالحتمي ويابن عربي لدى أهل الشرق، تقرِّفاً بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي، ويابن العربي لدى المغاربة، وكما يسمِّي نفسه في كتبه، كان مولده يوم الإثنين سابع عشر من رمضان عام 560هـ في مرسية. أنظر: طه عبد الباقي سرور، محي الدين بن عربي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014، ص 15

<sup>1</sup> لطيفة الأخضر، الإسلام الطَّرْقي، دار سراس للنشر، 1993، ص 37

<sup>2</sup> زينب ملياني، التَّصَوُّف بالغرب الإسلامي في عصر المرابطين والموحِّدين، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006/2007، ص 28

<sup>3</sup> مختار الطاهر فيلاي، نشأة المرابطين والطَّرْق الصُّوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن الجرافيك للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، 1976، ص 17

<sup>4</sup> إسماعيل حنفوق، دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس 1844/1931، رسالة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010/2011، ص 16

<sup>5</sup> منال عبد المنعم جاد الله، المرجع السابق، ص 125

أما في عهد الدولة الموحدية فقد كان ابن تومرت ينتحل مذهب الأشعرية في تأويل المتشابه ويُنكر على الفقهاء جمودهم على المذهب السلفي،<sup>1</sup> وتولّى عبد المؤمن بن علي الحكم بعد ابن تومرت وسار على دربه و أمر العامة بأن يشتغلوا بدراستها فتأصلت مدرسة مغربية في تدريس العقيدة، وقام بعض العلماء بتدعيم هذه المدرسة كأبي الحسن علي بن محمد بن خليل الإشبيلي (ت576هـ/1181م) وأبي عمر عثمان القيسي المعروف بالسَّلَاجي (ت564هـ/1169م)\* صاحب "العقيدة البرهانية" وقد أَلَّفوا في ذلك كتباً كثيرة.<sup>2</sup>

وفي عهد أبو يوسف يعقوب (ت595هـ/1199م) ابن عبد المؤمن أمر بإحراق كتب المذهب المالكي، وأمر بترك الإشتغال بعلم الرأي وقصد محو مذهب مالك وحمل الناس على الظاهر، ممّا أدّى إلى انتشار التصوف الفلسفي وطُغيانه على علم الفروع.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط1، مج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 267  
\* السَّلَاجي: عثمان بن عبد الله بن عيسى -أو عسلوج- القيسي القرشي، يُكْنَى بأبي عمرو، وعرف واشتهر بالسَّلَاجي، إما نسبة إلى المنطقة التي ولد فيها وموطنه الأول "سليليجو" وهو اسم بلد من بلاد مديونة في قبلة مدينة فاس، وإما لسكانه بجبل سلسليجو الذي كان يتردد عليه من فاس، إمام أهل المغرب في علم الاعتقاد، مات شهر جمادي الثانية عام أربعة وستين وخمسمائة. أنظر: التشوف، وكذلك: شجرة النور الزكية، والأعلام (الزركلي)، وكذلك: أبي عمر عثمان السَّلَاجي، العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية، تحقيق نزار حمادي، ط1، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2008.

<sup>2</sup> عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ص 446

<sup>3</sup> عمر النجّار عبد المجيد، فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص 39

\* ابن طفيل: أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي، فهو ينتسب إلى قبيلة قيس، الوادي آشي الغرناطي الأندلسي، ونسبه ابن الآبار إلى بلدة برشانة، وامتدّت حياة ابن طفيل على أيام دولة المرابطين فدولة الموحّدين، وعمل كاتباً ووزيراً لواليتها الموحّدي، أنظر: عبد الحليم محمود، فلسفة ابن طفيل، ط2، المكتبة الإنجلو

وقد عرف التيار الصوفي ازدهارا في عصر الموحّدين نظراً لوجود حركة تشجيع الفلسفة والتي تبناها الخليفة أبو يعقوب (ت580هـ/1184م) الذي أقدم على تعلّم الفلسفة، حتى أنّه اجتمع إليه أشهر الفلاسفة آنذاك أمثال أبو بكر بن محمد بن طفيل (ت518هـ/1185م)\* ومحمّد أحمد بن رشد\*، وأقدم على حرق كتب المذهب المالكي بعد تجريدها من الأحاديث والقرآن الكريم وفي مقدّماتها "مدوّنة سحنون"، من أجل القضاء على المذهب ومحوه،<sup>1</sup> فكان لاهتمام أبي يعقوب بالفلسفة أثرٌ بالغ في ظهور متصوّفة أصحاب النّزعات الفلسفية كابن عربي وابن سبعين وغيرهم ممّن كانوا بالمغرب،<sup>2</sup> ثم ظهر نشاط صوفي مغربي بعيد عن الفكر التّواكلي الإشراقي الذي علق به، وعمل على دفع الخطر الخارجي وتعبئة الأوساط الشّعبية أخلاقياً لمواجهة الموقف في الحواضر والبوادي

مصرية، القاهرة، 1999، ص 11 وما بعدها، أيضاً: محمد رضوان الدّاية، ابن طفيل الأندلسي، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، سلسلة أعلام، ع17، 2013، ص11

\***ابن رشد**: القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ولد سنة 520هـ/1126م درس علم الكلام ودافعت عنه جماعة الأشاعرة ودرس الفقه في مذهب الإمام مالك، وروى الحديث عن أبيه، وأخذ عن أبي القاسم بن بشكوال، وأبي مروان بن مسرة وأبي بكر بن سمحون وغيرهم، ودرس الطب والفلسفة عاصر ابن طفيل وتبعه في محاولة التوفيق بين الشريعة والحكمة، كان طبيب أبي يعقوب منذ 578هـ/1183م، ثم قاض بقرطبة، توفي بمراكش يوم الخميس 9 صفر 595هـ/1198م، أنظر: محمود قاسم، **الفيلسوف المفترى عليه ابن رشد**، سلسلة الدراسات الفلسفية والأخلاقية، المكتبة الإنجلو مصرية، القاهرة، ص13

\***مدوّنة سحنون**: هي مجموعة من الأسئلة والأجوبة عن مسائل فقهية وردت للإمام مالك، ورواها عبد السلام بن سعيد التتوخي الملقب بسحنون (240هـ/854م) الذي جمعها وصنّفها، ورواها عن عبد الرحمان بن القاسم العتقي، (191هـ/806م) عن الإمام مالك بن أنس، وتُنسب أحياناً إلى سحنون لأنّه رواها، فيقال مدونة سحنون.

<sup>1</sup>المراكشي ابن عذاري، المصدر السابق، ص 237/238

<sup>2</sup>الغبريني أبو العباس احمد بن أحمد، عنوان الدّرية في من عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970، ص ص 158-159

خاصة، واتّجه أعلام التصوّف المغربي إلى تعميق قيمة الجهاد وإعلاء فضيلة الرّباط على الثّغور والسّواحل<sup>1</sup>.

وإذا كان التصوّف في بداية الأمر محدوداً ومنحصرًا في جماعات قليلة ومنعزلة فإنّه أخذ منذ أواسط القرن 6هـ/12م ينتشر شيئًا فشيئًا في مختلف الرّيوع، وركّز المريّدون على جهاد النفس وتطويرها والتعمّق في الدين وهذا الأمر لا يتطلّب الثّقافة الواسعة<sup>2</sup>، ولم تعد مقتصرة على الزهّاد والمتصوّفة بل تغلّغت في الأوساط الشّعبيّة<sup>3</sup>، ويبدو أنّ هذا التغلغل في مختلف الأوساط وخاصة بين العوام قد اقترن بالميل إلى رواية الأخبار العجيبية عن الأولياء، وما يصدر عنهم من كرامات وخوارق لم يفتأ هذا الإتّجاه يزداد تضخّمًا بمرور الزّمان وخاصة بعد تأسيس الطّرق الصوفية<sup>4</sup>، واستمرّت الصّوفية في النشاط عهد الدويلات الثّلاث الحفصية والزّيانية والمرينية، وأصبحت أكثر حيويّة بالمنطقة<sup>5</sup>، وقد تركّز التصوّف في بداية الأمر بالمدن التي كانت مراكز للحضارة الإسلاميّة<sup>6</sup>.

وبالتّالي فإنّ حركة التّصوف التي ظهرت في المغرب الأوسط خلال القرنين 6 - 7هـ/12-13م لا يمكن اختزال عوامل نشأتها في هذه الآراء فقط لأنّ الظّاهرة نتاج إرهاصات دينيّة واجتماعية وسياسية واقتصادية، تعود جذورها إلى القرن الثالث 3هـ/9م،

<sup>1</sup> عبد المجيد الصغير، تجلّيات الفكر المغربي (تاريخ الفلسفة والتّصوف بالمغرب)، شركة النّشر والتّوزيع، المدارس، الدّار البيضاء، 2000، ص 171.

<sup>2</sup> حنفوق إسماعيل، المرجع السابق، ص 23

<sup>3</sup> إبراهيم مياّسي، "مساهمة القادرية في تطوّر الثّورات الشّعبيّة"، دراسات في العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، ع4، كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة الجزائر 02، 2003/2004، ص 93

<sup>4</sup> عبد الحميد حاجيّات، "سيدي محمّد الهوّاري شخصيته وتصوّفه"، مجلّة الثّقافة، عدد8، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعية، أغسطس، 1985، ص 87

<sup>5</sup> الشّريف كمال دحومان، إشراف الجزائر، دار الخلدونية، الجزائر، 2009، ص 116.

<sup>6</sup> الفريد بيل، المرجع السابق، ص 405

تخمرت عبر قرون وتمخض عنها ميلاد الحركة الصوفية التي بدأت معالمها تتضح في القرن 6/هـ12م بالنسبة للتصوف السني وبدايات القرن 7/هـ13م بالنسبة لتيارات التصوف الفلسفي.<sup>1</sup>

وقد أثرى الأندلسيون ميدان التصوف في المغرب الأوسط خلال القرن 7/هـ13م، ولعلّ أوثق دليل على ذلك ما حفظته المصادر التي تولت تقديم التراجم المطولة للشخصيات الأندلسية الصوفية الوافدة، هذه المصادر هي نفسها التي حفظت أيضا آثار هؤلاء الأندلسيين وأدوارهم في تنظير التصوف وتطويره.<sup>2</sup>

ومنذ القرن 8/هـ14م اتخذ التصوف في المغرب شكل التصوف الشرعي في تكوين جماعات متميزة وكأنها تكون أحزابا داخل المجتمع الواحد، بل وجدوا في الغالب على رأس المهمات المجتمعية الخطيرة.<sup>3</sup>

ومن الطرق الأولى التي نشأت بالمغرب الإسلامي في القرن 7/هـ13م الطريقة القادرية والشاذلية، وبدأ يظهر شيوخ التصوف في القرن 9/هـ15م مثل ولي وهران محمد الهواري (ت842/هـ1439م) الذي أقام زاوية يجتمع فيها الفقراء للذكر ويدرس فيها الطلبة.<sup>4</sup>

إنّ تطوّر حركة التصوف في المغرب عموماً وبالجزائر خصوصا يلاحظ أنّ هذه الأخيرة انتشرت وازدهرت بالجزائر قبل وصول العثمانيين إليها بقرون، كالقادرية ببغداد والخلواتية بمصر والمدنية بطرابلس الغرب، والشاذلية والبوعلية والسلامية بتونس، ومنها ما

<sup>1</sup> طاهر بونابي، المرجع السابق، ص 47

<sup>2</sup> عمارة سيدي محمد، هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن (7/هـ13م) ودورهم الثقافي، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2013/2012، ص143

<sup>3</sup> منال عبد المنعم جاد الله، المرجع سابق، ص 126

<sup>4</sup> الفريد بيل، المرجع السابق، ص 23

كان أصله من المغرب كالطَّيْبِيَّة والعيساوية والحنصليَّة والدَّرَقاوية والرَّحمانية بالجزائر، وقد ظهرت بالمغرب منذ العهد المرابطي لتتطور في العهد الموحدِّي، نظرًا للظُّروف الدَّاخِليَّة منها والخارجية، والمتمثِّلة في مواجهة الخطر الخارجي الذي طُبِع بالطَّابع الديني الصَّلبي لذا انتشرت في أرجاء الدَّولة الموحَّدية لاسيما في النُّغور، حيث تتواجد الرِّباطات على الحدود السَّاحليَّة الغربيَّة، واستمرَّت الصُّوفية في النشاط في عهد الدَّويلات الثَّلاث الحفصية والزَّيانية والمرينية، وأصبحت أكثر حيويَّة في المنطقة مع نهاية القرن 9هـ/15م.<sup>1</sup>

وفي أواخر العهد العثماني وبداية عهد الإحتلال، أصبح التَّصوُّف مجالًا مفتوحًا أمام عامَّة النَّاس ولقي التَّشجيع والإهتمام أكثر فأكثر، فانتشرت بذلك الأضرحة وكثُر الإعتقاد في الأولياء دون التَّمييز بين الدَّاعية الحقيقي والمُزيَّف، فصار لكلِّ طريقة مرابطيها الذين ابتعدوا شيئًا فشيئًا عن العلم والعمل به واقتربوا في أغلبهم من التَّدجيل والخُرَافة، ولم يكن لديهم فلسفة في التَّوحيد ولا عقيدة واضحة في الدين، وكلِّ ما كانوا يفعلونه هو بناء الزَّوايا وإدعاء الكرامات وإعطاء العهود والأوراد وتلقين الأذكار، وجمع المال والهدايا من الفقراء واستغلال العامَّة عقليًا وماليًا، والقليل منهم من سلك طريق الزَّهد والتَّصوُّف.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> الشَّريف كمال دحومان، المرجع السابق، ص 116

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص532

## 2- الحياة الروحية في التصوف:

إنَّ للصُّوفية مصطلحات تُعبّر عنها ألفاظ وكلمات وتراكيب، ولها معان خاصة ومطالب مخصوصة غير ما يدلّ عليه ظاهر الألفاظ والكلمات أو تتضمّن هذه الكلمات والألفاظ على مدلولاتها الأصلية ولها معان أعمق وأكثر من مفهومها ومدلولها الظاهر بَدَاهَةً ولأوّل وهلة فإنها لم توضع إلّا لنوع معيّن وقسم خاص من المفاهيم والمقاصد الغير المتبادر إليها الذّهن، ولكلّ قوم ما اصطَلحوا عليه، فلا يُدرك أبعادها ولا يفهم مطالبها إلّا من كان له معرفة وإلمام وعلم وإدراك بمصطلحات القوم وبما اختاروا لها من الكلمات والألفاظ ولما اختاروا لها أيضاً.<sup>1</sup>

## 2-1- المعتقد:

أول أشكال التّعبيرات الجمعية عن الخبرة الدينية الفردية التي خرجت من حيز الإنفعال العاطفي إلى حيز التأمّل الذّهني، ويبدو أنّ توصلّ الخبرة الدينية إلى تكوين معتقد هو حاجة سيكولوجية ماسّة، لأنّ المعتقد هو الذي يعطي الخبرة الدينية شكلها المعقول الذي يعمل على ضبط وتقنين أحوالها، والمعتقد شأن جمعي لأكثر من سبب، فأوّلًا من غير الممكن أن يقوم كل فرد من أفراد الجماعة بصياغة معتقد خاص به، بما يستدعي ذلك من سلوك وأفعال، وسوف تتضارب حتما مع ما يبادر به الآخرون، وثانياً أنّ دوام واستمرار أيّ معتقد يتطلّب إيمان عدد كبير من الأفراد به وإلّا اندثر وفقد تأثيره حتى في نفس صاحبه.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> إحسان إلهي ظهير، دراسات في التصوف، ط01، دار الامام المجدد، القاهرة، 2005، ص 298

<sup>2</sup> فراس السّواح، دين الإنسان، ماهية الدّين ومنشأ الدافع الديني، ط01، دار علاء الدين، سوريا، 2002، ص ص

## 2-2-الرمز:

خضع مفهوم "الرمز" لتعريفات متضاربة ليس فقط بين العلوم المختلفة بل داخل العلم الواحد مثل الأنثروبولوجيا، وعلى سبيل المثال تستخدم كلمة "إشارة" Symbole لنفس معنى كلمة رمز Symbole عند الباحثين مثل "شوتز"، بينما البعض الآخر يضع تمييزاً بينهما، أما "تشارلز بيترس" فيحدّد الرمز على أنّه أحد أنواع الإشارة، ممّا قد يفسّر اهتمام الأنثروبولوجيين بوضع تصنيفات كثيرة حول الرموز التي بدورها تزيد المشكلة تعقيداً، ليميز العلماء بين المعاني الحرفية والرمزية، فالمعنى الحرفي للجُملة ليس هو المعنى المقصود فهمه، والمعنى الحرفي لكلمات معيَّنة يمكن أن يُفهم إذا قام الفرد بفكّ شفرة المعنى المباشر والمقصود، بمعنى هناك معنى عميقاً مستتراً ومعنى ظاهرياً سطحياً.<sup>1</sup>

فالرمز ما دلّ على غيره، دلالة معانٍ مجردة على أمور حسّية كدلالة الأعداد على الأشياء، ودلالة أمور حسّية على معانٍ متصوّرة كدلالة الثعلب على الخداع، والكلب على الوفاء، ويُطلق الرمز على كل حدّ في سلسلة المجازات، يمثّل حدّاً مقابلاً في سلسلة الحقائق.<sup>2</sup> غير أنّ الرمز والرمزية في الفكر الصوفي لها أبعاد فلسفية مرتبطة بالوجدان والوجود والإعتقاد،

## 2-3-الولاية:

الولاية بفتح أو كسر الواو لفظ مبنية على القرابة، والدنو وما يتصل به من معانٍ مشتقة من هذا اللفظ، وليه ولياً أي دنا منه دنواً والموالاتة بين الشيين بمعنى المقاربة بينهما ولّاه ولياً أي دنا منه وقرب وولّيه ولياً ولّاه للشيء وعليه وولاية: ملك أمره وقام به

<sup>1</sup> أم الخير شتاتحة، رمزية الممارسات الدينية ودلالاتها في المجال العمراني للأضرحة الجزائرية، رسالة دكتوراه، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر 02، 2016/2017، ص 22

<sup>2</sup> الحفني عبد المنعم، المعجم الشامل للمصطلحات في الفلسفة، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000، ص 384

وولي فلان نصره وأحبه، وولي البلد : تسلط عليه وأولى على اليتيم: أوصى به وأولى فلان الأمر: جعله ولياً عليه وأولى فلانا معروفاً: صنعه إليه، ويقال في التهديد والوعيد: أولى لك أي قاربك الشر فاحذره<sup>1</sup>. وارتبطت الولاية بطاعة الله تعالى والتقرب إليه سبحانه وتعالى حتى يبلغ العبد مرتبة الإحسان وقد ذهب الجرجاني إلى أن الولي هو من توات طاعته من غير أن يتخللها عصيان، والولي هو العارف بالله وبصفاته حسب الإمكان والمواظب على الطاعة المجتنب للمعاصي المعرض عن الإنهماك في اللذات والشهوات المباحة وسمي ولياً لأنه يتولى عبادة الله على الدوام، ويكافأ بأنه يتولى عليه إحسان الله تعالى وأفضاله، لذلك كانت مرتبة الولاية أمراً مطلوباً لكل مؤمن<sup>2</sup>.

فالولي كونه المقدس المتجذر في الثقافة العربية الإسلامية العالمية والشعبية، بمعناه العام المتماهي مع القدسي تارة والمتخيل تارة أخرى، والمستقل المحض ثالثة، يطرح بحدة إشكالية ما هو ديني بمعناه الإسلامي، وما هو أسطوري موهم، إنها ثنائية تكاد تحطم الحدود فيما بينها خاصة في المجتمع الجزائري الذي يعرف بكثرة أوليائه، نظراً لتوافد وتغلغل الحركات الصوفية فيه، والتي كانت خاضعة إلى تنظيمات أدت إلى إنتاج مخيال ديني صوفي مميز، تناول الولي في شتى جوانب الحياة المختلفة، والخيط الماسك في كل هذا تلك الحكايات الشعبية التي تتناول كرامات الأولياء وأفعالهم الخارقة وقدرتهم الفائقة<sup>3</sup>. أما الولي فمن أسماء الله تعالى، الولي هو الناصر وقيل المتولي لأمر العالم والخلائق والقائم بها، قال ابن الأثير الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل، والولاية السلطان

<sup>1</sup> فراح زينب، الزيارة النسوية للأضرحة، مقاربة أنثروبولوجية بضريح سيدي قادة بن المختار بولاية معسكر، جامعة وهران، 2011/2010، ص 27

<sup>2</sup> بوغديري كمال، المرجع السابق، ص 34

<sup>3</sup> بن عمر بوخضرة، الولي في المخيال الشعبي، الطريقة القادرية في الغرب الجزائري نموذجاً، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأنثروبولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2012/2011، ص 07

والولاية النَّصرة، وتستعار الولاية للتعبير عن القرب من حيث المكان ومن حيث النسبة ومن حيث الدين ومن حيث الصداقة والنصرة والإعتقاد والولي والمولى في معنى الفاعل أي الموالي ويقال للمؤمن هو ولي الله عز وجل<sup>1</sup>.

والوليّ عند الصّوفية له معنيان: الأول أن يتولاه الحق سبحانه وتعالى بحفظه وحراسته، فلا يكله إلى نفسه طرفة عين، بل يتولّى رعايته على التّوالي ويُدِّيم توفيقه على الطّاعات والخير، والثّاني أن يكون "فعيلاً"، أي معناه من يتولّى عبادة الله وطاعته على التّوالي من غير أن يتخلّلها معصية، فيكون ولياً بمعنى توالي فضل الله عليه، وكلا المعنيين يجب تحقيقه حتى يكون الوليّ ولياً بالقيام بحقوق الله علناً لتمام ويتحقق له حفظ الله تعالى، والمعنيان يلتقيان في نفس الغاية.

هذا ونجد في النصّ الأمازيغي وعلى لسان محاورين متميّزين كلمة ولي، وهي مصطلح عربي تقليدي يعني القدّيس بمفهوم مزدوج وهو "قريب من الله" و "وصيّ"، ثم مصطلح "أمرابط" وهو ترجمة كلمة "مرابط" في اللّغة الأمازيغية، والذي يستخدم عادة في المغرب العربي للدلالة على رجل يتمتّع بهبة ربّانية على الأصحّ حيّاً وليس ميتاً، وفي السياق القروي أو القبلي يتمثّل إلى حدّ كبير مع ما يسمّيه بيتر براون **Peter brown** في التاريخ القديم "السيد"، أيّ شفيع دنيوي وسماوي في آن واحد، ونلاحظ أنّها كلمة تكوّنت على نفس الجذر اللّغوي الذي يستخدم للدلالة فقط على اسم مجرد هو ترويضاً **Tirrubda** المعادلة للقداسة ولا يستخدمون إطلاقاً ولاية أو ولي<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> بوغديري كمال، المرجع السابق، ص 34

<sup>2</sup> فاني كولونا، آيات الصمود الثوابت والمتغيرات الدينية في الجزائر المعاصرة، ترجمة لطيف فرج، دار العالم الثالث،

مصر، 2003، ص 177

## 2-4-المريد:

مُريد جمعها مُريدون هو المتعلّم على شيخ الطّريقة، والمُريد رتبة من رتب الصّوفية، وللمريد درجات وعليه أن يقرأ أورادا في اليوم واللّيلة يكفلها لها شيخه ليسيّر على طريقته في التّصوّف وذلك ضمن تربيته للمريد، وتختلف الطّرق التي اتّبعتها شيوخ الطّرق المختلفة في تربية مريدها، فقد يسلك بعضهم طريق الشّدّة في تربية المريدين فيأخذوهم بالرياضات المرهقة ومنها كثرة الصّيام والسّهر وكثرة الخُلوّة والإعتزال عن النّاس وكثرة الذّكر والفكر، وقد يسلك بعض المشايخ طريقة اللّين في تربية المريدين فيأمرونهم بممارسة شيء من الصّيام وقيام مقدار من اللّيل وكثرة الذّكر، ولكن لا يلزمونهم بالخُلوّة والإبتعاد عن النّاس إلّا قليلا.<sup>1</sup> ومن أدب المريد - في اعتقادهم - أنّه إذا زار شيخًا في قبره أن لا يعتقد أنّه ميّت لا يسمعه، بل الأدب أن يعتقد "حياته البرزخية" لينال بركته.<sup>2</sup>

## 2-5- الكرامة:

الكرامة هي أمرٌ خارق للعادة تكون لبعض المقرّبين والصالحين والأولياء ولقد ثبتت في كتاب الله تعالى وفي سنّة رسول الله وآثار الصحابة، والكرامة غير المعجزة لأنّها تظهر على يد غير الأنبياء تخصيصا له وتفضيلا وقد تحصّل باختياره ودعائه وقد لا تحصّل وقد تكون بغير اختياره في بعض الأوقات،<sup>3</sup> فكرامة الأولياء حقّ غير مقرون بالتّحدي على يد عبد ظاهر الصّلاح، ملتزم لمتابعة نبيّ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، مصحوب بصحيح الإعتقاد والعمل الصّالح، فامتازت بعدم الإقتران بالتّحدي عن المعجزة، وبكونها على يد ظاهر الصّلاح كما يسمّى معونة، وهي الخارق الظاهر على

<sup>1</sup> عبد الله باباحد، تمثل الأولياء الصالحين لدى مريدي الزوايا، دراسة ميدانية لمريدي الزاوية القادرية بورقلة، جامعة قاصدي مرياح، 2014/2013، ص 10

<sup>2</sup> رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، 1999، ص 40

<sup>3</sup> بوغديري كمال، المرجع السابق، ص 35

أيدي عوام المسلمين تخليصاً لهم من المحن والمكاره، وبمقارنة صحيح الإعتقاد والعمل الصالح عن الإستدراج، وبمتابعة نبيّ قبله عن الخوارق المؤكّدة لكذب الكاذبين ...، وهي للأولياء الأحياء والأموات، إذ لا ينعزل عن ولايته بالموت، كالنبي لا ينعزل عن نبوته بالموت،<sup>1</sup> ولم يكن للوليّ كرامة ظاهرة عليه في الدنيا لم يقدر عدمها في كونه وليّاً، بخلاف الأنبياء فإنّه يجب أن تكون لهم معجزات لأنّ النبيّ مبعوث إلى الخلق، فبالناس حاجة إلى معرفة صدقه، ولا يُعرف إلاّ بالمعجزة، وبعكس الوليّ لأنّه ليس بواجب على الخلق ولا على الولي أيضاً.<sup>2</sup>

وبالتأمل في نصوص الصّوفية يظهر جليّاً أنّ الكرامة دليل الولاية أو بعبارة أدقّ خرق العادة دليل الولاية، فكلُّ من جاء بخوارق العادات فهو وليّ الله، ولهذا السبب عدّوا المجاذيب والمجاهيل ضمن الأولياء.<sup>3</sup>

والفرق بين الكرامة والمعجزة هو فرق بين الوليّ والنبيّ كما قال ابن خلدون: "فخوارق النبيّ مخصومة كالصعود إلى السّماء والأخوة في الأجسام الكثيفة وإحياء الموتى وتكليم الملائكة والطيران في الهواء وخوارق الوليّ دون ذلك كتكثير القليل والحديث من بعض المستقبل..."، ومن ذلك إظهار طعام في أوان فاقه من غير سبب ظاهر، أو حصول ماء في زمن عطش، أو تسهيل قطع مسافة قريبة، أو تخليص من عدو، أو سماع خطاب من هاتف، أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة.<sup>4</sup> فالكرامة أمر خارق للعادة يجريه

<sup>1</sup> يوسف بن إسماعيل النبهاني، جامع كرامات الأولياء، اعتنى به: سمير مصطفى رباب، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 2005، ص 29/28

<sup>2</sup> أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، ط2، مطبعة الباي الحلبي وأولاده، مصر، 1959، ص

<sup>3</sup> مصطفى باجو، صوفية المغرب، حقائق وأسرار، ج1، 2014، ص 24

<sup>4</sup> القشيري، الرسالة القشيرية، ص 160

الله تعالى على يدي عبد صالح، ولا يقتزن مع دعوى النبوة ولا هو مقدّمة لها والمعجزات دلالات صدق الأنبياء ودليل النبوة لم يوجد مع غير النبي،<sup>1</sup> يقول القشيري: " إنَّ ظهور الكرامات على الأولياء جائز والدليل على جوازه أمر موهوم حدوثة في العقل لا يؤدي حصوله إلى رفع أصل من الأصول".

## 2-6- المقام:

يُعرّفه القشيري: "هو ما يتحقّق به العبد بمنزلته من الآداب، ممّا يتوصّل إليه بنوع التّصرف، ويتحقّق بضرب تطلب، ومقاسات تكلف، فمقام كلّ واحد في وضع إقامته عن ذلك، وما هو مشغّل بالرياضة له، وشرطه أن لا يرتقي من مقام إلى مقام آخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام، فإنّ من لا قناعة له لا يصلح له التوكّل، ومن لا توكل له لا يصلح له التّسليم، ومن لا توبة له لا تصلح له الإنابة، ومن لا ورع له لا يصلح له الوهد"،<sup>2</sup> وفي كلّ هذه المصطلحات المزيد من الشّرح والتّفصيل لكلّ مقام منها فهي مقامات مختلفة أهمّها مقام التّوبة ومقام الورع ومقام الزّهد ومقام التوكّل والصّبر ومقام الفقر... إلخ، إذن فالمقام منزل روعي يدرّكه العبد بالجهد، ويفهم معنى المقام من خلال مصطلح رديف هو الحال، فالمقام كسبي والحال وهبي،<sup>3</sup> أما عدد المقامات فالصّوفية فيه على مذهبين:

أ- مذهب القائمين بعدد من المقامات لا ينقص عن السّبعة ولا يزيد على العشرين

كالخزّاز والمحاسبي والغزالي.

<sup>1</sup> بوغديري كمال، المرجع السابق، ص 35

<sup>2</sup> القشيري، الرسالة القشيرية، ص 56

<sup>3</sup> محمد بن بركة، التصوف الإسلامي من الرموز إلى العرفان، ط01، دار المتون للنشر والترجمة والطباعة والتوزيع،

ب- مذهب القائلين بلا محدودية عدد المقامات كالجنيد والشعراني والتابلسي وابن عربي.<sup>1</sup>

### 3- الهيكل التنظيمي للطرق الصوفية:

تُعرف الطرق الصوفية في غالبيتها تنظيمًا إداريًا - إذا صحَّ التعبير-هرميا، هذا التنظيم يُقسّم المهام والأدوار وحتى الواجبات والحقوق، ويضمن السير الحسن للطريقة الصوفية وتوسّعها وانتشارها وينعكس حتى على استمراريتها وبقائها، وتشارك عموما معظم الطرق الصوفية من خلال زواياها في نفس التنظيم العام عدا بعض الاختلافات الخفيفة التي لا تُغيّر من الشكل التنظيمي العام أي التنظيم الهرمي، ويتشكل كالتالي:

#### 3-1- الشيخ:

ويُمثّل الشيخ رأس الهرم في الزاوية، ويُشرف على التدريس وطرقه ومستوياته ومناهجه والمواد التي تدرس في الزاوية. وقد أحيط السادة بهالة من التقديس في نظر الأتباع والمريدين، فأصبحوا لهم مصدر السعادة والخير والنفع والشر والضرر، فكلّ من مسّه الأذى أو الشقاء إلّا واعتبره غضبا من الشيخ فيُسرع إلى ضريحه لنيل مرضاته، فهو واسطته التي يتوسّل بها إلى الله، فيُقدّم له الهدايا والزيارة، ويتعهده لطاعته والولاء له ولخلفائه ويداوم على ورده.<sup>2</sup>

#### 3-2- الوكيل:

هو أمين مال الزاوية ووكيلها، وله مسؤولية مالية وإدارية في تسيير الشؤون المادية للزاوية، وإن قصر في مهامه يستبدل بوكيل آخر،<sup>3</sup> كما يسهر أيضا على صيانة وتنظيف

<sup>1</sup> محمد بن بريكة، المرجع السابق، ص 322

<sup>2</sup> سعيد بوزرينة، الزاويات في الجزائر خلال العهد العثماني -دراسة أثرية معمارية فنية، رسالة دكتوراه، معهد الNثار، جامعة الجزائر، 2016/2015، ص 124

<sup>3</sup> عبد العزيز شهبيني، الزوايا الصوفية والعزابة والإحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب، الجزائر، 2007، ص 61

كل ملحقات الزاوية بمعينة مجموعة من الطلبة بالمناوبة بينهم ويكون هو المسير للمجموعة، فيتولى النظافة والتسيير والصيانة، ويتولى تسيير ممتلكات شيخ الزاوية.

### 3-3- المقدم:

مقدم الزاوية من أهم العناصر البشرية في أي زاوية، فهو الذي يستقبل الضيوف والزوار أي أنه هو الذي يحتك مباشرة بالواردين إليها، وهو ممثل الشيخ في حال غيابه، وهو الذي يتولى فتح أو إغلاق وحداتها حسب الحاجة كالضريح مثلاً أو المكتبة إذا توفرت.

وجاء في واجبه:

واجب على أولي الإقامة      تفقد الوارد بالكرامة  
 وهو يزور القوم في الحرام      وإنما ذلك للإحترام  
 ويبدأ الوارد بالسّلام      وبالطعام ثم بالإكرام  
 وكلّموه بعدها تكليماً      تأسيا بفعل إبراهيم  
 وكرهوا سؤال هذا الوارداً      إلا عن الشيخ أو التلامدا<sup>1</sup>

### 3-4- المرید:

المریدون هم الأغلبية في الهرم التنظيمي للزاوية، وتختلف مستوياتهم بين الغنى والفقر وتختلف أعمارهم فهم من كل فئات المجتمع، وتختلف تسميتهم بين الزوايا أحياناً حسب المناطق وأحياناً أخرى حسب الطريقة الصوفية للزاوية، فيطلق عليهم: الإخوان، الأحياب...، وهم القاعدة الأساسية للطرق الصوفية.

<sup>1</sup> أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، ضبط وتصحيح عاصم إبراهيم

الكفالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 229

## ثانياً: الطرق الصوفية في المغرب الأوسط

إنَّ الإغراق في الزَّهد أو الإلتناء إلى تيار التصوّف ظاهرة معقّدة وملتبّية ومتشعّبة في أعماق الإنسان والظّروف والملابسة لوجوده ومن السّدّاجة تبسيط أمرها وتعميم الحكم فيها كالقول بأنّها نتيجة حتمية لحياة التّرف التي توازيها،<sup>1</sup> كذلك هو الأمر بالنّسبة للإلتناء لطريقة صوفيّة معيّنة، وعلى اختلاف مناهج الطّرق الصّوفية وأورادها وتعاليمها ومراتبها، وكذا مدى توسّعها وانتشارها، وممّا يطرح العديد من التّساؤلات؛ كيف لأيّ طريقة أن تنتشر خاصّة لدى العوام إذا ما نظرنا إلى سعة اطلاعهم وعلمهم بماهيّة الطّرق الصّوفية؟ أم أنّ هذا الإلتناء هو حتمية تخضع للجغرافية التي تنتشر فيها أي طريقة من الطرق؟

هناك من الباحثين والمختصّين من يرى أن التّصوف ليس نتيجة معاكسة لحياة التّرف والبذخ، وإنّما نتيجة آلية لغيابها، بمعنى أنّه يزدهر في التّربة التي لا تعرف إغراءات مادّية ولا أحابيل شهوانية، عسير أمر هذا الذي نسمّيه التّصوف، ينفلت من بين أيدينا كلّما أردنا أن نشدّ عليه لندخله في قالب حتمي قائم على الأسباب والمُسبّبات، مرّة يبدو لنا مزدهراً في البيئة الغنيّة المتفسّحة، ومرّة يظهر نشطاً في الوسط المنقشّف البسيط وأحياناً يتجلّى ظاهرة شعبية لا صلة له بالثقافة وأهلها، وتارة يجذب إليه عمالقة الفكر وأرباب النظر.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> عبد السّلام غرميني، المرجع السابق، ص 23

<sup>2</sup> نفسه، ص 24

## 1- مفهوم الطريقة:

تعددت التعاريف لماهية الطرق الصوفية، واختلفت التعريفات لها باختلاف الطرق خاصة من حيث مكونات الطريقة وأساليبها التربوية وهيكلتها ونظمها التي يحددها الشيخ لمريديه للسير عليها واتباعها.

فالطريق هي الممر والسبيل والصراط إلى غير ذلك من الأسماء، وقد تذكر أو تؤنث، وهي حسية يمشي عليها الناس ووسائل نقلهم المختلفة،<sup>1</sup> أما الطريقة فهي السبيل وهي السيرة، وطريقة الرجل مذهبه<sup>2</sup>.

أما من المنظور الديني فالطريقة هي مجموعة من الأسس والمبادئ التي سطرها شيخ الطريقة لأتباعه ومؤيديه كطريق يسيرون عليه للوصول إلى معرفة الله ونيل رضاه،<sup>3</sup> وعرفت أنها مراسم الله تعالى وأحكامه التكاليفية المشروعة التي لا رخصة فيها فإن تتبّع الرّخص سبيل تنفيس الطبيعة المقتضية للوقفة والفترة في الطريق،<sup>4</sup> أو هي السيرة المختصة بالصوفية السالكين إلى الله تعالى، فهي سفر إلى الله تعالى،<sup>5</sup> وغايتها الترقّي الخُلقي بمجاهدة النفس وإحلال الأخلاق المحمودة محلّ الأخلاق المذمومة.<sup>6</sup>

وطريق الصوفية عبارة عن تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلها، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي

<sup>1</sup> حسن العكرمي، المرجع السابق، ص 21.

<sup>2</sup> جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ج10، طبعة صادر، بيروت، 1986، ص 221.

<sup>3</sup> التلبي لعجيلي، المرجع السابق، ص 35.

<sup>4</sup> شريف علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405، ص 183.

<sup>5</sup> عبد الرزاق القاشاني، إصطلاحات الصوفية، تحقيق عبد العالي شاهين، ط1، دار المنار، القاهرة، 1992، ص 65.

<sup>6</sup> أبو الوفاء التفتراني، المرجع السابق، ص 204.

لقلب عبده المتكفل له بتتويبه بأنوار العلم، وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير محض من جانب السالك وتصفية وجماء ثم استعداد وانتظار.<sup>1</sup>

والطريقة أيضا تعني اتصال المرید بالشيخ وارتباطه به حيا و ميتا، وذلك بواسطة ورد من الأذكار يقوم به المرید بإذن من الشيخ أول النهار وآخره، ويلتزم به بموجب عقد بينه وبين الشيخ، وهذا العقد يعرف بالعهد، وصورته أن يتعهد الطرف الأول وهو الشيخ بأن يخلص المرید من كل شدة ويخرجه من كل محنة متى ناداه مستغيثا به، كما يشفع له يوم القيامة في دخول الجنة، ويتعهد الطرف الثاني وهو المرید بأن يلتزم بالورد وآدابه فلا يتركه مدى الحياة، كما يلتزم بلزوم الطريقة وعدم استبدالها بغيرها من سائر الطرق،<sup>2</sup> ولما كانت الطريقة هي التطبيق العملي لأركان الدين الثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان، ولما كان لكل مسلم أسلوبه الخاص في تطبيق تلك الأحكام من الناحية الروحية، فهذا يعني أن لكل مسلم طريقة خاصة به تربطه بالله تعالى، وتوصله إليه سبحانه ولهذا قيل: الطرائق بعدد أنفاس الخلائق،<sup>3</sup> وإذا كانت مجاهدتنا التقوى والإستقامة ممكنتا الحصول بالمعرفة المكتسبة من علوم الشرع والعقل وبالتعلم عن طريق تسخير الجسد فإن بلوغ المرحلة الكشفية لا تتأتى إلا عن طريق إماتة الجسد اصطناعيا بكبح الشهوات والغرائز كلبية وهجر الدنيا وملذاتها والتزام الخلوة، بقطع العلائق للوقوف على المعرفة الإلهية، بواسطة الذوق والسلوك.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> أبو حامد الغزالي، المرجع السابق، ص 17

<sup>2</sup> أبو بكر جابر الجزائري، إلى التصوف يا عباد الله، دار البصيرة، مصر، 1990، ص 23

<sup>3</sup> أبي حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، ت عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، د ت، ص 196/195

<sup>4</sup> بن يوسف تلمساني، الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (1782م-1900م)، رسالة ماجستير،

معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1997/1998، ص 34

نلاحظ في هذه التعاريف أنّ الطريقة الصوفية تتكوّن من الشيخ العالم أو المريّ أو المعلّم ذي السّلطة الروحية التي اكتسبها بسبب اجتهاده وتعليمه أو لعلوّ مكانته الإجتماعية بين عشيرته وبين الناس، كما تتكوّن من المريّد الذي يُعدّ تلميذاً وسالكا في الطّريق بهدى شيخه، والوسائل التّعليمية والتّربوية والطّقوس التّعبديّة والتّعاليم التي يلزم المريّد التّشبّث بها إيماناً أو قولاً أو عملاً<sup>1</sup>، فمع تطوّر التّصوف العملي وانتشار الظّاهرة الصّوفية في الأوساط الشّعبية حيث كثر عدد الأتباع والمريدين، والتفّ المريّدون حول شيخ ونسجوا حوله هالة من التّقدّيس والتّبجيل، بدأت تظهر الطّرق الصّوفية بشكلها المتعارف عليه الآن<sup>2</sup>.

ويعتقد أتباع الطّرق الصّوفية أنّ سلوك الطّريق يبدأ عند المريّد باستشعار رغبة ملحّة تستولي على القلب، أي قلب الصّوفي، فتتبعث بها في باطن المرء داعية قويّة نحو تذوّق الإيمان بالوجدان، وعدم الوقوف عند حدّ التّصديق أو اليقين الذي حصل عليه بالتّوارث أو بالاستدلالات المنطقية والعقلية<sup>3</sup>.

وبخصوص الاختلافات الطّرقية فإنّها ترجع غالبيتها إلى تغيير المنهج في السلوك فقط، وتلتقي في وحدانية الله، وهنا برز اتّجاهين: الأوّل يرى البعض أنّ سبيل الوصول إلى السّعادة الحقّة هو الدّراسة والبحث، فيما يرى الإِتجاه الثّاني أنّ سبيل الوصول إلى ذلك هو تجنّب الملذّات وتطهير النّفس من الرّجس والدّنس، وفهم التّصوف كما يذكره "ممدوح الزوي" بشكل عام أنّ هناك ضربين من التّصوف نظري وعملي وامتاز كل منهما

<sup>1</sup> مراد حديبي، الزوايا التيجانية بالجنوب الجزائري، دراسة تاريخية أثرية، مذكرة ماجيستر، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2012/2011، ص14

<sup>2</sup> عبد المنعم القاسمي الحسني، الطريقة الخلوتية الرحمانية الأصول والآثار منذ ظهورها إلى غاية الحرب العالمية الأولى، مذكرة ماجيستر، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2009/2008، ص19

<sup>3</sup> أبو بكر الجزائري، المرجع السابق، ص115

بميزاته الخاصّة وإن كانا غير منفصلين، لأنّه لا بدّ لأصحاب المنهج العلمي النظري من العمل، ولصاحب المنهج العلمي من العلم والمعرفة القلبية،<sup>1</sup> وترجع تسمية الطّرق إلى أسماء أقطابها ومشايخها البارزين المشهورين، فتخلّدت أسماؤهم بنسبتها إليهم، وربما رجعت تسمية الطّرق إلى أقطابها باعتبار اجتهادهم فيها وخدمتهم لها، فأطلق هذه التسميات مُريدوهم وتلاميذهم وأتباعهم ومُحبّوهم، إذن فإضافة الطّرق إلى أسماء هؤلاء الأقطاب لم تكن بأمرهم وإنّما حدثت من غيرهم.<sup>2</sup>

ويُرجع المؤرّخون بداية ظهور الطّرق الصّوفية بالجزائر إلى بداية القرن 10هـ/16م، ثم أخذت تنمو وتتّسع حتّى انتشرت على نطاق واسع في النّصف الثّاني من القرن 12هـ/18م والرّبع الأوّل من القرن 13هـ/19م، ومن أهمّ هذه الطّرق الصّوفية التي ظهرت بالجزائر، كما يقول عبد الرحمان الجيلالي: "اشتهر من هذه الطرق بالجزائر على الخصوص ثمانية: القاديّة، الشاذليّة، الخلوتيّة، الرحمانيّة، التيجانيّة، العيساويّة، الطيبيّة، السنونسيّة، العماريّة."<sup>3</sup>

## 2- أشهر الطّرق الصّوفية في المغرب الأوسط

لقد ظهرت العديد من الطّرق الصّوفية بالجزائر منها ما هي امتداد لبعض الطّرق وإن اختلفت تسميّتها وأورادها ومقاماتها وانتماءاتها، وانتشرت في جميع أقطار المغرب الأوسط (الجزائر الحالية) أهمها:

<sup>1</sup> محمد الرؤوف القاسمي الحسني، مؤسّسة زاوية الهامل العلمية، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة الجزائر، 2007/2006، ص81

<sup>2</sup> عبد القادر الشطي، حقيقة السلفية الوفيّة لمذهب أهل الحق الصّوفية، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2002، ص

<sup>3</sup> عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص285

2-1- الطريقة القادرية:

أقدم طريقة صوفية ظهرت في العالم الإسلامي وأولها وجودا في الجزائر أيضا،<sup>1</sup> تنسب هذه الطريقة إلى "الشيخ محي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلاني بن أبي موسى الحسني" وهو من كبار الزهاد والمتصوفين، وُلد بجبل جيلان قرب بغداد سنة 471هـ/1066م وترعرع بها،<sup>2</sup> تزلّع في الفقه الحنبلي وبرع في جميع العلوم حتى كاد يعدّ للمناظرة وفي ثلاثة عشر فنًا،<sup>3</sup> لجأ للخلاوة ومجاهدة النفس وابتعد عن ضجيج المدن، واتّجه إلى الصحراء واتبّعه مريدون كثيرون نهجوا نهجه وساروا سيرته وتوفّي ببغداد سنة 561هـ/1166م،<sup>4</sup> وهذه الطريقة (القادرية) مبنية على الكتاب والسنة وسلامة الصدر وسخاء اليد وبذل الندى وكفّ الجفا وحمل الأذى والصّفح عن عثرات الإخوان حسب وصيته لابنه عبد الرزاق،<sup>5</sup> وانتشرت في كثير من البلدان أهمّها العراق واليمن والصّومال وتركيا ومصر وبلاد المغرب وغربي إفريقيا ووصلت حتى الهند والصين واهتمت بنشر المعرفة والعلم، دخلت هذه الطريقة وسط إفريقيا في القرن 9هـ/15م، ثم انتقلت إلى المغرب الإسلامي عن طريق مصر والأندلس، وتقوم هذه الطريقة أساسًا على العلم والفقه والدعوة الدينية.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> محمد الصّالح آيت علجت، صحف التصوف الجزائري من 1920 إلى 1955، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001، ص 34

<sup>2</sup> أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج6، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1986، ص 211

<sup>3</sup> الشيخ عبد القادر الجيلاني، السفينة القادرية، مكتبة المنارة، تونس، ص 94

<sup>4</sup> أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 212

<sup>5</sup> إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 216

<sup>6</sup> أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 57

## 2-2- الطريقة الرحمانية:

انتشرت الطريقة الرحمانية بجلّ بلاد القبائل، ثمّ بلاد الجنوب، كالزّاب ونفطة فولاية وهران، ولا زالت إلى الآن كثير من الزّوايا تنسب إليها، واشتهرت كثير من هذه المعاهد بالعلم، كمعاهد نفطة وطولقة وأولاد جلال والهامل، وتخرّج من هذه المعاهد علماء أجلاء داخل البلاد وخارجها من أشهرهم: الشّيخ محمد بن عبد الرحمان الدّيسي والشّيخ عاشور الخنقي، والشّيخ المكي بن عزوز الذي كان من علماء الحديث المشهورين، وقريبه الشّيخ الخضر بن الحسين الذي تولّى مشيخة الأزهر في عهده.<sup>1</sup>

## 2-3- الطريقة الشاذلية:

تنسب هذه الطريقة إلى الشّيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المولود في المغرب الأقصى ببلدية غمارة قرب مدينة سبتة سنة 593هـ/1197م، ومن أهمّ العلماء الذين درس على يدهم القرآن الكريم والعلوم الدّينية واللغوية والصّوفية عبد السلام بن مشيش،<sup>2</sup> والطريقة الشاذلية انتشرت في مراكش وانتقلت إلى الجزائر ومن أبرز دعائها ابن عربي الدرقاوي المتوفى 1238هـ/1823م، وكانت مقاومتها عنيفة للوجود العثماني في الجزائر كما شاركت في مقاومة الفرنسيين،<sup>3</sup> وتعدّ أهمّ الطرق التي ظهرت بالمغرب الإسلامي حيث تفرّعت إلى عدّة طرق في المناطق الممتدّة بين الحجاز شرقا وإسبانيا غربا،<sup>4</sup> وتعتبر الطريقة الشاذلية المتّصلة بالإمام أبو القاسم الجنيد من أسلم

<sup>1</sup> المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 33

<sup>2</sup> صلاح مؤيد العقبى، الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، تاريخها ونشاطها، دار البراق، لبنان، 2002، ص 149، حول شخصية بن مشيش أنظر: محمد اعبيدو، الشّيخ المولى عبد السلام بن مشيش قطب المغرب الأقصى، ط3، مطبعة دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2013.

<sup>3</sup> أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 58

<sup>4</sup> عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص 153

الطرق الصوفية وأقربها إلى السنة وانتشرت زواياها في المشرق والمغرب، وله أتباع ومريدون منتشرون في الجزائر وعدة أقطار أخرى وفي المغرب الأقصى تعتبر الطريقة الرسمية إلى جانب المذهب المالكي في الفقه والعقائد الأشعرية في التوحيد.<sup>1</sup>

## 2-4- الطريقة التيجانية:

التيجانية طريقة صوفية أصلها من المغرب الإسلامي، كان لها دور كبير في نشر الإسلام وإرساء قواعد الوسطية ونبذ التطرف، فقد انطلق مؤسسها من الجزائر ومؤيدوها من بعده، رافعين راية الإسلام، ناشرين القيم والأخلاق الرفيعة، فنشروا الإسلام في إفريقيا وغيرها، واعتنق الكثير الإسلام عن طريقهم، وانتشرت التيجانية في مختلف الأوساط والجنسيات، وأصبح مريدوها بمئات الملايين، وأسّسوا الزوايا والمعاهد الإسلامية والمساجد وقاموا بأدوار دينية وعلمية وإصلاحية، وساهموا في بناء الحضارة الإسلامية،<sup>2</sup> وسميت بالتيجانية والأحمدية والمحمدية والإبراهيمية والحنيفية من إطلاقات مؤسسها الشيخ أحمد

<sup>1</sup> طيب جاب الله، الدور الإجتماعي والتربوي لزوايا الهامل في المجتمع الريفي، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2007/2006، ص 80

<sup>2</sup> علي زيتوني مسعود، "دور الطريقة التيجانية في الوسطية ونشر الإسلام وتحقيق الأمن"، الملتقى الدولي: الوسطية في الغرب الإسلامي وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا، ربيع الأول 1439هـ/ ديسمبر 2017م، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، ص 735

\* أحمد التيجاني: المولود عام 1150هـ/1737م بمدينة عين ماضي بولاية الأغواط حاليا بالجنوب الجزائري والمتوفى عام 1815م، وقد بدأ دراسته الأولى بمسقط رأسه حيث حفظ القرآن الكريم ثم درس باقي العلوم السائدة في ذلك العصر في نفس المدينة، ولما توفي والده عام 1725م خلفه في منصب التدريس، ويقال أنه مال للتصوف وطريق الصوفية وعمره عشرون عاما، حينما بلغ سنه ثلاثين من عمره اتجه نحو المشرق لأداء فريضة الحج، فسافر عام 1186هـ/1773م انطلق من مصر نحو البقاع المقدسة فأدى شعائر الحج والتقى بعدد من العلماء وشيوخ الصوفية.

أنظر: سميح عاطف الزين، الصوفية في نظر الإسلامي، ط4، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1993، ص 592

التيجاني\*<sup>1</sup>، وتعتبر الزاوية التيجانية ببوسمغون هي الخلوة الأولى للتيجاني ومنها انطلق في نشر مبادئ طريقته الجديدة، وهي بذلك تنصّر زوايا الغرب والجنوب الغربي للجزائر، وتتبع مباشرة زاوية عين ماضي في الأغواط.<sup>2</sup>

## 2-5- الطريقة السنوسية:

أسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي الخطّابي الحسني الإدريسي، ولد سنة 1202هـ/1787م ببلدة يّلل قرب مستغانم، وسبب اشتهاره بالسنوسي يعود إلى جدّهم الذي لقّب نفسه بالشيخ الإمام محمد بن يوسف السنوسي صاحب التّأليف المعروفة وعالم تلمسان.<sup>3</sup>

## 2-6- الطريقة الدرقاوية:

وقد انتشرت هذه الطّريقة بالغرب الجزائري بالقرب من مكان مولد مؤسسها بمستغانم، وفي الشّرق الجزائري أيضا وفي الصّحراء الكبرى،<sup>4</sup> نسبة إلى مؤسسها الأوّل الشيخ محمد العربي بن أحمد بن الحسين بن محمد بن يوسف الملقّب أبو درقاوي الشّريف الإدريسي،<sup>5</sup> الذي ولد في قبيلة بني زروال\*، بضواحي مراكش 1150هـ/1739م، اشتهر

<sup>1</sup> الشّرقى بن السّايح، بغية المستفيد لشرح منية المرید، ط1، مطبعة التّقدم العلميّة، درب الدليل، القاهرة، مصر، 1993، ص 81

<sup>2</sup> مراد حديبي، المرجع السابق، ص 41

<sup>3</sup> صلاح مؤيد، المرجع السابق، ص 182

<sup>4</sup> عبد الرحمان الجبالي، المرجع السابق، ص 232

<sup>5</sup> فيلاي مختار، المرجع السابق، ص 53

\*قبيلة بني زروال: من القبائل الجبلية الشهيرة بشمال المغرب وهي تنقسم إلى خمس فرق: بني إبراهيم وبني ملول وبومعان وأولاد قاسم، يحدها شرقا قبيلة كتامة ومزيات وغربا بنو مسارة وسطلة وبنو مزكلدة وبنو ورياجل وشمالا بنو أحمد وغمارة وجنوبا قبائل سلاسوقشتالة والجاية، أرضها سهل بالأودية وجبلية بالمرتفعات ومن أشهر جبالها جبل ودكة، وواد ورغة هو الحد الطبيعي الفاصل بينها وبين قبيلة قشتالة، للمزيد حول قبيلة بني زروال، أنظر: محمد البشير بن عبد الله الفاسي الفهري، قبيلة بني زروال، منشورات جمعية علوم الإنسان، المغرب الأقصى.

بالإستقامة والزهد في متاع الدنيا واحتقار السلطان،<sup>1</sup> ولقد لقيت الطريقة تأييد السلطان المغربي مولاي سليمان، خاصة وأنّ الطريقة تدعو إلى السلم، وكان انتشارها في الجزائر على يد عبد القادر بن الشريف الذي لمع اسمه أثناء الثورة التي قام بها ضد الأتراك، كان قد سافر إلى المغرب وتلمذ على يد محمد العربي بن أحمد الدرقاوي في زاوية بوبريح وأخذ عنه الذكر، وبعد أن قضى مدة من الزمن كمدرس للقرآن في الزاوية المذكورة، وأجازه وكلفه بنشر طريقة درقاوة الشاذلية،<sup>2</sup> وتعتبر الزاوية الدرقاوية من أهمّ الزوايا التي تحركت في بنيتها آليات المقاومة وأعدت ربط المجتمع المغربي ليس بالمشرق الإسلامي، ولكن بتاريخه المحلي.<sup>3</sup>

#### والجدول التالي يبيّن أهم الطرق الصوفية المنتشرة بالجزائر:<sup>4</sup>

الطريقة	مؤسسها	مكانها الأصلي	انتشارها في الجزائر
الشاذلية	أحمد بن مخلوف الشاذلي (ت 898هـ/1493م)	تونس	الشرق الجزائري
الزروقية	أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي (ت 899هـ/1494م)	ليبيا	الشرق والوسط الجزائري
اليوسفية	أحمد بن يوسف الراشدي (ت 993هـ/1585م)	بجاية	عين الصفراء
الكرزازية الموساوية	أحمد بن موسى المشيشي الإدريسي (ت 993هـ/1585م)	فاس	نواحي بشار

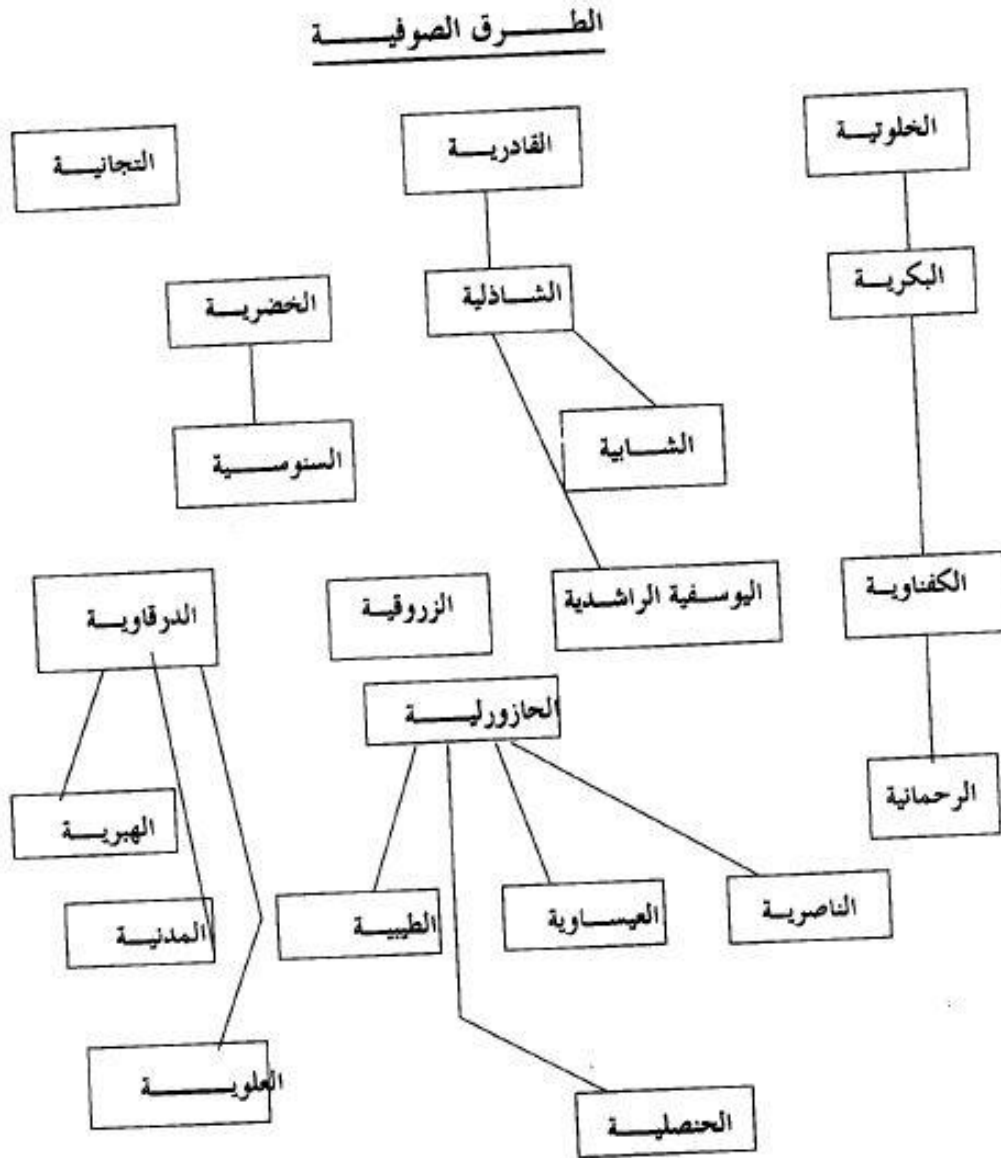
<sup>1</sup> صلاح مؤيد العقبى، المرجع السابق، ص 230

<sup>2</sup> محمد بن يوسف الزيات، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 92

<sup>3</sup> نور الدين الزاهي، الزاوية والحزب، الإسلام والسياسة في المجتمع المغربي، ط3، إفريقيا الشرق، المغرب، 2011، ص 08

<sup>4</sup> عبد الله رزوقي، الطرق الصوفية ومنطلقاتها الفكرية والأدبية بمنطقة توات - دراسة تاريخية وأدبية، رسالة دكتوراه، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح، 2017/2016، ص ص 107-108، بتصرف

البيضا ونواحيها	الأبيض سيدي الشيخ	عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة (1025هـ/1616م)	الشيخية
عين تموشنت ونواحيها	مكناس	محمد الهادي بن عيسى السفياني (ت933هـ/1527م)	العيصوية
معسكر	مدينة وازان بالمغرب	عبد الله بن ابراهيم بن موسى الوزاني	الطبيبةالوزانية
نواحي ميله	جنوب فاس	سعيد احنصال أو الحنصالي (ت ق 7هـ/13م)	الحنصالية
الوسط والجنوب الشرقي للجزائر	آيت اسماعيل بتيزي وزو	امحمد بن عبد الرحمان بن ابي القاسم القشتولي (ت1208هـ/1794م)	الزنيانية
		عبد القادر الجيلاني 561هـ/1166م	القادرية
		أبو العباس احمد التيجاني 1230هـ/1815م	التيجانية
		أحمد مصطفى العلاوي 1317هـ/1900م	العلاوية



الطرق الصوفية وتفرعاتها (عن بن يوسف تلمساني)<sup>1</sup>

<sup>1</sup> عن بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص 52

# الفصل الثاني التعليم في المغرب الأوسط

يعتبر التصوف من بين شعب التعليم التي شاعت في مختلف الأقطار ومنها المغرب الأوسط، الذي شهد حركة علمية كبيرة في كثير من الميادين، واشتهرت الكثير من مدنه بالعلم والتعليم، ونشأت فيها وسائط تعليمية مختلفة كان للوقف دور كبير في نموها وازدهارها وديمومة هذه المؤسسات، وصارت هذه المدن التي تحوي المعاهد والزوايا والمدارس وجهة تشد إليها الرحال من مختلف الأقطار، وسنتطرق في هذا الفصل إلى الحركة التعليمية في المغرب الأوسط.

### أولاً: التعليم في المغرب الأوسط خلال فترة الدراسة

لقد روت لنا المصادر التاريخية أن بلاد المغرب الأوسط بلاد علم وثقافة، وما يؤكد هذا هو غناها بالوسائط التعليمية كالكليات والزوايا والمدارس (الأثرية) في مختلف ربوعها، حتى إن مثل هذه المؤسسات انتشرت في القرى والأرياف والجبال والمدائن، وقد حرص الناس على التعليم في كل الفترات التاريخية وحتى في ظروف الحروب وعدم الاستقرار أو حتى في حالات الفوضى أو الكوارث الطبيعية كالمجاعات.

وقد كان التعليم يقوم على جهود الأفراد والمؤسسات الخيرية، ويدخل في هذا العموم جهود رجال الدولة، والآباء هم الذين كانوا يسهرون في تعليم أطفالهم، إما امتثالاً لحث الدين على التعليم، أو لأن الأطفال في سن معينة لا يحتاجهم أهلهم في العمل، وإما لأن مهنة التعليم والقضاء والإفتاء وما إليها كانت وراثية في بعض الأسر، وكذلك لأن العمل بالتجارة يقتضي معرفة الحساب ونحوه،<sup>1</sup> كل هذه الأسباب وغيرها كانت كفيلة لتكوين مجال تعليمي في مختلف المناطق بالمغرب الأوسط، بل إن الكثير من العلوم تطورت في هذه المناطق وخرج منها منظرٌ ومفكرٌ في مختلف الفترات التاريخية المتعاقبة، وما وصل إلينا من علوم ومؤلفات ماهي إلا نتاج ذلك الحراك العلمي.

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 314-315

والتعليم في كل بلاد المغرب الأوسط يكتسي أهمية بالغة، تبرز هذه الأهمية في مدى وعي المجتمع والقبيلة والفرد بهذا الجانب، خاصة المجتمع الإسلامي الذي يحثه الدين على التعلّم والتعليم من خلال كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، فما هي أهمّوسائط التعليم؟ وما هي العلوم التي كانت تُدرّس وتُتدّرس؟ وما هي أهمّ الحواضر العلمية في بلاد المغرب الأوسط خاصة منها التي انتشر بها التصوف؟

### 1- أهمّ الوسائط التعليمية بالمغرب الأوسط

لقد انتشرت بالعالم الإسلامي كلّه سواء بالشرق أو بالمغرب نفس الثقافة الجديدة الوافدة مع الدين الإسلامي، حيث حرص المسلمون على طلب العلم لأن الدين قد حثّ عليه، ولكي تُحقّق هذا التعليم كان لا بدّ من مكان يمارس فيه نشاط التدريس فكان في بداية الأمر في المساجد، لكن نظرا لرفض بعض الفقهاء تحجّجا بفوضى التلاميذ في كثير من المناطق، بُنيت حُجْرٌ صغيرة إلى جانب المسجد تُستغل لتعليم الصبيان ومنها تطوّرت مع الزمن لتظهر مبان أخرى من أجل هذه الوظيفة التي كانت ضرورية خاصة في المراحل الأولى لانتشار الإسلام، فظهر في ما بعد: المدرسة والزاوية و...إلخ.

وقد كان في البلاد الإسلامية علاوة على المدارس المستقلة عدد لا يحصى من دُور القرآن ودُور الحديث وحلقات المساجد، وأماكن الدراسة الأخرى كالمكاتب وهي الكتاتيب والدُور والقصور والربط والزوايا، والبيمارستانات، ومجالس المناظرة ومجالس الوعظ ومجالس الإملاء والتحديث في الدكاكين والأسواق والندوات الأدبية ودُور العلم<sup>1</sup>.

<sup>1</sup>ناجي معروف، نشأة المدارس المستقلة في الإسلام، مطبعة الزهر، بغداد، 1966، ص 06

كلّ هذا ساهم في ظهور العديد من الأبنية للوظيفة التعليمية، منها ما يختصّ في تعليم الصّبيان مبادئ القراءة والكتابة والقرآن الكريم، ومنها ما يتابع فيه الطّالب تعليمه إلى مستويات أعلى ويكون فيه علوم مختلفة كالأدب والنحو والفلسفة والتّصوف وغيرها من العلوم، وكانت هذه الأبنية التعليمية أيضا تختلف من حيث هياكلها العمرانية فمنها ما كانت توفر الإقامة للطلّبة وتوفّر لهم الأكل والحاجات التي تستعمل في الدراسة وفي الغالب ما يكون كلّ ذلك من الصّدقات أو من الأوقاف، وفي كثير من هذه المؤسسات يتخرّج الطّلبة حافظين لكتاب الله ومتقنين لعديد من العلوم، منهم من يتوجّه للتّدريس في أماكن أخرى ومنهم من يوظّف للتّدريس في المؤسسة التي درس وتكوّن بها، وقد تعدّدت هذه المؤسسات أو الوسائط التعليمية في بلاد المغرب الإسلامي شرقه وغربه شماله وجنوبه، وفي هذا دلالة على القيمة التي كانت للعلم وللتعليم، ومن أهم الوسائط التعليمية نذكر:

### 1-1- الكُتّاب:

الكُتّاب هو ذلك المكان الذي يتلقّى فيه التّلميذ دروسه الأولى وتربيته الأساسية على يد الشيخ،<sup>1</sup> ووظيفة الكُتّاب محدّدة بتعليم القرآن الكريم وقراءة وكتابة وحفظاً، وأضاف بعض المعلّمين أحكام الوضوء والصّلاة وما تعلقّ بها، ورغم أنّها على البساطة من حيث البناء إلّا أنّها كانت تعرف مستوى كبيراً من التنظيم والتّسيير، إذ يتحكّم الشّيخ بمساعدة طالب أو طالبين من كبار السنّ في سير الحصّة التعليمية و توجيه الصّبيان و تعليمهم. والشّيء الثّابت أنّ الكُتّاب من أقدم المؤسسات العلمية التي عرفت مهنة التّعليم، فدوّر "الكُتّاب" العلمي المذكور في العالم الإسلامي كلّه منذ عصور الإسلام الأولى وحتى

<sup>1</sup> الأزرق أحمد، الكتّاب القرآنية في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2002، الجزائر، ص 27

يومنا هذا، فلم يخلُ منه شارع ولا حيّ من الأحياء في المدن والقرى بوصفه النواة الأولى في العملية التعليمية مع المساجد والجوامع، وعن طريقه بزغت بواكير العلم والمعرفة.<sup>1</sup> ويمكن إرجاع بداية ظهوره كأول مؤسسة تعليمية لدى أمة - إقرأ - إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ اتخذت حُجرات لتعليم الصبية مبادئ القراءة والكتابة، حتى إنه تجاوز مرحلة تعليم الأبجديات إلى تعليم الصبيان الفرائض والصلوات وصلاة الجنازة والإستسقاء والخوف، وبعد اتساع رقعة الإسلام وامتداده خاصة للبلدان الأعجمية وغير العربية عموماً، بدأ الكتابُ يأخذ وظيفته كمؤسسة تعليمية للصبيان بعد استقرار المسلمين بهذه البلاد،<sup>2</sup> والتي كان المغرب من بينها.

وقد اقتصر أهل المغرب في تعليم الولدان على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء الدراسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب، إلى أن يحدّق فيه أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعاً عن العلم بالجملة، وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر أم المغرب.<sup>3</sup>

و يختلف الكتابُ عن الجامع، بل يستقلّ الجامع عمّا سواه من الوسائط الدينية. إذ لا يعقّد "معلم الصبيان" حلقة التعليم داخل الجامع وهذا هو النظام الملتزم به، ولكن كما يُخبرنا صاحب المعيار؛ أخذَ بعض المعلمين في بعض المدن يعلمون الصبيان في المساجد، وحين طُلبَ إليهم أن يخرجوا منها لكثرة الصبيان ومزاحمتهم للمصلين احتجوا

<sup>1</sup> يوسف بن حمد حوالة، الحياة العلمية في إفريقية 450/90هـ، ج01، ط01، جامعة أم القرى، السعودية 2000، ص 226.

<sup>2</sup> بشير رمضان التليسي، الإتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر ميلادي، المدار الإسلامي، بيروت، 2002، ص 365

<sup>3</sup> ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 623

أثم إن خرجوا منها ضاعت وسُرق ما بها من حُصر، وجاءت الفتوى في هذا الموقف واضحة وملزمة<sup>1</sup>: " لم يجعل الله المساجد لتُكتسبَ فيها الأرزاق...، والواجب على أهل تلك البلدة أن يمنعوا مساجدهم من مثل هذا، فليوعظ المعلمون وآباء الصبيان ليخرجوا من المساجد إلى بقاع يصلح فيها التكبُّب ولا يضرّوا بالمسلمين، فإن كان المعلم أبى فلينزع الصبيان من عند آبائهم، وإن اعتصم المعلم بأحدٍ فليس يعصمه إلا ظالم..."<sup>2</sup>، وعن آداب المعلمين جاء في كتاب "آداب المعلمين والمتعلمين" لابن سحنون: "ينبغي أن يكون معلماً مهيباً لا في عنف، ولا يكون عبوساً مُغضباً ولا مُبسطاً، مرفقاً بالصبيان دون لين، ينبغي أن يُخلصَ أدب الصبيان لمنفعتهم"<sup>3</sup>.

وعن طريقة التّعليم بالكتّاب فإنها تركز على نشاطين أساسيين هما الإملاء والحفظ، حيث يملك كل تلميذ لوحة خشبية تناسب المستوى الذي يكون فيه، ويخصّص وجه منها لجزء من القرآن، والوجه الآخر للدّرس اليومي، وفي الصّباح يحفظون القرآن الكريم ويخصّص المساء للعلوم الأخرى كالنحو وغيره. وقد عاب الكثير على هذه الطريقة منهم ابن خلدون في قوله: "ويا غفلة أهل بلادنا في أن يأخذ الصبي بكتاب الله في أول عمره يقرأ ما لا يفهم وينصب في أمر غيره وأهم عليه منه".

وقد انتشرت الكتاتيب في كلّ مناطق المغرب الأوسط. وشاعت هذه الوسائط التّعليمية في القرى والمدن والأرياف، فانتشرت في ورجلان وسوف وتيهرت وبلد أريغ وغيرها من

<sup>1</sup> بليشير عمر، جوانب من الحياة الإجماعية والإقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 6 إلى 9هـ/ 12-15م من خلال كتاب المعيار للونشريسي، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ والآثار، جامعة وهران، الجزائر، ص 252

<sup>2</sup> الونشريسي، المصدر السابق، ص 36-37

<sup>3</sup> عبد الرحمان الأنصاري، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، علّق عليه أبو الفضل التنوخي، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور وآخرون، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1972، ص 47

المدن الشهيرة،<sup>1</sup> وكان ذلك قبل ظهور أي مدرسة من المدارس بزمان كبير، وقد اشتهر العديد من معلّمي القرآن بالكتاتيب منهم المعلّم عاصم السّدراتي الذي كان دائم التنقل بين مدن وقرى جبل نفوسة وذلك أيام الدّولة الرّستمية، وكان يعلم الصّبيان القرآن الكريم،<sup>2</sup> كما اشتهرت الكثير من الكتاتيب ببجاية منها التي ذكرها الغبريني في كثير من التّراجم لعلماء بجاية خلال القرن 7هـ/13م.

### 1-2- المدرسة:

المدارس هي تلك المنشآت الثقافيّة المستحدثة في العالم الإسلامي، ولم تُعرّف باسمها إلّا في أواخر العهد الموحّديّ أو في بداية عهد الدّول الثلاث، وقد كانت منتشرة في الحواضر الكبرى، وقد عرفت أغلب المدارس ببلاد المغرب عمّامة والمغرب الأوسط خاصّة النّظام الدّاخلي، فكانت تشتمل على عُرف كمساكن للطلّاب الغرياء وغرف أخرى للضيّوف وبها مخازن للمؤونة التي يعيش منها الطّلبة أو الضّيّوف خاصّة من المشايخ.

ولم تكن المدارس معروفة زمن الصّحابة ولا التّابعين، فهي ممّا حدث في الإسلام كما ذكر المقرئزي، وحدث عملها بعد الأربعمئة من الهجرة، وأوّل من حفظ عنه أنّه بنا مدرسة في الإسلام أهل نيسابور، فبُنيت المدرسة البيهقيّة،<sup>3</sup> وقد كان من الضّروري إبداع مؤسّسة تعليميّة في هذا المجتمع الإسلامي النّاشئ، وذلك في سير وتكوين

<sup>1</sup> سايح الدّين، حركة التّعليم بالمغرب الأوسط خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، رسالة ماجستير، كلية

الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة الجبالي اليباس، سيدي بلعباس، 2010/2019، ص 48

<sup>2</sup> معمر علي يحيى، الإباضية في موكب التاريخ، نشأة المذهب الإباضي، ط1، مطابع دار الكتاب العربي، مكتبة

وهبة، القاهرة، 1964، ص 129

<sup>3</sup> تقي الدّين أبي العباس أحمد بن علي المقرئزي، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، ج02، دار صادر، بيروت،

القاهرة، ص 363

هياكله ومقوماته التي سيرتكز عليها، ولأنّ الإسلام دين علم وقد حثّ على طلبه، فقد بات لزاماً أن يسعى المسلمون للنّهوض بالتّعليم خاصّةً منه العلوم الدّينية.

وقد اختلف الباحثون في تحديد بداية ظهور المدارس ببلاد المغرب الإسلامي وإلى أي فترة يرجع ظهورها كمؤسسة قائمة مستقلة بذاتها، تحمل طابع التّعليم دون غيره، وذلك بفعل تباين المصادر المعتمدة في الموضوع حيث تشير النّصوص التّاريخية على وجود المدارس في المغرب الإسلامي.<sup>1</sup>

### 1-3- الزاوية:

إلى جانب انتشار الكتاتيب والمدارس في بلاد المغرب الأوسط انتشرت المؤسسات التّعليمية الثّالثة وهي الزّوايا، والتي كان يُنشئها المتطوّعون من أهل الخير ومشايخ الصّوفية من أموالهم الخاصّة أو من أموال الصّدقات والأوقاف، وعادة ما كان يتوكّل بتسييرها شيخ الزّاوية بمساعدة مجموعة من المقاديم ويستعين أيضاً ببعض الطّلبة، ولم يقتصر دور الزّاوية على التّعليم بل كانت تأوي المحتاجين والضعفاء والمرضى وحتى العامّة في أوقات الأزمات.

و تعتبر الزّوايا من بين أهمّ الوسائط التّعليمية في بلاد المغرب الإسلامي عموماً والمغرب الأوسط خصوصاً، وهي كما سبق وقلنا أنّها تلك البنايات ذات الطّابع الديني والثّقافي، وتقام فيها الصّلوات الخمس، فضلاً عن الدّروس التي كانت تُلقى على الطّلبة،<sup>2</sup> كما تتوفّر على أماكن للإقامة الخاصّة بالمعلّمين كسكنات لعائلاتهم ومساكن للقائمين على الزّاوية بمختلف مناصبهم، وكذلك إقامة طلبة العلم الذين يدرسون بها،

<sup>1</sup> بوخضار فايزة، مدارس المغرب الأوسط الزيانية والمرينية، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، ص

<sup>2</sup> عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص 148

وإقامة للضيوف التي تختلف من زاوية إلى أخرى في اتساعها أو ضيقها، وربما كانت سُمعةً الزاوية تتحكّم في عدد الزوّار والضيوف.

وتنشأ الزوايا في غالبها من طرف السلاطين أو أهل الخير أو مشايخ الطّرق الصّوفية من أموالهم الخاصّة،<sup>1</sup> وقد انتشرت الزوايا بمختلف ربوع المغرب الأوسط نذكر منها أمثلة هنا، وسنتناول هذه المؤسسة التعليمية بالتفصيل في الفصول اللاحقة، ومن الأمثلة:

### 1-3-1 - نماذج زوايا منطقة تلمسان:

أ- زاوية الأمير يعقوب: والتي بناها أبو حمّو موسى الثّاني على ضريح والده أبي يعقوب بجانب المدرسة اليعقوبية.

ب- زاوية سيدي أبي الحسن: شيدها السلطان أبو سعيد عثمان في نهاية القرن الثالث عشر ميلادي.<sup>2</sup>

ت- زاوية أبي مدين: أسّسها أبي الحسن المريني وحبّس عليها الكثير من الأراضي.

### 1-3-2 - نماذج من زوايا قسنطينة:

أ- زاوية أبي زكريا الزواوي: تأسّست في نهاية القرن 6هـ/12م ذكرها الغبريني في ترجمته للشيخ أبي زكريا الزواوي.

ب- زاوية ابن يبكي البجائي: تُنسب إلى الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الكريم بن عبد الملك بن عبد الله، أسّسها خلال القرن 7هـ/13م داخل باب أميسون.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> إبن قنفذ، أنس الفقير وعزّ الحقيّر، تصحيح محمد الفاسي، لأودولف فور، الرباط، مطبعة أكّادال، 1965، ص 117

<sup>2</sup> شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 210

<sup>3</sup> الغبريني، المصدر السابق، ص 188

1-3-3 - نماذج من زوايا مدينة الجزائر:

أ- زاوية سيدي عبد الرحمان الثعالبي: بنيت في القرن 9هـ/15م كان صاحبها ولياً صالحاً عالماً بالزهد.<sup>1</sup>

ب- زاوية أحمد بن عبد الله: أسست سنة 898هـ/1493م، وهو أحد تلاميذ الشيخ عبد الرحمان الثعالبي.<sup>2</sup>

1-3-4 - نماذج من زوايا وهران:

أ- زاوية الهواري: محمد بن عمر، الذي أخذ الطريقة من زوايا بجاية، وقد كانت مشهورة بتعدد المعارف والعلوم بها.

ب- زاوية إبراهيم التازي: أنشأها الشيخ إبراهيم التازي، وكانت زاوية بسيطة تأسست في 843هـ/1440م، ومنها تخرّج الحافظ التنسي والإمام السنوسي وغيرهم كثير، لكنّها خربت ونُهبت ممتلكاتها من طرف الإسبان.<sup>3</sup>

هذه نماذج محصورة عن الزوايا التي عرّفت انتشاراً واسعاً في المغرب الأوسط ولا يكاد يخل ريع أو ريف أو مدينة وحتى المداشر من هذه المؤسسة التعليمية التي كانت لها الريادة في نشر العلوم والقرآن الكريم واللغة العربية، حتى إنّها كانت ملاذاً للشعب في حالك أيامه، سواء في الحروب أو في المجاعات أو النزاعات القبليّة أو بين الأشخاص، وسنأتي في الفصل الثالث بإحصاء لأشهر الزوايا التي انتشرت في بلاد المغرب الأوسط.

<sup>1</sup> عبد الرزاق قسوم، عبد الرحمان الثعالبي والتصوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1987، ص 29

<sup>2</sup> الغبريني، المصدر السابق، ص 139

<sup>3</sup> حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية وأحوالها الإقتصادية والثقافية، الجزائر، ج2، ط1، دار الحضارة، ص 235

## 2- دور الرحلة في نشر العلوم

الرحلة في اللغة الإزتحال أي الإنتقال من مكان لآخر، والترحل والإزتحال الانتقال، وهو الرحلة، والرحلة اسم للإزتحال،<sup>1</sup> وهي مرادفة للسفر والهجرة والتنقل. والهجرة هي الخروج من أرض إلى أخرى وهي نوعان: اختيارية تتم طوعاً وبالمبادرة الفردية، عادة والرغبة في الانتقال دون ضغط أو إكراه إلى وطن جديد من أجل الأفضل، وإجبارية (أي التهجير) تتم بواسطة قوة خارجية تفرض على غير إرادة الأفراد أو الجماعات عن طريق الإخراج القسري أو الإكراهي للإنسان من وطنه وطرده أو نقله غالباً بالقوة حملاً إلى أماكن بعيدة.<sup>2</sup>

وفي فضل الرحلة في طلب العلم ماجاء فيما رواه أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر".<sup>3</sup> وكذلك ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من جاء مسجدي هذا لم يأت به إلا

<sup>1</sup> جمال الدين ابن منظور، المرجع السابق، ص 609

<sup>2</sup> شعبان عبد العاطي عطية وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط04، مكتبة الشروق الدولية، مصر

2004، ص 973

<sup>3</sup> أبو أنس ماجد البنكاني، رحلة العلماء في طلب العلم، نسخة الكترونية، دت، د د ط، ص 15

لخير يتعلمه، أو يُعلمه، فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرّجل ينظر على متاع غيره".<sup>1</sup>

وتختلف أغراض الرّحلة من شخص لآخر، ومن مجموعة لأخرى وكذلك حسب المكان والزّمان، غير أنّه ما يهّمنا هنا هو الرّحلات العلميّة أو الرّحلة في طلب العلم. والتي غايتها الإستزادة من العلم في منطقة أخرى، ذاع صيتها في مجال من مجالات العلوم المختلفة خاصّة منها العلوم الدّينية، وتذكر لنا كتب الحديث والسّير أنّ من الفقهاء والعلماء من كان يقطع القفار ويعبر الأنهار طلباً لحديث نبوي سمع به، أو لمجرّد التّحقّق من كلمة فيه، وقد فعل ذلك عبد الله بن عبّاس والغزالي و ابن منده والأحنف العكبري الشّاعر، ولا نملك لمثل هؤلاء حصراً فما أكثرهم.<sup>2</sup>

ومما يؤكّد أهميّة الرّحلة في تحصيل العلم وترسيخ الملكات، أنّ بعض من ذكرنا من الأعلام عاب بناء المدارس وكثرة التّأليفات، بل عدّها من المعوقات عن الرّحلة التي هي أصل التّحصيل، قال العلامة المقرّي: "سمعت شيخنا الأبلي يقول: إنّما أفسد العلم كثرة التّوالمف وإنّما أذهبه بُنيان المدارس"<sup>3</sup>، ويذكر ابن خلدون أنّ الرّحلة من أجل طلب العلم ولقاء المشايخ تزيد في اكتمال التّعليم، وعلى كثرة الشيوخ وتعدّدهم يكون حصول ملكات التّعليم ورسوخها في ذهن طالب العلم.

والرّحلة من أهمّ الوسائل لنقل العلوم من مصر إلى آخر، والتّجوال في سبيل طلب العلم والدّراسة تُمكن الطّالب من الحصول على الملكة العلميّة من خلال التّقاء بالمشايخ

<sup>1</sup> أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ابن ماجة)، سنن ابن ماجة، تحقيق بشار عواد معروف، مج1، دار الجيل، 1998، ص 217

<sup>2</sup> فؤاد قنديل، أدب الرّحلة في التراث العربي، ط1، مكتبة الدار العربيّة للكتاب، القا 2002، ص 19

<sup>3</sup> بن بشير سيد أحمد، يوسي الهواري، "جهود علماء المغرب الأوسط في خدمة الفقه المالكي في القرن التاسع الهجري"، مجلة الحضارة الإسلاميّة، العدد29، جامعة وهران 1أحمد بن بلة، جوان 2016، ص 360

والأخذ عنهم مباشرة، لأنه ليس أقوى من التلقين المباشر للعلم، فهو أنجح استحكامًا وأشدّ رسوخًا، وتقوي التلاحح الفكري وتدعم الروابط الثقافية بين العلماء رغم ما تفرضه الحدود السياسية.<sup>1</sup>

كما كان لرحلات الحجّ دور بارز في تنشيط الرحلات وتعزيز التّواصل الثقافي بين البلدان الإسلامية المختلفة، وخاصة عند التّقاء القوافل أو مرورها بالمدن في رحلتها، فتستفيد وتفيد.

والرحلة في طلب العلم في الإسلام كان لها طبيعتها الخاصة، التي جعلتها سمة مميزة للمجتمع الإسلامي، وملحًا بارزًا في تاريخ التربية الإسلامية، تستند في مشروعيتها إلى القرآن والسنة النبوية، فكانت من لوازم التّعلم في الإسلام، وتتطلق من بواعث ودوافع فعلت دورها في الحياة العلمية والاجتماعية للمسلمين، فعملت على تحقيق أهدافها العديدة الرامية إلى طلب المعرفة وضبطها ونشرها، وترتّب عليها فوائد دينية وتربوية وثقافية واجتماعية، لا زالت معالم آثارها حيّة في عالمنا التربوي المعاصر.<sup>2</sup>

وقد كان الطلبة لا يكتفون بما يتلقّونه من علوم في مدنهم، بل شدّوا الرّحال إلى الحواضر العلمية الإسلامية آنذاك سواء منها المغربية كغرناطة وفاس ومراكش أو المشرقية كالقاهرة ودمشق والمدينة المنورة، بهدف توسيع معارفهم وتفتيحها ولقاء العلماء المشهورين بهذه الحواضر.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 327

<sup>2</sup> صالح ذياب هندي، "الرحلة في طلب العلم في الإسلام وتطبيقاتها التربوية المعاصرة"، مجلة دراسات العلوم التربوية، الجامعة الهاشمية بالأردن، المجلد 38، ع01، 2011، ص 20

<sup>3</sup> محمد بن رمضان شاوش، باقة السّوسان في التّعريف بحاضرة تلمسان دولة بني زيان، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 406

### 3- دور الوقف في دعم الحركة العلمية والتصوف

الْوَقْفُ هو الحَبْسُ،<sup>1</sup> والْوَقْفُ هو الصَّدَقَةُ الجارية التي يتوق إلى ثوابها كل مسلم صادق الإيمان، لينال مثوبتها في حياته وبعد مماته، عندما تنطوي صفحة الحياة بمآلها وما عليها وتتقطع بالإنسان السَّبِيل، وينتقل من دار الدُّنْيَا إلى الآخرة.<sup>2</sup>

وقد نشأ نظام الوقف في الإسلام في عهد الرِّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو أوَّل من أوقف وقفًا، كما أمر الصَّحَابَةُ بذلك، والذين ما لبثوا أن تسابقوا في وقف الأوقاف بأوجه متعدِّدة، ورغم أنه لم ينزل به نصٌّ قرآني صريح في القرآن الكريم باستثناء بعض الآيات التي تدعو إلى الإنفاق والبرِّ، إلَّا أنه ونتيجة لفعل الرِّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الكرام للوقف، أصبح من أهمِّ القُرْبَاتِ إلى الله، بل ساهم حتى في استقرار الأنظمة السياسية والحياة الإجماعية، بجانب ما قدّمه من حماية لأسرة الواقف وذريته من بعده من خلال حفظ نصيبهم فيما سُمِّيَ "بالوقف الذَّري" أو الأهلي،<sup>3</sup> فأوَّل الأصول التي يعتمد عليها الوقف قول النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلَّا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتَفَعُ به أو ولد صالح يدعو له" فإنَّ الصَّدَقَةَ الجارية المذكورة في الحديث تتحقَّق في الوقف على أصل معناه المقرَّر الثَّابت، وهو كونه نوعًا من الصدقات.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> الشريف علي الجرجاني، المرجع السابق، ص 177

<sup>2</sup> محمد بن أحمد بن صالح الصَّالِح، الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع، ط01، مكتبة الملك فهد الوطنية، 2001، ص 49

<sup>3</sup> توبي محمد حسن، الوقف والعمران الإسلامي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، 1432 / 2010، ص 1-2

<sup>4</sup> محمد أبو زهرة، محاضرات في الوقف، دار الفكر العربي، 1986، ص 07

وللوقف وظيفة اجتماعية وهي تحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، ورعاية الأغنياء والقادرين للفقراء والمحتاجين، بهدف تحقيق المستوى المعيشي والاجتماعي والإنساني اللائق بهم، ولا سيما أن أغراض الوقف ليست قاصرة على تقديم العون المادي للفقراء والمساكين فحسب، وإنما تتعدى إلى أهداف اجتماعية شاملة إذ تتناول دور العلم والمعاهد والملاجئ والمشافي، وغير ذلك من المرافق العامة،<sup>1</sup> لكننا حين نتناول موضوع الأحماس لا بدّ من التمييز بادئ ذي بدء بين نوعين من الأوقاف (الأحماس) عامّة وخاصة، وقصد المحبّس فيهما مختلف تمامًا، لأنّ الحبس الخاص، غالبًا ما يكون وسيلة لحماية وحفظ الأملاك من سطوة الغاصبين أو لحرمان الإناث من الإرث، في حين أنّ الوقف العام لم يشمل جميع الأملاك والمرافق الموجهة لخدمة بعض القطاعات الدينية، أو للقطاعات التعليمية والاجتماعية وهذا الصنف من الأوقاف يساهم فيه الأفراد والحكام على السواء.<sup>2</sup>

ولم يقف الواقفون عند وقف الأوقاف على المنشآت الدينية كمباني عامرة فقط، بل امتدّ الأمر إلى ترتيب ما يحتاجه كل منها من أدوات وبشكل خاص الوظائف، فكان هناك وظائف مرتّبة للمسجد أو الجامع أو الخانقاه أو الزاوية مثل: الإمام والخطيب والمؤدّنين والعمّال وغيرهم، بما يضمن استمرارية المنشأة الدينية الموقوفة في أداء وظيفتها على الوجه الأكمل.<sup>3</sup>

وقد كانت عوائد الأوقاف المصدر المالي الأساس والوحيد لغالبية المؤسسات التعليمية ومراكز التعليم في العصور الإسلامية المتقدّمة، ومن هنا فإنّ الحركة العلمية

<sup>1</sup> محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 51

<sup>2</sup> صالح بن قرية وآخرون، المرجع السابق، ص 156

<sup>3</sup> توبي محمد حسن، المرجع السابق، ص 38

الواسعة التي شهدتها الأمصار والبلاد الإسلامية والتي كانت تدين بوجودها إلى كثرة المدارس واستمرار التعليم فيها، إنما هي في الحقيقة نتاج طبيعي لازدهار الأوقاف وكثرتها وديمومة عوائدها الخيرية.<sup>1</sup>

وكان للوقف على المدارس مكانة عظيمة عند المسلمين إلى درجة تعظيم هذا النوع من الأوقاف لانعكاسه على ازدهار الحياة العلميّة، وحرصوا على بقاءه واستمراره وحمايته.<sup>2</sup>

ولمّا كان تعليم الأولاد يُعدّ أمرًا شرعيًا وواجبًا دينيًا تقع مسؤوليّة القيام به على عاتق الآباء، تولّى الأولياء الأمور والمحسنون من المسلمين، أمر إنشاء الكتاتيب لتعليم الناشئة والإنفاق عليهم وشارك في هذا الفضل المعلمون الذين كانوا يقومون بمهمة التدريس احتسابًا، وخاصة في العهد الأوّل للإسلام.<sup>3</sup>

وقد كانت للزوايا علاقة وطيدة بنظام الأوقاف كون العديد من الميسورين وأصحاب العلم قد قاموا ببناء زوايا خاصة بهم، ومولّوها بالأموال، وخصّصوا أيضًا للشيوخ فيها والمقرئين، وكانت عنوانًا عن نظامهم الاجتماعي وحبهم للعلم والمعرفة ومحاربتهم للجهل والفقر، والأمثلة عن زوايا كثيرة نشأت، فنجد أنّ مدينة قسنطينة مثلاً احتوت على العديد من الزوايا كزوايا سيدي عبد المؤمن وزوايا سيدي مخلوف وزوايا أولاد الفكون وزوايا رضوان خوجة وغيرها، وقد أخرجت هذه الزوايا ومثيلاتها كثيرة في بجاية وتلمسان والجزائر العاصمة العديد من المتعلمين،<sup>4</sup> وكزوايا تلمسان: زاوية سيدي الذّيب وسيدي

<sup>1</sup>نوبي محمد حسن، المرجع السابق، ص 68

<sup>2</sup>أحمد محمد عبد العظيم، دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة، القاهرة، دار السلام، 2007، ص 143

<sup>3</sup>محمد بن أحمد بن صالح الصالح، المرجع السابق، ص 186

<sup>4</sup>كمال غربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة، ذاكرة الناس، 2012، ص 160.

بومدين وزاوية محمّد السنوسي وأحمد الغماري وزاوية عين الحوت وزاوية مولاي الطيب الوزاني.

ثانيا: الحواضر العلمية ببلاد المغرب الأوسط

### 1- أشهر الحواضر العلمية ببلاد المغرب الأوسط

لقد عرّفت بلاد المغرب الإسلامي عموما العديد من التحوّلات السياسيّة خاصّة بعد الفتح الإسلامي لهذه البلاد، والمغرب الأوسط كونه جزءاً من هذه الجغرافية الشاسعة فإنّه لم يكن بمنأى عن تلك الأحداث، هذه الأحداث كانت غالباً ما تُركّز عواصم تكون لها القاعدة السياسيّة والدينيّة والثّقافيّة، وهذا ما تثبته المصادر حول تاريخ المغرب الإسلامي. وعن المغرب الأوسط فقد ظهرت العديد من العواصم السياسيّة أهمّها بجاية وتلمسان، ومن الناحية التّعليمية فقد كانتا وجهتان من أكبر القبّلات لطلبة العلم وكذا للعلماء والمشايخ لِمَا عُرف عنهما من حركة علميّة واسعة ونشاط تعليمي وفكري كبير، وقد كان لتلك الحركات والرّحلات العلميّة أيضا دورها البارز في المساهمة أيضا في التّعريف بهما، كذلك هو الحال بالنّسبة للمسيّلة وقسنطينة وجنوبا إقليم توات، فقد عرفت هذه المناطق هي الأخرى حركة علميّة باهرة أشاد بها المؤرخون والرّحالة، بالإضافة إلى العلاقات التي كانت تربطها من الناحية الفكرية والثّقافيّة، وسنتطرّق إلى بعض العواصم الثّقافية والعلميّة في بلاد المغرب الأوسط من خلال نماذج لا على سبيل الحصر لأنّ الحركة العلميّة كانت تشمل كل ربوعه، غير أنّها كما سبق وذكرنا تركّزت في بعض كُبريات المدن.

#### 1-1- بجاية:

بجاية مدينة مشهورة بالمغرب الأوسط، تقع شرقي الجزائر على شاطئ البحر الأبيض المتوسّط، اختطّها سنة 460هـ/1068م النّاصر بن علناس أشهر ملوك الدّولة

الحمدانية وأعظمهم شأنًا، ثم اتخذها عاصمة مُلكه وسَمَّاهَا النَّاصِرِيَّةَ بِاسْمِهِ،<sup>1</sup> قال عنها الحسن الوزَّان: "هي مدينة تجمع بين الموقع البحري والجبلي وتوقَّر المياه"، و قال العبدري صاحب الرحلة المغربية: "هي مدينة حصينة منيعة شهيرة بريَّة بحريَّة سنية سريَّة وثيقة البُنْيَان عجيبة الإتقان رفيعة المباني غريبة المعاني موضوعة في أسفل سفح جبل وعر مقطوعة بنهر وبحر مشرفة عليها إشراف الطليعة متحصنة بها منيعة فلا مطمع فيها لمُحارب ولا مُتَّسع فيها لطاعن."<sup>2</sup>

والحديث عن الحياة العلمية في بجاية هو حديث عن ظهور أوَّل حاضرة تطلَّ على البحر ومركز إشعاعي في المغرب الأوسط، حيث أدَّت دورًا فعَّالًا في إرساء العلوم واستقطاب العلماء والمفكرين وأصحاب الحرف.<sup>3</sup>

حيث عُرف عن أمراء بجاية تقديرهم للعلم وأهله وتشجيعهم للأدباء بنشر الأمن والإطمئنان في نفوس المقيمين فيها الوافدين عليها، ويضاف إلى ذلك أخلاق البجائيين وحبهم للعلم والعلماء وإقبالهم على السَّماح والاستفادة من كلِّ مقبلٍ عليهم كيفما كانت منزلته.<sup>4</sup>

وقد عرفت ببجاية مجموعة من المساجد اشتهرت بالتَّعليم بها. فقد كانت تحتوي على جوامع ومدارس يقصدها الطلَّبة وأساتذة الفقه والحديث والعلوم، بالإضافة إلى الزوايا الصَّوفية المنتشرة بها، ومن بين أهمَّ المساجد المشهورة ببجاية مسجد الرِّيحانة ومسجد

<sup>1</sup> أبو العباس الغبريني، المصدر السابق، ص 07

<sup>2</sup> محمد العبدري البننسي، الرحلة المغربية، تحقيق أحمد بن جدو، مطبعة البعث، الجزائر، ص 23

<sup>3</sup> جلول صلاح، تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي والإجتماعي، مذكرة ماجيستر، قسم الحضارة

الإسلامية، جامعة وهران، 2014/2015، ص 55

<sup>4</sup> مختار حساني، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، د ط، ج02، دار الهدى، الجزائر، 2011، ص 81

النطّاعين ومسجد سيدي عبد الحق الأزدي وكذلك مسجد سيدي يحيى بأمالو وجامع القصبية.

كما كانت المساجد أيضاً عبارة عن مراكز للحكم والتشاور والجماعة، وكانت حلاً لنزاعات الأشخاص ومراكز للإفتاء والإعلان، وكان دورها عظيماً وكبيراً في نشر السنّة وإشاعتها وتركيز الدّراسات الحديثة وتأصيلها وتكوين الأجيال المتلاحقة من علماء الحديث وشيوخه.<sup>1</sup>

كما كان أهالي بجاية يحرصون على تعليم صبيانهم القرآن الكريم خاصة في الكتاتيب، كما اهتموا ببنائها، إذ هي المراكز الأولى للتعليم قبل تحوّلهم إلى الزوايا أو المعاهد لإتمام التّعليم. كما كان علماءها يتدارسون العلم بالحنانيت والغرف البسيطة، جاء في عنوان الدّرية: "وكان الفقيه أبي محمّد عبد الحق الإشبيلي والفقيه العالم أبي عبد الله محمّد بن عمر القرشي المعروف بابن قريشة، مجلس أظنه يجلسون فيه للحديث وكثيراً ما كانوا يجلسون بالحنانوت الذي هو بطرف حارة المقدسي وهو المقابل للطّاع للحارة المذكورة، وكان الحانوت المذكور يُسمّى مدينة العلم لاجتماع هؤلاء الثلاثة فيه، الفقيه أبو علي المسيلي والفقيه أبو محمّد عبد الحق، والفقيه أبو عبد الله القرشي".<sup>2</sup>

كما انتشرت ببجاية مجموعة من الزوايا في كثير من مناطقها، بل إنّه من أقدم الزوايا بالمغرب الأوسط وقد اشتهر الكثير من المتصوفة ببجاية وكانوا من بين أشهر المتصوفة في العالم أمثال أبي مدين شعيب وأبو محمّد عبد الحق المعروف بين سبعين، ومن بين أهمّ الزوايا ببجاية زاوية سيدي موسى أو يحيى وزاوية سيدي الحاج حساين.

<sup>1</sup> علي عشي، المغرب الأوسط في عهد الموحدين، دراسة تحليلية لأوضاع الثقافة الفكرية 534-633هـ/

1235/1139م، رسالة ماجستير، باتنة، 2011/2012، ص 100

<sup>2</sup> الغبريني، المصدر السابق، ص 36

ومنها زاوية أبي زكريا الزواوي التي تأسست نهاية القرن 6/هـ 12م التي ذكرها الغبريني في ترجمته للشيخ قائلاً: "كان يدرس بزوايته علوم الحديث وعلوم الفقه والتذكير".

### 1-2- تلمسان:

كان تأسيس أول مدرسة في عهد السلطان أبو حمّو موسى الأول حيث أنشأ سنة 710هـ/1310م للعالمين الجليلين والفقيهين الشهيرين أبي زيد عبد الرحمان وأبي موسى عيسى إبن الإمام الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الإمام.<sup>1</sup>

وقد ذكر الحسن الوزان قائلاً: "توجد بتلمسان مساجد عديدة جميلة، لها أئمة وخطباء وخمس مدارس حسنة جيّدة البناء مزدانة الفسيفساء...".

وعرفت تلمسان نبوغ مشايخ عدّة في ميدان التصوف كالشيخ أبو عمر عثمان بن علي الحسن التلمساني المشهور بالصّلاح وتلاوة القرآن توفي سنة 540هـ/1146م إضافة إلى العالم الصّوفي أبو القاسم البجائي الذي يُعرف بعبد الرحمان بن يوسف بن عبد الرحمان، ألف كتابا في التصوف سمّاه "قطب العارفين ومقامات للأبرار والأصفياء والصدّيقين" توفي سنة 577هـ/1182م.<sup>2</sup>

وأدّت المؤسّسات التعلّيمية على اختلاف أنواعها دورًا بارزًا أساسيًا في تنشيط الحركة الفكرية بتلمسان، وأولًاها بنو زيّان أهميّة كبرى، وحرصوا على توفير موارد من المال الذي كان يغطّى بالأوقاف على اختلافها، فمنها ذات الطّابع الخاص كإيقاف الملكية العقارية، أمّا الأوقاف ذات الطّابع العام فكانت ثروتها تُوجّه نحو المؤسّسات كالمساجد والمدارس والزّوايا، وكانت معظم ممتلكات الأوقاف تتواجد بالعاصمة الزيّانية.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيّان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيّان، ت محمود بوعيادة، 2007

<sup>2</sup> عبد الله علام، الدولة الموحدية بالمغرب عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، مصر، 1971، ص 65.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 2، ص 24

وفي تلمسان ظهرت المدارس لأول مرة في مسيرتها التاريخية كمؤسسات تطوّر الحركة العلميّة التي كانت تؤطّرها الحلقات الدّراسية بجامع تلمسان الأعظم، والمساجد المحيطة به، وتخرّج منها عدد كبير من العلماء الأعلام والفقهاء والأدباء المبرزين، حتى غدت مساجدها ومدارسها معيارا يقاس به نموّ الحركة العلميّة ومؤشّرا على مدى ازدهار الثقافة والعلوم والفنون والآداب.<sup>1</sup>

### 1-2-1- مدرسة أولاد الإمام:

هيّ أول مدرسة أسّست من طرف الزّيانيين كانت تُدعى بالمدرسة القديمة، أسّسها السلطان الزّياني أبو حمّو موسى الأول 707-714هـ/1308-1318م بالمغرب الأوسط وذلك سنة 710هـ/1310م عُيّن للتّدريس فيها ابني الإمام أبي زيد عبد الرّحمان (ت743هـ/1342م) وأبي موسى عيسى (ت749هـ/1349م) فصارت تُعرف باسمهما وكان موقعها بالقرب من باب كشّوطة غرب مدينة تلمسان،<sup>2</sup> وكانت المواد التي تدرس بها تشتمل على علوم مختلفة من فقه وتفسير وحديث وإقراء للقرآن وغيرها من المواد المدروسة كالمنطق والحساب وكان مستوى التعليم بها عاليا جدا.<sup>3</sup>

1-2-2- المدرسة التّاشفينية: بناها أبو تاشفين عبد الرّحمان الأول (718هـ/737هـ - 1318م/1337م) والذي كان مولعاّ بالبناء،<sup>4</sup> وكانت تُسمّى في حياته باسمه، ثم دُعيت بالمدرسة الجديدة بعد وفاته، ربّما تمييزا لها عن مدرسة أولاد الامام التي تسبقها وبناها بجانب الجامع الأعظم، تكريما للفقهاء أبي موسى عمران المشدالي.<sup>5</sup> ومخطّطها بين أيدينا.

<sup>1</sup> بن قرية يوسف الصالح وآخرون، المرجع السابق، ص 135

<sup>2</sup> أبو زكريا يحيى ابن أبي بكر محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون، بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،

ج1، مطبعة بيرفونتاننا الشرقية، الجزائر، 1903، ص 130

<sup>3</sup> بن قرية يوسف الصالح وآخرون، المرجع السابق، ص 143

<sup>4</sup> يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص 216

<sup>5</sup> محمد بن عبد الله التنسي، مصدر سابق، ص 141

### 1-2-3- المدرسة اليعقوبية:

شيدها السلطان أبو حمّو موسى الثاني سنة 765هـ/1363م بالقرب من مسجد سيدي إبراهيم المصمودي، وسمّاها باليعقوبية نسبة إلى والده أبي يعقوب وقد احتفل بها أبو حمّو كثيرًا وأكثر عليها من الأوقاف ورتّب فيها الجرايات وقدّم للتدريس فيها العالم أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني،<sup>1</sup> وأدّت اليعقوبية دورًا كبيرًا في تنشيط الحركة الثقافية العلمية بتلمسان، بدليل احتضانها لحلقات العلم المنتظمة وهذا لكونها تقع بمقربة من الجامع الكبير حيث شكّلت دومًا إحدى الحلقات التابعة لها، وقد تناوب على التدريس بها فطاحل العلماء أمثال أبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني أول المدرسين بها.<sup>2</sup>

### 1-2-4- مدرسة سيدي أبي مدين:

شيدها السلطان أبو الحسن المريني الذي كان يحرص على استقدام العلماء وإكرامهم كما فعل مع ابني الإمام وغيرهما، وهو الذي بنى مسجد أبي مدين وأنفق عليه مالا كثيرًا،<sup>3</sup> وهي مدرسة متعدّدة البيوت، رفيعة السموت بديعة النعوت، وبها أبواب تشرّع إلى ديار كاملة المنافع.<sup>4</sup>

### 1-2-5- مدرسة سيدي الحلوي:

<sup>1</sup> يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص 120

<sup>2</sup> لسان الدين ابن الخطيب، المرجع السابق، ص 234

<sup>3</sup> محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصّحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، ت ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعباد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 403

<sup>4</sup> إبراهيم ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة أفداح الآداب في السعيدة إلى قسنطينة والرّاب، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1990، ص 279

شيدها السلطان أبي عتّان المريني سنة 754هـ/1353م. وهي بالقرب من ضريح الولي الصالح أبي عبد الله الشوّذي الإشبيلي الملقّب بالحلوي، ويقع هذا الضريح في شمال المدينة حيث يوجد المسجد.<sup>1</sup>

### 1-3- إقليم توات

لقد شكّل الإقليم التواتي عبر تاريخه الطّويل، وبالتّظر إلى موقعه الإستراتيجي الذي يتوسّط فيه كُبريات العواصم الثقافيّة عربيّاً وإسلاميّاً خيط تواصل وعطاء بين مختلف الشّعوب (خريطة 02)، ومن ثمّ انعكس الأمر إيجابياً على واقع الإقليم، فعرف إنسانه كيف يستغلّ الطّرف ويستثمر هذه العناصر ليشارك بها القطبين الشّمالي وشمال الجزائر والمغرب وتونس وليبيا ومصر والجنوبي بعواصمه التاريخيّة الكبرى كتمبكتو وكانوا وشنقيط وأروان،<sup>2</sup> فهذه المنطقة غنيّة بتراثها العلمي والديني وغنيّة بعلمائها ومؤلّفيها وبزواياها، وكذلك غنيّة بآثارها ومكتباتها.<sup>3</sup>

وقدّم إلى توات عبر أزمنة مختلفة عدد كبير من العلماء والمشايخ ساهموا مع العلماء من أبناء المنطقة في بناء الزّوايا وعملوا على نشر الطّرق الصّوفيّة وترقيّة الحياة الثقافيّة ونشر الإسلام واللّغة العربيّة من أشهرهم:<sup>4</sup> مولاي سليمان بن علي الإدريسي، عيسى بن محمّد البطوي، محمّد المنيار، يحيى بن يدير التادلسي.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> رشيد بورويبة، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 301

<sup>2</sup> أحمد أبا الصّافي جعفري، من تاريخ توات أبحاث في التراث، ط1، منشورات الحضارة للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2011، ص 51

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، ج03، المرجع سابق، ص 142

<sup>4</sup> وفاء بن عالية، "دور زوايا توات في الحفاظ على الشخصية الوطنية والطرق الصوفية"، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، مج05، ع 09، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، الجزائر، ص 229

<sup>5</sup> نفسه، ص 229

وشهدت "تمنطيط" طيلة قرون من الزمن طفرة فكرية وعلمية حيث ازدهرت لديهم العلوم والفنون، فاختصوا في العلوم الشرعية واللغوية أكثر من غيرها، وكان إنتاج علمائها غزيرا ووفيرا في هذا المجال وكثرت التأليف، وتكونت مكتبات عامرة تضم عدداً كبيراً من المخطوطات تشمل مختلف فنون المعرفة،<sup>1</sup> ومن أهم الشخصيات العلمية الشيخ عبد الله العصموني نزل إلى تمنطيط قادماً إليها من تلمسان في سنة 863هـ/1459م برفقة ابن أخيه سالم العصموني، فتولّى بها القضاء بعد وفاة شيخه يحيى إيدير وتوفي في سنة 995هـ/1509م، أمّا الشيخ سالم العصموني فقد تولّى منصب القضاء بعد عمّه عبد الله العصموني<sup>2</sup>، وكذلك الشيخ ميمون بن عمرو بن الباز، ومحمد بن عبد الكريم،<sup>3</sup> المعروف بالمغيلي ويعتبر من العلماء البارزين الذي أوتوا بسطة في العلم والحسبة والدين، فقد جرى بينه وبين جماعة من العلماء في تمنطيط خلافات ومناظرات، وكان السبب في ذلك ما استنكره على يهود توات وما قام به من إلزامهم بشروط العيش في المجتمع المسلم،<sup>4</sup> ووُصِف إقليم توات على مرّ التاريخ بأنّه أرض أمان واطمئنان، كثر فيه الصالحون والزهاد جاءوه من كافة الأقطار العربية والإسلامية وبمختلف السلالات واستوطنوا به، متأثرين ومؤثرين فيمن حولهم.<sup>5</sup>

وقد كان لتمنطيط خلال القرنين 8هـ-9هـ/14م-15م الدور الريادي العلمي فقد اعتبرت مركزاً إشعاعياً هاماً، هذا لا يعني أنّ المراكز العلمية بمنطقة قورارة وتوات الوسطى وتيدكيت لم تكن فعّالة في هذا المجال، غير أنّ هذه المدينة اتّسعت شهرتها

<sup>1</sup> بن سويسي محمد، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات، تمنطيط نموذجاً، من القرن 6هـ إلى 13هـ/12م -

19م، مذكرة ماجيستر، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007م/2008، ص 54

<sup>2</sup> عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2005، ص 77

<sup>3</sup> وفاء بن عالية، المرجع السابق، ص 229

<sup>4</sup> الشريف ابن مريم، البستان، المطبعة التعلبية، الجزائر، 1908، ص 235

<sup>5</sup> أحمد أبا الصافي جعفري، المرجع السابق، ص 51

لنزول عدد كبير من العلماء بها، والذين تركوا بصمتهم في توات والمناطق المجاورة لها.<sup>1</sup> إذ عرفت الحركة العلمية ابتداءً من النصف الثاني من القرن 9هـ/15م ازدهارا في مختلف العلوم الأدبية واللغوية والعلوم المختلفة الأخرى، وتواصلت هذه الطفرة العلمية إلى غاية القرن 13هـ/19م، ومن أكثر الدلالات على ذلك هو العدد الكبير من العلماء الذين اشتهروا في هذه الفترة، فمنهم من اجتازت شهرته هذه المنطقة التي عاش فيها.<sup>2</sup>

ونظراً لخصوصية الإقليم من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فقد تأثر إقليم توات إلى حدٍ بعيد بالظواهر الإيجابية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، فموقعه الإستراتيجي جعله قبلة للتجار والمسافرين وعابري السبيل وطلاب العلم، فكان لزاماً على قصور توات إيجاد طريقة مثلى لإيواء الضيوف وإطعام الآخرين فكان لابد من استحداث مرافق لفائدة المعوزين والفقراء من أجل سد رمقهم وإيواء أبناء السبيل منهم وكفاية المحتاجين منهم بغية منعهم من مدّ أيديهم إلى كل من هبّ ودبّ، ولصيانة كرامة هذه الطوائف وجد على مستوى كل قصر من هذه القصور أوقاف.<sup>3</sup>

وقد تعددت الأسماء التي تطلق على دور التعليم بمناطق توات، فكانت تارة تسمى الكتاتيب، وأحيانا تسمى "أقربيش" وهي تسمية محلية زناتية الأصل وتكون في العادة غرفة بجانب المسجد يتردد عليها الصبية لحفظ القرآن،<sup>4</sup> وقد جرت العادة في إقليم توات عند بلوغ الطفل سنّ الرابعة أو الخامسة، أن يلتحق بالمدرسة القرآنية، أو ما يُسمى بالكتاتيب،

<sup>1</sup> سالمى زينب، الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 10/08 هجري، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، 2012/2011، ص 27

<sup>2</sup> محمد بن سويسي، المرجع السابق، ص 86

<sup>3</sup> محمد حوتية، أوقاف إقليم توات، نموذج أوقاف قصر كوسان، الوقف في الجزائر، أعمال ندوة الجزائر العلمية، (7/6) ربيع الأول 30/29/1422 ماي 2001)، ناصر الدين سعيدوني، ص 171

<sup>4</sup> الصديق الحاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11 إلى 14هـ، ط01، 2003، ص 45

والكتاتيب هي ذلك المكان الذي يتلقَّى فيه التلميذ دروسه الأولى، وتربيته الأساسية على يد الشيخ.<sup>1</sup>

وتعود نشأة الزوايا بمنطقة توات إلى نهاية القرن 5/هـ 11م وكانت في بداية أمرها مراكز للإطعام وإيواء أبناء السبيل خاصة الحجاج، ومع بروز علماء المنطقة وتوافد علماء آخرين نشأت الزوايا والطرق الصوفية وانتشرت عبر الإقليم،<sup>2</sup> في حين تشير بعض الوثائق المحلية إلى أن ظهور الزوايا بمفهومها الحالي في الإقليم يعود إلى 6/هـ 12م.<sup>3</sup>

وتنقسم الزوايا التواتية إلى نوعين من الزوايا حسب طريقة نشأتها، النوع الأول وهي الزوايا التي تم بناؤها على أرض تم شراؤها من طرف مؤسس الزاوية خارج القرية أو القصر، ومن الأمثلة على ذلك زاوية سيدي البكري التي بُنيت قرب مدينة تمنطيط وكذلك زاوية تتيلان وهذا النوع من الزوايا يمثل الأغلبية، أما النوع الثاني فهي الزوايا التي تبنى داخل القصر وتكون أملاكها موزعة بداخله وخارجه مثل زاوية زاجلو جنوب زاوية كنتة.<sup>4</sup>

ويُشكّل إقليم توات على امتداد تاريخه الطويل الزاخر بالأحداث الثقافية، أحد أهم مناطق ومراكز الزوايا والمدارس القرآنية، على مستوى القطر الجزائري عموماً، إذ أنه وابتداء من القرن 6/هـ 12م تاريخ قدوم الشيخ مولاي سليمان بن علي وتأسيسه لأول زاوية بالإقليم على الأرجح سنة (581/هـ 1186م) توالى تأسيس الزوايا في هذا الإقليم تباعاً ليصل العدد مع مطلع القرن 5/هـ 11م إلى أزيد من خمسين زاوية ومدرسة قرآنية كبرى،<sup>5</sup> فقد أنشئت العديد من الزوايا بإقليم توات على يد العلماء والفقهاء، واتخذوها للخُلوة

<sup>1</sup> أحمد الأزرق، المرجع السابق، ص 27

<sup>2</sup> وفاء بن عالية، المرجع السابق، ص 129

<sup>3</sup> نفسه، ص 230

<sup>4</sup> بن سويسي محمّد، المرجع السابق، ص ص 98-99

<sup>5</sup> أحمد أبا الصافي جعفري، المرجع السابق، ص 235

والعبادة وكذلك للتدريس والتّعليم ونشر العلم الشّرعي، ليتوافد عليها الطّلبة من كلّ الجهات قاصدين هذه الصّروح العلمية لتلقي العلوم الدّينية والأدبية.

وقد تميّز إقليم توات بمقاطعاته الثّلاث بكثرة الزّوايا والمدارس القرآنية، و إليه يرجع الفضل في نشر الوعي الفكري والثّقافي الأصيل، المستمدّ من روح الحضارة الإسلاميّة، فقد حافظت تلك الزوايا والمدارس القرآنية للأمة على هويتها الوطنية المتمثّلة في الإسلام واللّغة العربيّة ووحدة ترابه،<sup>1</sup> أقدم هذه الزّوايا زاوية مولاي سليمان بن علي الذي استقرّ بأولاد أوشن 580هـ/1184م وأسّس بها زاويته سنة 585هـ/1189م، ثم ظهرت زاوية كنتة التي أسّسها أحمد بن محمّد الرّقاد الكنتي، 999هـ/1590م، وفي منطقة قورارة أسّس الشيخ أبو محمّد بن محمّد الجزولي، زاوية بادريان سنة 1004هـ/1596م، وزاوية تنيلان أسّست من طرف الشيخ أحمد بن يوسف الونقالي 1058هـ/1648م والزّاوية البكرية أسّست سنة 1112هـ/1700م على يد الشيخ محمّد بن عبد الرحمان أبي نعامة، ثم زاوية الشيخ أبي الأنوار بتيدكلت من طرف الشيخ أبي الأنوار بن عبد الكريم التنيلاي سنة 1168هـ/1755م بالإضافة إلى هذه الزّوايا ظهرت بإقليم توات خلال القرن 14هـ/20م مدارس حُرّة على شاكلة المعاهد، لتدريس القرآن والفقه والحديث...<sup>2</sup>

<sup>1</sup> بكروي محمد عبد الحق، "دور الزوايا البكرية في المحافظة على الهوية الوطنية الجزائرية"، مجلة الحقيقة،

ع25، جامعة أدرار، الجزائر، ص ص 395-396

<sup>2</sup> وفاء بن عالية، المرجع السابق، ص 230



خريطة 02: إقليم توات - عن فرج محمود فرج-

## 2- أهم العلوم المتداولة

تعددت الفروع التعليمية في الزوايا ولم تقتصر على القرآن الكريم فقط، بل تعدى التعليم إلى العلوم الدينية الأخرى، وكذلك إلى العلوم اللغوية والأدبية المختلفة، وذلك كله من أجل تكوين قويم ومتكامل لخريجي الزوايا، ومن أهم العلوم نذكر:

### 2-1- القرآن الكريم:

لقد ركزت كل الوسائط التعليمية في بلاد المغرب الأوسط على تدريس القرآن الكريم كونه المصدر الأول للإسلام، والدستور المنظم لشؤون المسلمين الدينية والدينية، فكان أول ما يركز عليه المعلم هو حفظ المتعلم للقرآن الكريم، وتختلف طرق التلقين من معلم لآخر ومن مستوى لآخر، وبعد الحفظ أو ما يُسمى "الختمة" يتدرج الطالب إلى دراسة ما تعلق بعلوم القرآن، وهما:

### 2-1-1- علم القراءات:

علم القراءات هو معرفة كيفية أداء الحروف والرسم والعلامات، وأوضاع حروف القرآن الكريم في المصحف ورسومه،<sup>1</sup> وهدف هذا العلم هو ترسيخ الحفظ والوصول إلى درجة الإتقان في التلاوة.

### 2-1-2- علم التفسير:

وهو من أعظم العلوم الدينية مقداراً وأرفعها شأنًا ومنازاً لكونه رئيس العلوم الدينية ورأسها، ومبنى قواعد الشرع وأساسها.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> إبراهيم بن محمد المغني، دليل الحيران على مورد الضمان في فن الرسم والضبط باعتبار قراءة الإمام نافع لمحمد بن محمد الشريسي الخزاز، دار الكتب، الجزائر، ص 10

<sup>2</sup> أحمد محمد الصاوي المالكي، حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، ج 01، مطبعة مصطفى محمد، مصر، 1934، ص 02

## 2-2- علوم الحديث

الحديث والسنة النبوية هو كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، فالحديث يشير إلى القول والسنة إلى العمل أو الإجماع عنه، وهو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم.

## 2-3- الفقه

وهو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والنّدب والكرهة والإباحة وهي منتقاة من الكتاب والسنة النبوية، وما نصّه الشارع لمعرفة من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه.<sup>1</sup>

## 2-4- التصوف:

كانت الكثير من المدارس تدرّس التصوف وتتدارس كتب الصّوفية، بل إن كثيراً من الفقهاء والعلماء كانوا ينتمون إلى هذا التيار، ويحاولون الحفاظ عليه ونشره في مختلف الأرجاء وذلك من خلال رسالتهم التعليمية، أمّا الزوايا فإنّها أنشئت خصيصاً لهذا العلم وهو أساسي فيها ويمثّل عمادها وتتبعه العلوم الأخرى.

بالإضافة إلى العلوم الأخرى كعلوم اللّغة والتاريخ والفلك وعلم الحساب، لكنّ الزوايا أو أغلبها كانت تركّز على العلوم الأولى التي ذكرناها، وهذا من خلال ما نجدها في مكتباتها من مخطوطات فهي تعطي لنا صورة واضحة عن الكتب التي كان يدرسها الطّلبة بتوجيه من المعلّمين والمشايخ، كما نعلم أنّها ضاعت العديد من المخطوطات خلال الحرب أو لانتهاه عمل بعض الزوايا فيتوارث أملاكها العائلات وتضيع المخطوطات والكتب والوثائق جرّاء ذلك التقسيم خاصّة إذا لم يكن الورثة من أهل العلم.

<sup>1</sup> عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 495

## الفصل الثالث

# الحياة الصوفية ببلاد المغرب الأوسط

عرفت الحياة الصوفية ببلاد المغرب عمومًا نشاطًا كبيرًا، وانتشارًا واسعًا للطرق الصوفية والزوايا والخلوات والأضرحة لمشايخ الصوفية للتبرك بهم، وعرفت مختلف بلدان المغرب الأوسط وجودًا لهذه الهياكل التي أنشأها المتصوفة في أغلب المناطق، بل إنَّها كانت تُساهم بشكل كبير في الحياة الاجتماعية لمختلف القبائل أو المجتمعات، وأدَّت دورًا تعليميًا ودينيًا واجتماعيًا لا يمكن الإغفال عنه، وساهمت في حلِّ النزاعات سواء بين الأفراد أو الأسر وحتى القبائل في كثير من الأحيان، وكان لها مصادر تمويل تساعد على الاستمرار والقيام بالمهام المختلفة، وجعلت الزاوية من تحفيظ القرآن قاعدة أولى قبل كلِّ المهام أو الخدمات الأخرى، وكانت تعتنى بالطلبة اعتناء بالغًا وتوفّر لهم مختلف المستلزمات -على بساطتها- للحفاظ ومزاولة الدّراسة ثم توجيههم.

وقد انتشرت الزوايا الصوفية في كلِّ المناطق سواء الحضرية أو الريفية وحتى في الجبال والصحراء، واختلفت هياكلها العمرانية ومكوّناتها العمرانية حسب المناطق وحسب ما يلاءم المناخ لتقاوم العوامل الطبيعيّة، لكنّها وإن قاومتها إلا أنّ الكثير منها قد تعرّض للهدم خاصّة في الفترة الإستعمارية في محاولة من المستعمر لطمس الهوية الإسلامية.

#### أولاً: تطوّر المؤسسات الصوفية ببلاد المغرب الأوسط

منذ الفتوحات الإسلامية للمغرب العربي مثلَّ المسجد النّواة الأولى كمؤسّسة ثقافية وتعليميّة ودينيّة في آنٍ واحد تُبلِّغ رسالة الإسلام وتعالج مشاكل المجتمع في شتى مجالات الحياة، ثمّ بدأت تظهر مؤسّسات أخرى بالتدرّج مشاركة له في تبليغ الرسالة الدينية، ومخفّفة عنه بعض الأعباء كتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الشرعية في مختلف المراحل، وأهمّها المدارس التّعليميّة والكتاتيب القرآنيّة.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> مريوش أحمد، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية

وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2007، ص 11

فالمسجد كان النواة الأولى للتعليم ثم تلتها الكتاتيب لتظهر الزوايا، لكن الزوايا هي منشآت دينية ثقافية واجتماعية تختص بالمتصوفين الذين انتشرت مؤسساتهم التعليمية عبر كامل المغرب الأوسط.

### 1- الخُلوَة

إنّ البدايات الأولى للتصوف والزهد كانت في الإبتعاد عن المدينة والفوضى ومغريات الحياة، فأصل التصوف العزوف على الدنيا وزينتها والإدبار عما يقبل عليه الناس من لذة ومال وجاه، وكما ذكر ابن خلدون "الإنقطاع إلى الله والتعبّد في الخلوة"، فقد كان الزهاد والمتصوفة ينقطعون إلى الجبال والمغارات والغيران والأودية كونها بعيدة عن صخب الدنيا وفوضى المدينة للإنقطاع إلى العبادة، وهذا ما ترويه لنا المصادر التاريخية حول الكثير من المشايخ والمتصوفة بل حتى أنّ تلك "الخلوات تُسمّى بأسمائهم" كخلوة سيدي عمر بن يحيى وغيرها من الخلوات. وفي الغالب تكون الخلوة عبارة عن غار طبيعي أو مغارة في أحد الجبال أو الهضبات وربما لجأ إليها الصوفية تيمّناً بما فعله النبي صلى الله عليه وسلّم حين آوى إلى غار حراء، وفي بعض المناطق تكون الخلوة عبارة عن حُجرة صغيرة بسيطة المبنى لا تحتوي إلّا على حصير للمتعبّد، وهذا ما تُثبته لنا المصادر المادية. وكانت الخلوة في الصّدر الأول قانوناً يلزم جميع الصوفية بلا استثناء فكانوا يلجئون إلى المغارات والصّحاري يقاتنون من عشبها ويعيشون في كنفها، ولعلّها كانت في ذلك العصر حركة مضادة للتّرف الذي شاع في أرجاء الدّولة الإسلامية.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي السلّماني المعروف بلسان الدين ابن الخطيب، روضة التّعريف بالحب الشّريف،

تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 463

فالخلوة عند الصّوفية هي المكان الذي يختلي فيه الصّوفي للتعبّد والمناجاة والقيام بالريّاضة الرّوحية، ومحادثة السرّ مع الحق، حيث لا أحد،<sup>1</sup> والخلوة هي التحنّث الفردي ومداومة الذّكر بشروط معلومة من حيث المكان وطبيعة المأكل ومدّة الإختلاء، أمّا الجلوة فهي وجود الصّوفي بين النّاس، والمختلي والمجتلي كلاهما في طريق الحقّ، قال ابن عربي: "الخلوة خروج العبد بالنعوت الإلهية والجلوة محادثة السرّ مع الحق حيث لا ملك ولا أحد"، والخلوة أنواع كثيرة،<sup>2</sup> وهي عندهم رياض المحبّين وبُستان المتفكّرين وربيع سوائم الذّاكرين، وقالوا: من غلب عليه الأنس لم يكن همّه إلاّ الإنفراد والخلوة.<sup>3</sup>

وقد اتّفق كل من أبي زكريا يحيى (ت471هـ/1078م) وأبي الرّبيع الوسياني(ق6هـ/12م) والدّرّجيني(ت671هـ/1272م) حول اختيار زهّاد وصوفيّة ورجلان وريغ وسوف الغيران كمواضع للعزلة والعبادة ونسخ الكتب وحلقات الدرس والنوم، ومن أبرز هذه الغيران التي احتضنت هذا النّشاط التّعبدي والعلمي "غيران أبي أجاج" خارج ورجلان.<sup>4</sup>

كما كان أبو العبّاس أحمد الويّلي(ق5هـ/11م) يقضي رمضان معتكفاً بجبل بني مصعب بوادي ميزاب،<sup>5</sup> وكذلك غار بني يسلي بريغ الذي كان يقيم به الشيخ أبي عبد الله

<sup>1</sup> القيشاني كمال الدين عبد الرزاق، إصطلاحات الصوفية، تحقيق محمد كمال ابراهيم جعفر، ط1، مركز تحقيق التراث،

الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981، ص 161

<sup>2</sup> محمد بن بريكة، المرجع السابق، ص 232

<sup>3</sup> لسان الدين ابن الخطيب، الروضة، المرجع السابق، ص 463

<sup>4</sup> الطاهر بونابي، مرجع سابق، ص 25

<sup>5</sup> الدّرّجيني، مصدر سابق، ص 446

محمد بن أبي بكر (ت440هـ/1048م) وقد كان يُقيم به حلقات التّعليم ويجتمع فيه مع طلبته.<sup>1</sup>

بالإضافة إلى اتّخاذ الكثير من المتصوّفين عُرفاً صغيرة بسيطة تُبنى بالحجارة أو الطّوب وغالبا ما تخلو من الزّخرفة ومن مظاهر التّرف ويظهر عليها طابع الزّهد والتّقشّف، ونجدها أحيانا إلى جانب الزّوايا وأحيانا تكون منعزلة تماما عن المحيط العمراني، بل كانت الكثير من الخلوات سببا في نشأة بعض الزوايا تبركا بتلك الخلوات، ونذكر بعض الخلوات في بعض المناطق من المغرب الأوسط.

ومن المتصوّفين والزّهاد من يتّخذ بيوتا أو حوانيت لممارسة طقوسهم التّعبدية، كما كان حال الشيخ سيدي دادا المغراوي بوهران، جاء عنه في طلوع سعد السّعود: "ومنهم ذو النّور الباهر، كثير الأسرار والجواهر، والإحسان والعوارف، والإكمال والمعارف، صاحب البرهان السّاطع سيدي دادا أيوب المغراوي الذي كان من أهل القرن الرابع، وهو بينها وبين المرسى الكبير بمكان على البحر في محل فيه متعبدون وصالحون...".<sup>2</sup>

وكذلك كان حال الولي الصّالح محمد عمر الهوّاري (751هـ/1351م) الذي تأثّر منذ صغره بأحد المتصوّفة النّسّاك كان يعيش في مغارة قرب منطقة "سور كلميتو" فلازمه

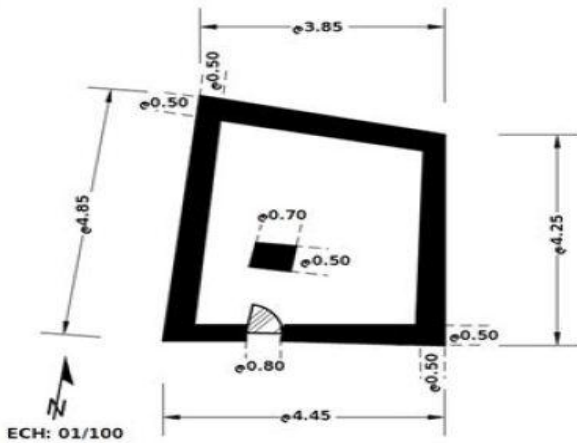
<sup>1</sup>أبي زكريا يحيى، سير الأئمّة وأخبارهم، ت إسماعيل العربي، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص

<sup>2</sup> بن عودة المزاري، طلع سعد السّعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق يحيى بوعزيز، ج01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص ص 68-69.

وأخذ عليه التصوّف، وتروي عنه بعض الروايات أنّه عاش بعدها سائحا يسكن المغارات<sup>1</sup>. ومن بين الأمثلة على الخلوات:

**1-1- خلوة سيدي سليمان بوسماحة ببشار:** كانت عبارة عن غرفة صغيرة اندثرت ولم يبق منها سوى الأساسات، كان تخطيطها مربع الشكل مقاساتها 4م/4م يظهر أنها كانت بسيطة تخلو من الزخارف و هذا راجع إلى الأفكار الصوفية في الزهد في الدنيا<sup>2</sup>.

**1-2- خلوة سيدي أحمد المجدوب بالنعامة (صورة 01):** وهي غرفة صغيرة منحرفة الشكل تبلغ مقاساتها في الجدار الشمالي 3.85م والجنوبي 4.45، وطول الجدار الشرقي 4.24م والغربي 4.84م، تتوسطها دعامة مربعة الشكل وظيفتها حمل السقف، وتخلو الغرفة من أي زخرفة بل تتميز بالبساطة<sup>3</sup>. (مخطط 01)



مخطط 01: خلوة سيدي أحمد المجدوب (عن عبد الحليم يحيوي)

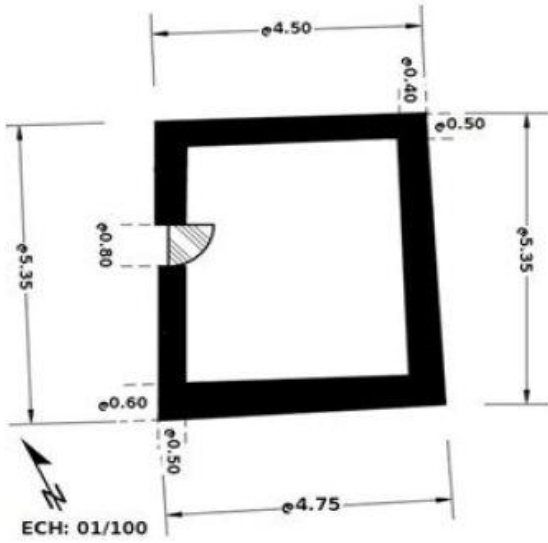
صورة رقم 01: خلوة سيدي احمد المجدوب

<sup>1</sup>Corneille Trumelet, *L'Algérie légendaire : en pèlerinage çà et là aux tombeaux des principaux thaumaturges de l'islam*, Tell et Sahara, édition Adolphe Jourdan Paris, 1892 , p 458

<sup>2</sup> يحيوي عبد الحليم، مشروع أعمال الترميم - قصر أربوات الفوقاني، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، 2016/2015، ص 60

<sup>3</sup>نفسه، ص 60

1-3- خلوة سيدي الشيخ بقصر إيش بالبيّض: عبارة عن غرفة مربعة الشكل (صورة 01) مدخلها بالجدار الغربي، تبلغ مقاسات جدرانها كالتالي: الجدار الشرقي 5.35م والجدار الغربي 5.35م وطول الجدار الشمالي 4.50م والجدار الجنوبي 4.75م. (مخطط 01)



مخطط 01: خلوة سيدي الشيخ (عن عبد الحليم يحيايوي)

صورة رقم 01: خلوة سيدي الشيخ

وقد بقيت الخلوة ملازمة لكثير من المنشآت الصوفية (الزوايا) فهي تبقى ركن أساسي في كثير من الزوايا ويختص بها شيخ الزاوية أو الخليفة ومن يأتي من بعده، نجدها أحيانا غرفة في بيت الشيخ، وأحيانا تكون حجرة صغيرة في أحد أركان الزاوية، وأحيانا تكون مستقلة عن الإثنين وتكون وحدها.

1-4- خلوة سيدي عبد السلام المشيش بباتنة: تقع على بعد ما يقارب 1 كلم من المسجد العتيق الذي يتواجد فيه ضريح سيدي عبد السلام المشيشي بدشرة تكوت، على الضفة الجنوبية لشعبة الماء، تتواجد مجموعة من الأحجار الكبيرة يمكن لشخص أو لمجموعة أن يتقيؤوا بضلالها، هذه الأحجار الكبيرة تُسمى باسم هذا الولي كما هو ماثل في الذاكرة الجماعية للمجتمع المحلي...، فهذه التسمية تدلّ على أنّ سيدي عبد السلام

المشيخي خصّص هذا المكان للعبادة والتصوّف، حيث كان يعتزل عن الناس ويطلب الخلوة.<sup>1</sup>

وكذلك بحوض الصّومام خلوات لا تزال قائمة إلى الآن، منها خلوة سيدي يحيى العيدلي بالقرب من حمامه (صورة01)، وخلوة سيدي إبراهيم بن عمار بأعالي قرية تيغرمين، وخلوة الشّيخ الحداد بصدوق العلوي (صورة02).<sup>2</sup>



صورة01: خلوة سيدي يحيى العيدلي (عن عزوق عبد الكريم) صورة02: خلوة الشّيخ الحداد بصدوق العلوي (عن عزوق عبد الكريم)

### لوحة رقم 01: نماذج من الخلوات الصوفية بمنطقة القبائل

<sup>1</sup> سليم درنوني، "من سيدي عبد السلام المشيخي إلى سيدي خالد العبيسي، قراءة أنثروبولوجية لموسمي الزيارة والحج إلى الأضرحة في الأوراس والزيبان"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 35، سبتمبر 2018، ص ص 661-660

<sup>2</sup> عزوق عبد الكريم، الآثار الإسلامية ببجاية، ط1، مؤسسة الضحى، الجزائر، 2013، ص 122

## 2- الرِّباط

الرِّباط في اللغة: يقال رَبَطْتُ الشَّيْءَ أَرَبَطُهُ رَبْطًا، أي شَدَدْتُهُ، والموضع مَرَبِطٌ، والرِّباط ما تشدَّ به القربة والدَّابَّةُ وغيرهما، والرِّباط المرابطة وهو ملازمة ثغر العدو، وجمعه رباطات ورُبُط، وأصل المرابطة أن يربط الفريقان خيولهما في ثغر كلٍّ منهما معدًّا لصاحبه، فسَمِّيَ المُقام ولُزوم الثَّغور رباطًا، وربما سُمِّيت الخيل رباطًا، والرِّباط المواظبة على الأمر، والرِّباط في الأصل الإقامة على جهاد العدو بالحرب وارتباط الخيل وإعدادها،<sup>1</sup> ودون الطَّمع في أجر يُقدِّمه سلطان أو حاكم، لذا فإنَّ الأربطة لا يقطنها جنود محترفون وإنما يقطنها مؤمنون يقومون بأعمال مختلفة لكسب قوتهم، وينظِّمون أوقاتهم بين التَّعبُد والدراسة والتَّمارين الرِّياضية والعسكرية، وجرت العادة أن يصطحب المرابط المجاهد عائلته، فيعيش معها عيشة الزَّاهد المجاهد الواقف في وجه العدو، ينتظر النَّداء لينفر للجهاد مدافعًا عن أمته ودينه،<sup>2</sup> بالإضافة إلى أنَّهم يتلقَّون داخل هذه الرِّباطات تربية روحية عالية تغرس في المرابط مكارم الأخلاق، وجميل الخصال، وتوجهه نحو الفضائل وتبعده عن الرَّذائل، وتساعده على مراقبة نفسه مراقبة دقيقة تقيه اقتحام مواطن الهلكة، والإنغماس في حمأة الشَّهوات، كما تعودُه حب التُّضحية والفداء في سبيل الواجب والتَّقاني في خدمته.<sup>3</sup>

إذا فالرِّباط اسم مشتقٌّ من فعل ثلاثي مجرد، ويقال رَبَطَ الشَّيْءَ وشَدَّهُ، ويشمل معنى الإحاطة به وكذلك الإقامة المستمرة، ووردَ في القرآن الكريم والحديث الشريف بصيغ أخرى بمعنى ربط القلب وشدّه (ثلاث صيغ مجازية قرآنية)، ويبدو أن استعمالات الجذر

<sup>1</sup> أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، ج1، تحقيق إميل بديع ومحمد نبيل طريقي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999، ص 363

<sup>2</sup> محمد نجيب خالف، "الأربطة"، مجلة آثار، معهد الآثار، جامعة الجزائر، ع06، 2007، ص 90

<sup>3</sup> صلاح مؤيد العقبى، المرجع السابق، ص 323

ر. ب. ط كانت في لغة القرن السابع الميلادي مرتبطة بالحروب القبليّة، أي التجهيزات الخاصة بالخيول المعدّة للغزو (الجياد أو المكان الذي يجتمع فيه الفرسان متأهبين للقيام بحملة من الحملات)، وهو المعنى الذي نجده في سورة الأنفال: "وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدوّ الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم" وهي مُعدّة "للذين كفروا" أي الذين رفضوا اعتناق الإسلام والخضوع لسلطة المدينة، وفي سورة آل عمران: "يا أيّها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وربطوا واتّقوا الله لعلّكم تفلحون"، وفي هذه الآية لا نجد أيضا مفهوم "ملازمة الثغور".<sup>1</sup>

وقد كان ظهوره بادئ الأمر مع بداية الإحتكاك الحربي بين المسلمين والفُرس والرّوم إذ أنّ الفتوحات الإسلاميّة جعلت الأعمال الثغرية والمرابطة ضمن التعبئة العسكريّة،<sup>2</sup> ففي الأربطة ينقطع العبّاد والزّهاد والجنود لتأمين السّواحل والطّرق خاصة منها التّجارية ودرء أي أخطار أو تهديد أو غارات.

وكان الرّباط - في المغرب - إلى جانب مهمّته الحربيّة مكانا للتّعبّد ومعهدا تُدرّس به شتّى العلوم ولاسيما العلوم الدّينيّة، وزادت أهمّيّته في عهد المرابطين ثم في عهد الموحدّين من الوجهتين الحربيّة والعلميّة، وعلى الرّغم من أنّ الرّبط نشأت في أوّل أمرها بالشّرق فإنّ رُبط المغرب كانت أكثر نفعاً وأبعد أثرا،<sup>3</sup> إذ اكتظّفت الرّباطات بالنّخبة من أبناء الإسلام وأصبحت ابتداء من القرن 4/هـ 10م تعرف تحوّلًا كبيرًا، فلم تعد مهمّتها

<sup>1</sup> ناجي جلول، "الرّباطات البحريّة بافريقيّة في العصر الوسيط"، السلسلة التاريخيّة، ع 09، تونس، 1999، ص 15

<sup>2</sup> أحمد علي إسماعيل، التّعبئة العسكريّة في صدر الإسلام والعهد الأموي، ط1، دار الشورى، بيروت، لبنان، 1982،

<sup>3</sup> عبد الله علام، الدولة الموحّديّة بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة، 1971، ص 191

قاصرة على العبادة والجهاد كما كانت فيما مضى، بل أصبحت مؤسسة تعليمية يقصدها العلماء للتدريس بها وتأليف الكتب والرسائل القيّمة في مختلف العلوم والمعارف.<sup>1</sup>

ولقد عرفت بلاد المغرب الأوسط العديد من الأربطة نذكر من بينها (خريطة 01):

**2-1-رباط بونة بعنابة:** أسسه الفقيه الزاهد أبو عبد الملك مروان بن محمد الأندلسي (ت404هـ/1048م).

**2-2-رباط كدية صلب الكلب بوهران:**

يقع في السّفح الشمالي الشرقي لجبل مرجاجو، بالقرب من طريق المرسى الكبير غير بعيد عن البحر، وهو عبارة عن مغارة كبيرة اتخذها بعض الزهاد مكانا للتعبّد خلال العصور الإسلامية المتقدّمة، ورباط فيه بعض المجاهدين للدّفاع عن المدينة ضدّ المغيرين على المدينة من البحر، وعندما قدم تاشفين بن علي المرابطي إلى وهران عام 625هـ/1145م قصدَ هذا الرّباط في رمضان لصلاة التّراويح، والتّبرّك بالمتعبّدين فيه، فعلم الموحدون بوجوده هناك وهاجموا الرّباط، و حاولوا إشعال النيران فيه ففرّ على فرسه وسقط على الأرض ومات فعثرّ عليه في اليوم الموالي، ومنذ ذلك اليوم أطلق على الرّباط اسم: "رباط فتح الصلب" وعلى أنقاض هذا الرّباط أقيم في ما بعد برج حسن بن زهوة.<sup>2</sup>

**2-3-رباط جبل المائدة بجيجل:**

يقع هذا الرّباط بين سيدي معروف والبريدية وتنازلت بولاية جيجل، أسس على يد الباي محمد الكبير وهوفي الأصل عبارة عن مجموعة من المغارات تمركز بها بعض المجاهدين لمقاومة النصارى الإسبان، وبعد ذلك ورد عليه مجموعة من الطلبة والعلماء والزهاد أمثال الشيخ محمّد بن عبد الله الجيلالي والشيخ محمد بن علي أبي طالب

<sup>1</sup> صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 324

<sup>2</sup> يحيى بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 96

المازوني، وكان الباي محمّد الكبير يُزوّدهم بالمؤن والأغذية والأسلحة، وقد أمر الناس بأن يقيموا الأسواق بجوار هذا الرباط حتى يتمكن المرابطون من التزوّد بما يحتاجونه،<sup>1</sup> وما يزال هذا الرباط قائماً حتى اليوم كمغارة في قمة الجبل، ويسكنه بعض الفقراء والامتسولين، ووضعت له باب وفوقه ضريح أزيل عام 1980.<sup>2</sup>

وقد اتخذ الرباط حجم ما يُعرف بالرباطة، وهي بناء صغير يعتكف فيه الشيخ الصوفي وحوله تلامذته المریدون ينهلون من عمله وطريقته في التصوف، ويراقب أورادهم ومجاهداتهم التي تُضفي بهم إلى التجرد من الدنيا وملذاتها، وهذا الشكل من الرباطات كان منتشراً في بجاية خلال القرنين 6 و7هـ/12 و13م، وبدورهم كان المریدون الذين ينتهون من الأخذ عن كبار مشايخ التصوف في كل من بجاية و تلمسان يعودون إلى مواطن إقامتهم في البوادي والأرياف، و يقيمون رباطات تقليدا لرباطات مشايخهم وبهذه الكيفية نشأ التصوف وانتشر، وبالتالي فإن الحركة الصوفية التي شهدتها المغرب الأوسط في القرنين 6 و7هـ/ 12 و13 الميلاديين هي نتاج عمل الرباط والرباطة.<sup>3</sup>

وتعتبر الرباطة التي أسسها الشيخ عبد السلام التونسي بتلمسان (486هـ/1093م)،<sup>4</sup> يقول عنها صاحب أنس الفقير وعزّ الحقيّر: "والعباد منظر شريف وبقعة مباركة وطئها الصالحون وسكنها المتعبّدون، وفي داخل المصر رابطة التونسي

<sup>1</sup> أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم الشيخ المهدي البوعبدلي، اعتنى به عبد الرحمان دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ص ص 233-242

<sup>2</sup> يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 97

<sup>3</sup> الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص 63

<sup>4</sup> أصله من تونس وصحب عمه عبد العزيز التونسي بأغامت، فلما مات بها عمه نزل هو إلى تلمسان و بها توفي، ودفن بالعباد في الرباطة المعروفة برابطة التونسي، وكان عارفاً بالمسائل زاهداً في الدنيا متقشفاً صليباً في الحق مغلظاً على الأمراء لا يخاف في الله لومة لائم"، أنظر: أبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، ط2، الدار البيضاء، 1997، ص 110

نفع الله به وهو أبو محمد عبد السلام التونسي<sup>1</sup>، تعتبر نموذجًا يعكس التحول الذي أخذ يطرأ على الربط في المغرب الأوسط والتي اتجهت وجهة زهدية بحتة...، كذلك هو الحال بالنسبة لرابطة تكوش بنواحي بونتهورباط ملالة في بني ورياكل،<sup>2</sup> كما تحولت العديد من الأربطة وبعض الأبراج بمدينة بجاية إلى الوظيفية التعليمية،<sup>3</sup> بالإضافة إلى رباط ابن بيكي البجائي داخل باب أميسون وكذلك رابطة علي بن أبي نصر بن عبد الله البجائي بخارج باب أميسون.

### ثانيا: نشأة الزوايا وانتشارها بالمغرب

تنتقل دراسة الزوايا في التراث الإسلامي من تحديد منبعها الرئيسي الذي تولدت عنه، فالزوايا هي امتداد للزهد والحركة الصوفية في الإسلام، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن لأي ظاهرة اجتماعية أو علمية أو دينية لها من العوامل والدوافع والظروف ما يساعدها على النمو والتطور والانتشار.

إن من أبرز ما امتاز به الشعب المغربي منذ أعرق العصور إلى جانب روحه الإستقلالية قابليته الفطرية للتأثر بكل غريب وسرعة انفعاله وقد ينقلب بعد حين إذا لم يكن ذلك العمل الذي أثر فيه قوي المفعول في نفسه.<sup>4</sup>

وقد عرف التصوف حركة انتقالية من الزهد والتعبد إلى علم عملي ومنهج ديني، أو بالأحرى ظاهرة دينية ملموسة أواخر القرن 8/هـ 14م، ثم لينتقل إلى تيار فكري أو

<sup>1</sup> أبو العباس أحمد الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1965، ص106

<sup>2</sup> الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص 60

<sup>3</sup> ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قدام الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 95

<sup>4</sup> عبد العزيز بن عبد الله، معلمة التصوف الإسلامي، ج1، ط1، دار نشر المعرفة، 2001، ص 89

تصوّف نُخبوي، ثم عَزَف التصوف مرحلة تنظيم جماعي له هياكله الخاصة، وتعدّدت الطّرق والمشايخ لتتخذ كل طريقة منهجها وطقوسها التَّعبُديّة وإن اختلفت في الفروع إلّا أنّها تلتقي في الأصول، ممّا ألزم هذه الفئات اتّخاذ مدارس أو هياكل لمُرِيدِها وأتباعها ولإحياء مناسباتها.

فكانت لمعظم هذه الطّرق زوايا يُديرها "الشيخ حامل البركة" وهذه الزوايا منها التي بُنيت منذ القدم ومنها الجديدة التي بناها "المقاديم" المنفصلون عن شيوخهم الأصليين.<sup>1</sup>

### 1- مفهوم الزاوية:

زَاوِيَةُ الْبَيْتِ زُكْنُهُ وَالْجَمْعُ زَوَايَا، وَ تَزَوَّى صَارَ فِيهَا، وَتَقُولُ زَوَى فُلَانٌ الْمَالَ عَنْ وَارِثِهِ بِمَعْنَى أَخْفَاهُ عَنْ وَارِثِهِ<sup>2</sup>. والزواوية واحدة جمعها زوايا، زوى الشيء يزويه زياً جمعه وقبضه، وفي الحديث "زُويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها"، وانزوت الجلدة في النَّارِ اجْتَمَعَتْ وَتَقَبَّضَتْ،<sup>3</sup> وَزَوَى الْمَالَ وَغَيْرَهُ، احْتَازَهُ، وَزَوَى عَنِّي حَقَّهُ، وَزَوَى الرَّجُلَ الْمِيرَاثَ عَنْ وَرَثَتِهِ: عَدَلَ بِهِ عَنْهُمْ، وَقَدْ انزَوَيْتَ عَنَّا أَي انقَبَضْتَ فَلَا تُبَاسِطُنَا.<sup>4</sup>

أما من الناحية الدينية فالزواوية كانت تُطلق في بادئ الأمر على صومعة الرَّاهب المسيحي ثم أُطلقت على المسجد الصَّغير أو على المصلّى، ولا يزال هذا المعنى عند المسلمين في الشَّرق، ذلك أنّهم يُفرِّقون بينها وبين المسجد الذي يفوقها شأنًا، وهو يُعرف أيضًا بالجامع، غير أنّ هذا المفهوم في المغرب كان له معنى أوسع.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج4، ص 284

<sup>2</sup> ابن منظور، المرجع السابق، ج07، ص 81

<sup>3</sup> الرزّازي الإمام فخر الدين، مختار الصحاح، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا. 1999، ص 117

<sup>4</sup> الرّمخشري أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، أساس البلاغة، ت محمد باسل عيون السود، ج01، ط01، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998، ص 427

<sup>5</sup> منى عبد المنعم جاد الله، المرجع السابق، ص 128

أما في المغرب تعني الزاوية "طريقة" أو تُشير إلى تَجْمَع الإخوان كما تُعرف في أماكن أخرى بالمذهب الصوفي، فالزاوية هي الهيكل الاجتماعي للإخوان المُعَبَّر عن مذهبهم،<sup>1</sup> وسميت بذلك لأن الذين فكروا في بنائها أول مرة من المتصوفة والمرابطين اختاروا الإنزواء بمكانها، والإبتعاد عن صخب العمران وضجيجه طلباً للهدوء والسكون الذين يساعدان على التأمل والرياضة الروحية ويُناسبان جوَّ الذكر والعبادة وهي من الوظائف الإسلامية التي من أجلها وُجِدَت الزاوية.<sup>2</sup>

وقد أُطلق هذا اللفظ قديماً على موضع بالبصرة كانت به الوقعة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث، وعلى بلد بالموصل، وقرية قرب المدينة بها قصر أنس، وبلد بواسط، وقرية بالأندلس كما جاء في أساس البلاغة لجار الله الزمخشري وهو من أعلام القرن 5هـ/11م، وفي القاموس المحيط، كما سميت بها مدينة من مدن القطر الليبي.<sup>3</sup>

## 2- لمحة تاريخية حول انتشار الزوايا بالمغرب:

لقد انتشرت الطرق الصوفية عبر كامل العالم الإسلامي بسبب رحلات العلماء وقوافل الحجّ وحتّى عن طريق التجارة، وعن طريقها أسلم الكثير في شتى بقاع العالم، فالكثير من المناطق التي لم تصلها الفتوحات الإسلامية وصلها الدعاة والفقهاء والعلماء ومنهم شيوخ الصوفية.

ومع التطور الذي عرفه التصوّف والتنظيمات التي عرفتھا الطرق الصوفية، اتخذ المتصوفة بنايات خاصّة بهم عرفت بالخانقاه، وقد بنا الخلفاء المسلمون الأوائل بيوتاً ملحقة بالمسجد لحاجة المعتكفين والزهاد للإنزواء والخُلوّة، ثمّ ظهرت أبنية على أطراف

<sup>1</sup> محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، 1989، ص 27

<sup>2</sup> صلاح مؤيد العقبى، المرجع السابق، ص 301

<sup>3</sup> نفسه، ص 302

المدن كمصليات ومساجد صغيرة بدون محراب لإقامة الصلوات الخمس،<sup>1</sup> بالإضافة إلى الكتابات أقدم أهمّ الوسائط الثقافية بعد المساجد والجوامع التي أسهمت في نشر العلوم والمعارف الإسلامية على وجه الخصوص،<sup>2</sup> ثم تأتي الرباطات في المرتبة الثالثة من الأهمية في تسلسل الوسائط أو المؤسسات العلمية والثقافية،<sup>3</sup> وتميّزت بغلبة الجانب الحربي على الجانب التربوي، في حين تُعدّ الزاوية مكاناً خاصاً للتعبّد وتلاوة القرآن وذكر الله وتطهير النفس وتهذيبها وإن كانت شكلاً من أشكال الرباط لكنّها تتسم بطغيان الجانب التربوي، فالرباط إذاً مرحلة متقدّمة وتمهيد لظهور الزوايا بالمغرب،<sup>4</sup> وقد تخلّت الأربطة عن الوظيفة العسكرية، وحافظت على تعليم الطريقة الصوفية،<sup>5</sup> ووضع مؤسسة الزاوية في سياقها التاريخي الصحيح يقتضي أولاً تفكيك الجسم الصوفي إلى عناصر،<sup>6</sup> إذ ارتبط ظهور الزوايا في المغرب الإسلامي أساساً بظروف سياسية وتاريخية واجتماعية خاصّة، كالفراغات السياسيّة التي كانت تنتج عن غياب السلطنة أو تعرّض البلاد إلى كوارث

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج1، ص 272

<sup>2</sup> يوسف بن أحمد حوالة، الحياة العلمية في إفريقيا، المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري (450/90هـ)، ج1، مكتبة الملك فهد، جامعة أم القرى، 1419، ص 226

<sup>3</sup> نفسه، ص 236

<sup>4</sup> قاسم الحادك، "الزوايا والطرق الصوفية في المغرب من خدمة المخزن وتكريس شرعيته إلى مسالمة المستعمر ومهادنته"، مجلة الدراسات والبحوث الإجتماعية، ع1، جامعة الوادي، سبتمبر، ص 2013

<sup>5</sup> محمد نسيب، مرجع سابق، ص 27

<sup>6</sup> محمد ضريف، مؤسسة الزوايا بالمغرب، ط1، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، 1992، ص 32-

طبيعية مزلزلة كموجات القحط والجراد والفيضانات، أو تعرّض المجتمع لتهديدات خارجية.<sup>1</sup>

فقد عرفت في أواخر القرن 5هـ/11م باسم دار الكرامة التي شيدها يعقوب المنصور الموحد في مراكش،<sup>2</sup> والذي كان أكثر خُلفاء الموحدين ولعًا بالعمارة والبناء،<sup>3</sup> ومع بداية القرن 7هـ/13م أصبح مصطلح الزاوية مرادفًا للرباط أو الصومعة وهو المكان المخصّص لإقامة الولي مع تلامذته من أجل العطاء الديني والعلمي،<sup>4</sup> وفي القرن 8هـ/14م انتشرت بالمغرب وأنشئت بها كتاتيب لتحفيظ القرآن وتعليم الدين ومبادئ العلوم الأمر الذي أدى بملوك بني مرين إلى أن يطوّروا الكتاتيب إلى مدارس وكُليات ليساهموا في الحركة العلمية بجانب جامعة القيروان،<sup>5</sup> إذ عرفت عند المرينيين باسم دار الضيوف، إشارة إلى الزاوية العظيمة التي بناها أبي عنان فارس المتوكل،<sup>6</sup> وقد كان لسقوط الأندلس والأندلس والإحتلال الإسباني والفراغ الإداري واستيعاب السّكان لتقبّل أي حركة روحية إسلامية، لكل ذلك أثر بالغ في انتشار الزوايا.<sup>7</sup>

ومن كلّ هذا يُمكننا القول أن المصطلح "زاوية" ظهر في المغرب حوالي القرن 7هـ/13م مُرادفًا للرابطة أي الصومعة التي يعتزل فيها الولي، ويعيش وسط تلاميذه

<sup>1</sup> عبد الله ستينيتو، الزاوية والمجتمع القبلي والمخزن، الزاوية الدلراقوية نموذجًا، الخزانة الرقمية، موقع مؤسسة مولاي عبد الله الشريف، ص 02.

<sup>2</sup> محمد حجّي، الزاوية الدلّانية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية، الرباط، المغرب، 1966، ص 25

<sup>3</sup> السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 751

<sup>4</sup> مجموعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية، ص 331

<sup>5</sup> حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج4، دار الجيل، بيروت، ص 401

<sup>6</sup> محمد حجّي، المرجع السابق، ص 25

<sup>7</sup> صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 303

ومريديه، فإنّ الزاوية أو الزابطة ليست في جميع الأحوال هي الزباط، وهي منشأة كانت تخدم غرضاً آخر كان له في بادئ الأمر طابع حربي،<sup>1</sup> وقد تخلّت تدريجياً عن الوظيفة العسكرية وحافظت على تعليم الطريقة الصوفية، أمّا من حيث الشكل فتضمّ عادة غرفة للصلاة أو مسجداً في الغالب، وبها حُجرات وضريح لأحد المرابطين أو لوليّ من الأشراف تعلوه قبة، وغرفة قُصّت على تلاوة القرآن ومكتباً أو مدرسة لتحفيظ القرآن، ثمّ عُرف مخصّصة لضيوف الزاوية وللحجاج وللمسافرين والطلبة،<sup>2</sup> وقد عرفها الشيخ طه وليّ الدين على أنّها مكان لإقامة شعائر الدين الحنيف، بالصلاة والصوم والتّهجد والتأمل والذكر والفكر والإستغراق وتلاوة الأوراد وإقامة حلقات الذكر والإنقطاع إلى الله سبحانه وتعالى عن ما سواه، وطلب المعرفة والتّحقيق والشّهود والوصول إلى الله عزّ وجلّ والفناء في حبّ الله ورسوله.<sup>3</sup>

وفي العهد العثماني ظهر مصطلح التّكية في المناطق الشرقية في الدّولة، وهي نوع من العمائر الإسلامية لا تختلف كثيراً عن الخانقاه من حيث الهدف والغاية، وإنّ اختلاف عنها بعض الشيء في التّخطيط والعناصر، ولعلّ تسميتها بالتّكية مأخوذة من الإتكاء بمعنى الإستناد، لأنّ المقيمين كانوا يستندون في أمر إقامتهم ومعيشتهم على ما كان ينفق عليهم من الأوقاف المحبوسة عليها.<sup>4</sup>

ثمّ عرفت الزاوية في المغرب الإسلامي بأنّها مؤسّسة لرؤساء الطّرق الصّوفية يجتمع فيها مُريدوهم لذكر الأوردة، كما كانت تتخذ كمأوى لطلبة القرآن والتعليم، ويقصدها

<sup>1</sup> شريف كمال دحومان الهاشمي، المرجع السابق، ص 187

<sup>2</sup> محمد نسيب، المرجع السابق، ص 27

<sup>3</sup> الشيخ طه وليّ الدين، المساجد في الإسلام، ط01، دار العلم للملايين، 1988، ص 92

<sup>4</sup> عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 54-58

الناس للإستشفاء والصّح بين المتخاصمين،<sup>1</sup> إذ كانت تضمّن للطلّبة نظامًا داخليًا يعفيهم من تكاليف ونفقات المأوى والملبس، ولقد لعبت الزّوايا دورًا أساسيًا في نشر الثقافة في الأرياف،<sup>2</sup> أكثر إيجابية منها في المدينة،<sup>3</sup> وبها كانت للطّرقية سلطة روحية ودينية وقضائية، وعن طريقها كان لها من الولاء الشعبي ما يضاهاه بل يفوق الولاء العام لنظام الحكم القائم.<sup>4</sup>

ولقد ظهر نوع آخر من هذه المعاهد لا هي زاوية ولا هي رباط، تعرف في بلاد القبائل باسم "تمعمرت" وهي عبارة عن معاهد لتعليم القرآن وحفظه أو لدراسة العلوم، وقد انتشر هذا النوع بواد بجاية، وكان لهذه المعاهد أو المعمارات أحباس هامة وقوانين داخلية انتشرت في معظم أنحاء بلاد القبائل.<sup>5</sup>

وينبغي الإشارة إلى كون المجتمع الجزائري ظلّ لمدة طويلة بعيدًا عن الأفكار الأوروبية الحديثة في مجال التعليم، وكانت الثقافة السائدة في الجزائر تتمحور حول العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وعقائد، وكان في طليعة المثقفين بالمدن الفقهاء، الذين كانوا يتمتّعون بالقيادة الفكرية والروحية، والتي ظلّ يشاركون فيها مشايخ الطّرق الصّوفية ومقدّموها في الأرياف، وكانت تحدّث بين الفقهاء والمرابطين وشيوخ الزّوايا خصومات بسبب إنكار الفقهاء على أتباع الطرق الصوفية ما يأتونه من البدع.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> الشريف كمال، المرجع السابق، ص 179

<sup>2</sup> محمد بن مبارك الهلالي الميلّي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج3، مطابع بدران وشركاؤه، بيروت، لبنان، 1964، ص 317

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 273

<sup>4</sup> أحمدية عميراي، فواصل من الفكر والتاريخ، دار البحث للطباعة والنشر، قسنطينة، 2002، ص 117

<sup>5</sup> الشريف كمال الهاشمي، المرجع السابق، ص 180-181

<sup>6</sup> نفسه، ص 181

ورغم ذلك فالزوايا التعليمية مفيدة يجب النظر إليها على أنها مشروع اجتماعي اشترك فيه كل السكان وافتخروا به وساهموا في تمويله والسهر عليه ثم وزعوا الأدوار، فهناك دور الجماعة ودور لأهل القرية ودور للمرابط ودور للمعلم ودور للأسرة وهكذا...<sup>1</sup>

### 3-أنواع الزاوية:

لقد اختلف الباحثون والمختصون في تحديد أنواع الزوايا، واختلفت تقسيماتهم كل على شاكلته، فمنهم من عدّ أنواعها حسب انتسابها ومنهم من اتبع وظائفها وما تقدّمه الزاوية للمجتمع، وآخر صنّفها من حيث موقعها ريفية أو زاوية في المدينة.

#### 3-1- زاوية مطلقة أو منسوبة لمكان:

بُنِيَتْ للعلم وأعمال البرّ والإحسان، ولا تُنسب إلى شخص معيّن، وهذه أحسن أنواع الزوايا، ومنها زوايا المرابطين وهي ملكية جماعية، فمواردها محبوسة على طلب العلم، والمرابطون أحفاد المؤسس الأول لا يحقّ لهم أن يأخذوا شيئاً من أموالها، كما أن زوايا المرابطين لا تتّبع أي طريقة صوفية،<sup>2</sup> فالمرابطون فيها يعملون دون مقابل على الرّغم من فقرهم واحتياجهم،<sup>3</sup> وهي قاعدة لتعليم القرآن واللّغة العربية وعلوم الدين، ويرجع الفضل في ذلك لشييوخها الذين حرصوا كلّ الحرص على سيرها وفق منهج صحيح.

#### 3-2- الزوايا المنسوبة:

هي المنسوبة إلى شخص ميّت تقدّسه العامّة وتحيي ذكراه، وهو مدفون بالزاوية، وفي هذه الحالة تأتي العامّة إلى الزاوية زائرة وطالبة البركة،<sup>4</sup> وتكون مركزا للحضرة

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 123

<sup>2</sup> شريف كمال الهاشمي، المرجع سابق، ص 179-180

<sup>3</sup> محمد نسيب، المرجع سابق، ص 106

<sup>4</sup> شريف كمال الهاشمي، المرجع سابق، ص 179

والزردة وممارسات البدع،<sup>1</sup> وهذا النوع مال إلى الخرافة واستغلال أموال الناس، وانحرف عن أحكام الله تعالى وهذا بما يمارس فيها من أنواع الشعوذة، وما يقام بها من حفلات ولقاءات وزردات.<sup>2</sup>

### 3-3- زوايا الطرق الصوفية:

هي إمّا زاوية الطريقة الأمّ وإما فرع لها، ولكن تنسب إليها وتقوم هذه الزوايا بتعليم القرآن وعلوم الدين بالإضافة إلى أورد الطريقة التي تنسب إليها الزاوية، وهي الأكثر انتشاراً وفيها من دخلت عليها تلك الطقوس كالزردات والإحتفالات وغيرها.

### 4-المصادر المالية للزوايا:

للزوايا موارد مالية تخصّص للعيش ومواصلة التعليم والمهام التي أسست من أجلها الزاوية، وتختلف هذه الموارد المالية من زاوية لأخرى حسب أهميّة الزاوية أو مكانتها الإجتماعية أو الدور الذي تقدّمه من خلال خدماتها العلميّة والدينية والإجتماعية وأحيانا السياسية، ويؤثر في ذلك أيضا انتماؤها لطريقة صوفيّة معيّنة وحسب مريدي الطريقة التي تنتمي إليها، غير أنّ المصادر المالية تنحصر في ما يلي:

### 4-1-الممتلكات القارة:

وتتمثّل في حبوس وأوقاف خاصّة وعمامة يوقفها أصحابها خدمة للزاوية (الطريقة) كالبساتين والأشجار المثمرة والأرض الزراعيّة والمباني العقارية و المدارس... إلخ،<sup>3</sup> ونجد

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، ج3، المرجع السابق، ص 171

<sup>2</sup> يحيى بوعزيز، "أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19/20"، مجلة الثقافة، وزارة الإعلام والاتصال، الجزائر، السنة 11، ع36، ماي 1981، ص 25

<sup>3</sup> بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص 44

أنَّ عناية المُحَبِّسِينَ (الموقوفين) قد انصرفت أصلاً إلى توفير مداخيل تساعد في تسيير المساجد والمدارس والزوايا وخدمات أخرى.<sup>1</sup>

#### 4-2- الممتلكات المنقولة:

وهي مختلفة ومتنوعة منها الزيارة التي يتعهدها الزوار للزوايا حسب كل زاوية وحسب كل منطقة منها ما تكون مرّة أو مرّتان في السنة، ومنها أيضاً الصدقات والهبات والهدايا للزوايا أو عن طريق شيخ الزاوية.

#### 5- مكوناتها المعمارية:

##### 5-1- المسجد:

المسجد هو مكان ترابط الجماعة الإسلامية وهيكلها المادي الملموس، فلا تكتفم الجماعة إلا بمسجد يربط بين أفرادها، يتلاقون فيه للصلاة وتبادل الرأي، ويقصدونه للوقوف على أخبار جماعتهم ويلتقون فيه مع رؤسائهم، أو يتعهدون إليه لمجرد الإستمتاع للعود بركن من أركانه، فالمسجد ضرورة دينية وسياسية واجتماعية ولكل مسلم.<sup>2</sup>

وربما سمح المسلمون لأنفسهم بزخرفة المساجد وتزيينها وتشيد المآذن والقباب بمختلف أشكالها وأنواعها بهدف شدّ القلوب ولفت الأنظار إلى أماكن العبادة والتأمل في قدسيّتها، من جهة أخرى واعترفوا بضرورة تكريم العلماء والأئمة والأولياء الصالحين، وربما جسّدوا ذلك أحيانا من خلال صيانة مآثرهم أو بتسمية العمائر بأسمائهم.

<sup>1</sup> بن قرية يوسف الصالح، المرجع السابق، ص 156

<sup>2</sup> حسين مؤنس، المساجد، سلسلة كتب ثقافية شهرية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981، ص

والمساجد المغربية ذات جمال وكمال إلى درجة لم يصلها غيرها، وجمالها ليس في التكليف ووفرة الزخرفة مع توفّرها أحيانا، بل هو أيضا ببساطتها واحتشامها، ذلك أنّ الإسلام دين خشوع و تقشّف وزهد، فكانت المساجد مثلا شاهدا على ذلك.<sup>1</sup> ولا تخلو زاوية من المسجد فهو ركن أساسي منها للصلاة والتدريس ويستغلّ في كثير من المناطق حتى لقضاء النزاعات بين الأشخاص.

### 5-2- الضريح:

يوجد الضريح في كثير من الزوايا إذا لم نقل أغلبها، وغالبا ما يدفن فيه مؤسس الزاوية وعائلته، وفي كثير من الزوايا هو ما يجلب الزوار من غير الطلبة من طالبي البركة أو لمعتقدات مختلفة، ويختلف موقعه من زاوية إلى أخرى وحتى بناؤه.

### 5-3- المدرسة (قاعة التدريس):

قاعة أو قاعات متعدّدة تستغل للتدريس، وفي الكثير من الزوايا يستغلّ المسجد للتدريس، وقد تتعدّد القاعات بحسب العلوم المتداولة أو بمستويات الطلبة.

### 5-4- دار الضيافة:

توجد في بعض الزوايا وتندعم في أخرى، وهي عبارة عن قاعة أو مبنى مستقلّ يستضاف فيه ضيوف الزاوية وحتّى في كثير من الزوايا تكون مأوى للفقراء وعابري السبيل أو المرضى.

### 5-5- بيوت الطلبة:

وهي تختلف من زاوية إلى أخرى لكنّها في أغلب الزوايا، كان الطلبة يتولّون القيام ببنائها وكانت تسمّى "العشة" كلّ واحدة منها تتسع لطالبين.

<sup>1</sup> أحمد فكري، آثار تونس الإسلامية ومصادر الفن الإسلامي بإفريقية وتونس وليبيا، تقديم عمر سعيدان، مؤسسة

سعيدان للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ص 54

## ثالثاً: أشهر الزوايا في المغرب الأوسط

انتشرت بالمغرب الأوسط الكثير من الزوايا بداية من القرن 5هـ/11م، ويعتبر كتاب الغبريني أهم مصدر يفيدنا بالزوايا التي كانت قائمة في القرن 6-7هـ/12-13م، غير أنّ الكثير من الزوايا سواء ببجاية أو بغيرها من المناطق ببلاد المغرب الأوسط قد تعرّضت للهدم والتّخريب، ومنها ما أعيد بناؤها تماماً بالمواد الحديثة ولم يبق منها إلا القليل التي تحافظ على طابعها الأصلي، غير أنّه يمكننا من خلال المصادر والمراجع الكتابية تفصّي الزوايا التي كانت تنتشر في مختلف المناطق، وسنحاول من خلال هذه الجداول التي سنوردها وضع إحصاء لأهمّ الزوايا على حسب ما استطعنا التوصل إليه سواء من خلال الزيارات الميدانية لبعض المناطق، أو ما استقيناه من الكتب والرسائل العلمية، وسنحاول تحيين هذا الجدول قدر الإمكان لأنّ الإمام بها ووضع خارطة لإحصاء جميع الزوايا أمر صعب جداً، غير أنّنا حاولنا ذلك.

زوايا الفترة (5هـ-11م/7هـ-13م)

إسم الزاوية	المؤسس	مكان تواجدها	تاريخ التأسيس
رباط بونة	مروان البوني	عنابة	1048هـ/440م
زاوية بني حماد	بنو حماد	قصر حماد (تسايبت) أدرار	1155هـ/550م
زاوية مولاي سليمان	مولاي سليمان بن علي	قصر أولاد وشن توات	1184هـ/580م
زاوية عبد السلام التونسي	أبو محمد عبد السلام	تلمسان	1193هـ/589م
زاوية إبن يبكي البجائي	عبد الكريم بن عبد الملك القلعي البجائي	بجاية	بداية ق 7هـ/13م
زاوية أبي زكريا يحيى الزواوي	أبو زكريا يحيى الزواوي	بجاية	1214هـ/611م
سيدي يحيى أو موسى	سيدي يحيى أو موسى	سيدي عيش - بجاية	ق 7هـ/13م
زاوية سيدي	سيدي حسن	عين الرؤى - سطيف	1227هـ/624م
زاوية أبي الفضل قاسم بن محمد القرطبي	أبي الفضل قاسم بن محمد القرشي	بجاية	1269هـ/662م
زاوية ملارة	يعقوب بن عمران البويوسف الملاوي	قسنطينة	1317هـ/717م
أبي يحيى المنباري	أبي يحيى	تمنيط-أدرار	15هـ/9م
عبد الكريم المغيلي	عبد الكريم المغيلي	قصر بوعلي -أدرار	1480هـ/885م

زوايا الفترة (8هـ-14م/11هـ-17م)

إسم الزاوية	المؤسس	مكان تواجدها	تاريخ التأسيس
زاوية الحسن بن أبي القاسم بن باديس	الحسن بن أبي القاسم قسنطينة بن باديس		787هـ/1385م
زاوية كرزاز	سيدي أحمد بن موسى	واحات الساورة - بشار	953هـ أو 969 <sup>1</sup> 1546م/1562م
سيدي سعيد بسمعون	سعيد بسمعون	أميزور - بجاية	ق 9هـ/15م
سيدي أحمد أويحيى	سيدي أحمد أويحيى	أمالو - بجاية	ق 9هـ/15م
سيدي الحاج حساين	سيدي الحاج حساين	بسيدي عيش - بجاية	ق 8هـ/14م
سيدي أحمد أزروق	سيدي أحمد أزروق	بسيدي عيش - بجاية	ق 9هـ/15م
سيدي موسى تينبدار	سيدي موسى تينبدار	بسيدي عيش - بجاية	ق 10هـ/16م
سيدي السعيد امسيس	سيدي السعيد امسيس	صدوق - بجاية	ق 9هـ/15م
سيدي يحيى العدلي	سيدي يحيى العدلي	تمقرة - بجاية	ق 9هـ/15م
سيدي بهلول	بهلول أحمد الغبريني	عزازقة - تيزي وزو	ق 8هـ/14م
سيدي أحمد بن إدريس	عبد الرحمان اليلولي	بيلولة بعزازقة	ق 8هـ/14م
سيدي عمر والحاج	سيدي عمر والحاج	ببوزقان (عزازقة)	805هـ/1402م
سيدي أحمد بن مالك	سيدي أحمد بن مالك	ببوزقان (عزازقة)	ق 9هـ/15م
تيفريت ناث أو مالك	محمد وعلي الحاج	بوزقان (عزازقة)	ق 9هـ/15م

<sup>1</sup>مولاي التهامي غيتاوي، الدرر النفيسة في ذكر جملة من حياة الشيخ سيدي احمد بن موسى، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، الجزائر، 2004، ص 38

سيدي منصور	سيدي منصور	أزفون (عزازقة)	ق 9هـ/15م
سيدي علي أو يحيى بني كوفي	علي أويحيى	بوغني	ق 9هـ/15م
سيدي علي أوطالب بكوكو	سيدي علي أوطالب	عين الحمام	ق 10هـ/16م
زاوية محمد الطالب بن سليمان	محمد الطيب	قصر آدغا توات	ق 8هـ/14م
سيدي الحاج لحسن الشريف	الحاج لحسن الشريف	قصر جنتور قورارة	ق 8هـ/14م
مدرسة تمنطيط	سيدي البكري	قصر تمنطيط	ق 9هـ/15م
زاوية موسى والمسعود	موسى والمسعود	قصر تاسفاوت قورارة	ق 9هـ/15م
مدرسة بوحامد	أبو حامد الجعفري	قصر بوحامد توات	ق 9هـ/15م
زاوية مراقن	محمد السالم	قصر مراقن توات	ق 9هـ/15م
مدرسة الشيخ المغيلي الكريم المغيلي	الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي	قصر بوعلي- توات	ق 9هـ/15م
زاوية ميمون	الإدريسيون من تلمسان	قصر ميمون توات	ق 10هـ/16م
زاوية الشيخ عمر	محمد بن عمر	قصر إقسطنقورارة	ق 10هـ/16م
تسفارت	سيدي موسى والمسعود	تيميمون	ق 9هـ/15م
سيدي الحاج بلقاسم	سيدي الحاج بلقاسم	تيميمون	ق 10هـ/16م
تمصلح	سيدي الحاج بو أمحمد	تيميمون	ق 11هـ/17م
بدریان	بن الحاج بن محمد	كرارة-القورارة	ق 11هـ/17م
سيدي عمر	سيدي عمر بن صالح	أوقرورت- قورارة	ق 11هـ/17م
سيدي حيدة	أحمد بن عبد الله	توات	ق 11هـ/17م

زاجلوا	سيدي علي بن حنبي	توات	17/هـ11م
زاوية الشيخ	سيدي أحمد بن عمر	بودة - توات	ق 17/هـ11م
	البداوي		
كننة	أحمد بن محمد الرقادي	توات	ق 17/هـ11م
رقان	مولاي عبد الله الرقاني	توات	ق 17/هـ11م
زاوية الشيخ بودة	أحمد بن يوسف	تيمي - توات	1002هـ / 1593م
سيدي يحيى أوموسى	سيدي يحيى أوموسى	فريحة ببني ورتلان	ق 15/هـ09م

### زوايا الفترة العثمانية<sup>1</sup>

الزاوية	مقرها وموقعها	تاريخ التأسيس
سيدي عمر أوشريف	سيدي داود - دلس	ق 17/هـ11م
سيدي بوعبد الله الحامي	الحمام - الأخرية - البويرة	ق 13/هـ19م
أولاد سيدي العوفي	الميهوب - تابلاط - المدية	ق 17/هـ11م
شلابي	القلب الكبير - تابلاط - المدية	ق 12/هـ18م
تيفريت نايت الحاج	أزفرن - تيزي وزو	ق 10/هـ16م
سيدي علي	عين الحمام - تيزي وزو	ق 10/هـ16م
سيدي علي موسى	تيزي وزو	ق 10/هـ16م
سيدي علي أويحيى	بوغني - تيزي وزو	ق 10/هـ16م
سيدي عبد الرحمان اليلولي	عزازقة - تيزي وزو	ق 17/هـ11م
سيدي أحمد بن عبد الرحمان	بوغني - تيزي وزو	ق 12/هـ18م

<sup>1</sup> عن بوزرينة السعيد، المرجع السابق - بتصريف -

سیدی منصور	تیمیزار - عزازقة - تیزی وزو	ق 10/هـ/16م
بن شرقي بونجار	العبادلة - عين الدفلى	ق 13/هـ/19م
بان سیدی عیسی جلول	جندل - عینالدفلی	ق 13/هـ/19م
بریارة	ثنية الحد - عين الدفلى	ق 13/هـ/19م
الدرورية	باتنة	ق 13/هـ/19م
إبن عبد الصمد	باتنة	ق 11/هـ/17م
مول القرقور	واد الماء - باتنة	ق 11/هـ/17م
الشیخ الحفناوی	الناظور بني مزلين	1318هـ/1900م
بلقاضي	سريانة - أم البواقي	ق 10/هـ/16م
زاوية سیدی يحيى زروق	بني معافة - باتنة	ق 10/هـ/16م
ابن دراجي	سريانة - أم البواقي	ق 10/هـ/16م
ثابت حليفة	العلمة - سطيف	1301هـ/1883م
إبنعلجية	نقاوس - باتنة	ق 13/هـ/19م
الشیخ الحواس	عين ولمان - سطيف	1287هـ/1870م
الشیخ بلحداد	وادي صومام - بجاية	ق 13/هـ/19م
سیدی سعید امسیسن	بصدوق - بجاية	ق 13/هـ/19م
أبي القاسم الحسيني البوجلبي	أقبو - بجاية	ق 13/هـ/19م
بن سحنون	سیدی عیش - بجاية	ق 13/هـ/19م

الهامل	بوسعادة - مسيلة	ق 13/هـ/19م
بوداود	أقبو - بجاية	ق 10/هـ/16م
بن علي الشريف شلاطة	أقبو - بجاية	ق 13/هـ/19م
علي بن عمر	طولقة - بسكرة	ق 12/هـ/18م
عبد الرحمان الأخضرى	مخادمة - بسكرة	ق 13/هـ/19م
سيدي خالد	سيدي خالد - بسكرة	ق 12/هـ/18م
حنصالة	مدينة قسنطينة	ق 12/هـ/18م
سيدي عبد المومن	مدينة قسنطينة	ق 12/هـ/18م
العلوية حاج الجبلاي	مدينة سيدي بلعباس	ق 13/هـ/19م
المحمدية التيجانية	مدينة سيدي بلعباس	ق 13/هـ/19م
سيدي التاج	رأس المال - سيدي بلعباس	ق 13/هـ/19م
سيدي البودالي	اولاد سيدي ابراهيم. سعيدة	ق 13/هـ/19م
سيدي بن عبد الله	مدينة معسكر	ق 13/هـ/19م
سيدي أحمد بن موسى	بني عباس - بشار	ق 11/هـ/17م
أولاد عمر موسى	متليلي - غرداية	ق 10/هـ/16م
زاحلو	توات - أدرار	ق 11/هـ/17م
امراقن	توات - أدرار	ق 11/هـ/17م
سيدي عبد القادر	تمنطيط - أدرار	ق 11/هـ/17م

الشيخ	توات - أدرار	ق 11/هـ/17م
كننة	توات - أدرار	ق 11/هـ/17م
رقان	توات - أدرار	ق 11/هـ/17م
تنيلات	توات - أدرار	ق 11/هـ/17م
البكرية	توات - أدرار	ق 11/هـ/17م
زاوية القاضي	الجزائر	1175 (1761)
مولاي هيبية	تيديكالت	ق 12/هـ/18م
بونعامة	تيديكالت	ق 12/هـ/18م

# الفصل الرَّابِع

## دراسة نماذج من الزُّوايا

إنّ دراسة الزّوايا في المغرب الأوسط تستدعي منّا استحضار مجموعة من النّماذج لدراستها وتحليلها ومقارنتها للتمكّن من الوصول إلى النّتائج المرجوة من هذه الدراسة، لكنّ اختيار النّماذج كان أمرًا صعبًا جدًّا لأنّ أغلب الزّوايا قد تعرّضت إمّا للهدم أو التّرميم (العشوائي) أو للتّجديد الكلّي، فكان اختيارنا للنماذج التالية:

أولاً: لمحة تاريخية عن نماذج الدراسة:

01- زاوية قرّومة - البويرة:

أ- الموقع الجغرافي:

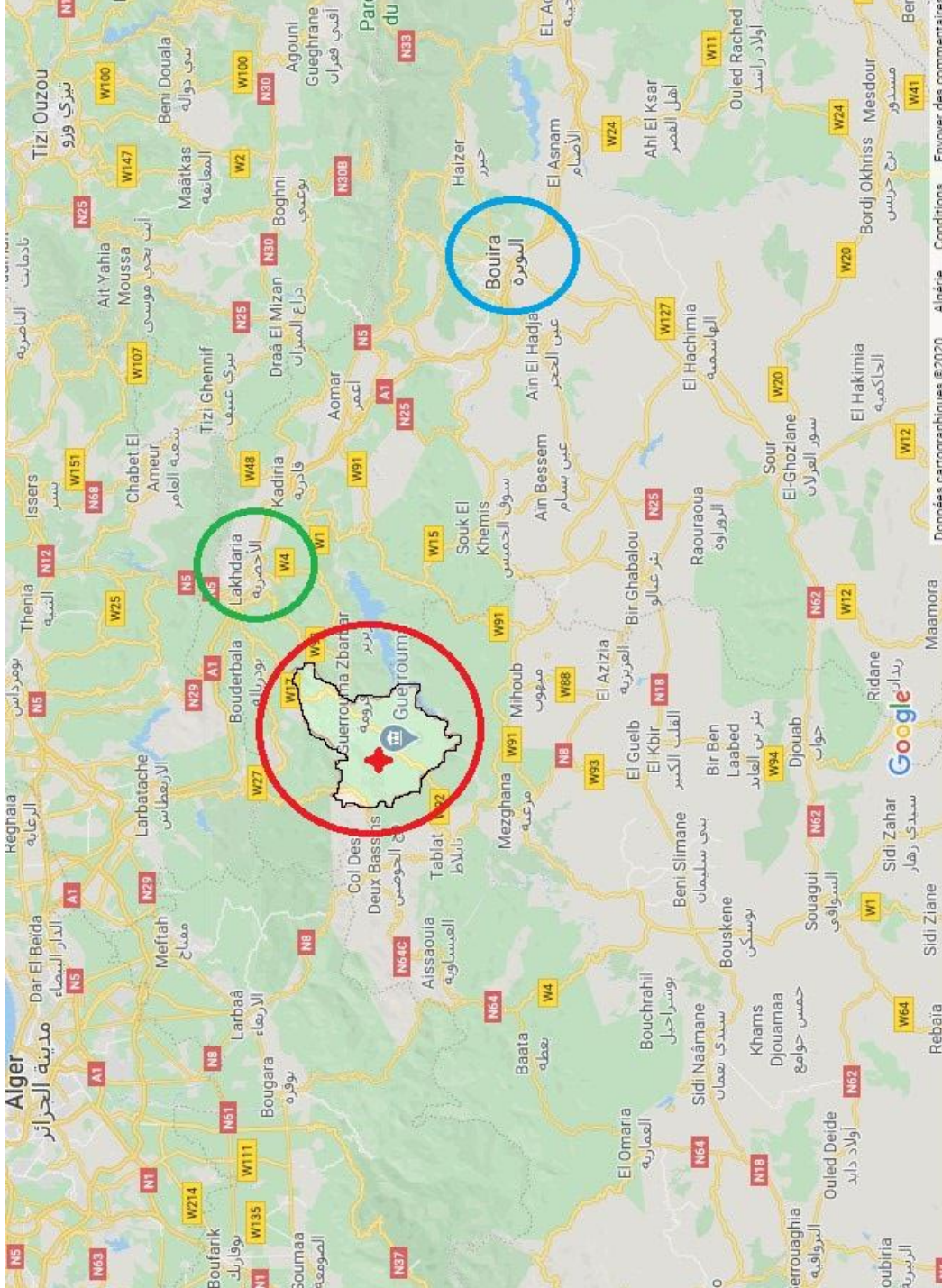
تقع بلدية قرّومة في الناحية الغربية من ولاية البويرة يحدها شرقًا واد يسر الذي يفصل بينها وبين بلدية الميهوب ولاية المدية، ومن النّاحية الشماليّة بلديتا الزبير وبودريالة، ومن النّاحية الغربية بلدية بوكرام، ومن النّاحية الجنوبيّة دائرة تابلاط التي تبعد عنها ب 12 كلم، وهي أقرب مدينة من هذه البلدية، تبعد عن الأخضرية ب 35 كلم.<sup>1</sup>(خريطة 01)

وهي قرية صغيرة من بين قرى بلدية قرّومة حاليا، التي سُمّيت باسم هذه القرية في عهد الاستعمار الفرنسي تبعد عن البلدية حوالي سبعة كلم وعن مقر الدائرة - الأخضرية - حوالي 25 كلم.<sup>2</sup>

أمّا الزّاوية فتقع على بعد حوالي 4 كلم من مقر البلدية الحالية عبر طريق يؤدي إلى المنطقة المُسمّاة إلى اليوم (قرّومة الزاوية)، فنصل عبر هذا الطّريق الوعر المتعرّج إلى الزّاوية الحديثة التي بُنيت سنة 1983م، ومنها نعبّر عبر ممرّ إلى جهة اليمين على

<sup>1</sup> أحمد وقّاد، قرّومة (جرّومة) ودورها الحضاري، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2016، ص

الزّاوية الحديثة، وعلى بعد حوالي 2 كلم لنصل إلى الزّاوية الأصلية، وسط الغابة فلا تكاد نعرفها من غير دليل من المنطقة.



عاصمة ولاية البويرة

مقر دائرة الأخضرية

قرومة (موقع الزاوية)

[www.google.com/maps/place/Guerrouma/](http://www.google.com/maps/place/Guerrouma/)

خريطة 01 : موقع قرومة في ولاية البويرة

## ب- تأسيس الزاوية:

تروي لنا الروايات أنها سُمّيت "زاوية قرومة" نسبة للعالم الجليل أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن أجروم المولود سنة 672هـ/1273م، لأنه كتب جزء من المتن بالزاوية المذكورة، فإنه لما ذاع صيت زاوية سيدي سالم بن مخلوف الموجودة في منطقة القبائل الزاوية، قصدها العلماء من كلّ حذب وصوب للتّعلم والتّعليم، فقصدها محمّد بن أجروم للتّدرّيس بها و بقي فيها مدّة من الزّمن استفاد منه الكثير من طلبة العلم آنذاك، وقد سُمّيت بلدية قروم المُجاورة لبلدية سوفلات المقراني، نسبة إلى العالم الشيخ "محمّد بن أجروم" الذي ترك بصمته العلميّة و الصّوفية في القرى المُجاورة بوادي يسّر، و تطلق منذ ذلك الحين "القرومي" على كلّ قارئ قرآن ماهر حاذق، وذلك نسبة إلى العالم "الأجرومي".<sup>1</sup>

في حين نجد أنّ كلمة "أجروم" في الأمازيغية تعني الفقير والصّوفي والمرابط،<sup>2</sup> وأجروم: بفتح الهمزة الممدودة وضّمّ الجيم والرّاء المشدّدة ومعناها بلغة البربر: الفقير الصّوفي،<sup>3</sup> وربما الأقرب إلى الصّواب في التّسمية أنّها مأخوذة من الكلمة الأمازيغية "أجروم" إمّا نسبة إلى الزّاوية التي يقيم ويدرس بها الطلبة المتصوّفون ومكوث الرّهاد بها، أو لأنّها في منطقة معزولة وسط الجبال ومن صفتهم العزلة والإعتزال.

<sup>1</sup> أحمد سيد حامد آل جبريل، تيسير شرح الأجرومية، ط01، مكتبة المشارق للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019، ص 08

<sup>2</sup> Kamal Nait-zerrad, **Dictionnaire des Racines berbères**, éditions Peeters, paris, 2002,P 881

<sup>3</sup> شمس الدين أبي المعالي محمد بن عبد الرحمان ابن غزي، ديوان الإسلام، تحقيق سيد كسروي حسن، ج01، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 164

وحين بحثنا عن تاريخ تأسيس الزاوية بالضبط للأسف لم نجد غير بعض الإشارات البسيطة، وأنها تأسست من قبل الشيخ "سيدي سليمان بن موسى"، لكننا لم نعثر على ترجمته أو على تاريخ تأسيسها المضبوط، ولا عن كيفية أو دواعي تأسيسها، وربما يرجع ذلك لضياع وثائقها بسبب العوامل المختلفة والتي من بينها توزيع مقتنياتها بين أفراد العائلة. بالإضافة إلى أن أغلب العائلات فقدت الكثير من هذه الثروة العظيمة من المخطوطات إبان العهد الإستعماري، وخاصة أثناء الثورة التحريرية كما حدث للوثائق التي خبأها أولاد سيدي محمد بن عبد الرحمان في مكان يسمّى "جنان البرتقال" خوفاً عليها من العدو، فسقطت الأمطار بغزارة وانجرفت التربة وأخذت معها تلك المخطوطات الثمينة،<sup>1</sup> ومن بين الإشارات التاريخية التي قد تقرّنا إلى تاريخ تأسيسها أو على الأقل وقت نشاطها العلمي، تذكر:

- درّس بالزاوية الشيخ سيدي محمد بن عبد الله بن يظّ والذي كان يعدّ من العلماء الأجلّاء في عصره، والذي فوّض من طرف الأتراك للختم على الوثائق التي كانت متداولة بين السكّان كعقود الزواج والعقار وغيرها من الرسوم، وكان له ختم دائري الشكل كتب عليه: "الواثق بالله محمد بن عبد الله بن يظّ" وتوفي رحمه الله في 1092هـ/1681م، قضى جزء من حياته في زاوية قرومة مدرّساً في مسجدها الشهير كما أشارت الوثائق إلى ذلك.<sup>2</sup> وهو الذي أسّس زاوية له تبعد عن قرومة بحوالي 4 كلم.

- زاوية سيد محمد بن محمد بن إبراهيم اغزور المال: قال صاحب التّحفة المرضية: "سيدي محمد بن إبراهيم الشهير بالقرّومي وهو رجل من أهل اللّسان في التّكلم، والصّبر على التّعليم والتّعلّم، يحمل من العلم فنونا، ويقتضي منه على الأيام

<sup>1</sup> أحمد وقاد، المرجع السابق، ص 12

<sup>2</sup> نفسه، ص 51

ديونا، و يخطب من أنواعه بإبداع حفظ، و حفظ أبداع أبقارا و عيوننا، إلى أن أرج عرفه، ونهج بالإستيلاء على ما قدر له من طرفه، وقد ارتسم في الولاية تلو أبيه، وارثا لمقامه ذلك النبيه...<sup>1</sup>، وهي من الزوايا التي تفرعت عن الزاوية الأصلية بقرومة، ومؤسسها من عائلة المقرّي التلمساني، استوطنت وطن بني جعد وانتسبت إلى زاوية قرومة التي أسسها سيدي سليمان بن موسى،<sup>2</sup>

- وورد في تقرير الجنرال "مارغوريت" بتاريخ 15 جويلية 1867م عن قرومة وفيه ذكر أربعة زوايا هي:

أ- زاوية أولاد امحمد بن عبد الله وهي زاوية صغيرة لا يزاول الدراسة بها سوى 20 طالبا أو تلميذا.

ب- زاوية أولاد سيدي عبد الرحمان بن إبراهيم ولم يكن بها في تلك السنة سوى 8 طلبة و 13 تلميذا.

ت- زاوية أولاد سي يحيى بن عبد الله التي غادرها الطلبة ولم يبق بها سوى اثني عشر تلميذا.

ث- زاوية سيدي علي بن دحمان بقرومة وكان يدرس بها خلال سنة 1867م خمسة عشر تلميذا.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1972، ص 129

<sup>2</sup> أحمد وقاد، المرجع السابق، ص 57

<sup>3</sup> علي بن خروف، "زاوية قرومة وأعلامها"، محاضرات الملتقى الأول لأعلام البويرة، مديرية الشؤون الدينية، 27/26 افريل، 2005م، ص 120، عن محمودي ذهبية، "الزوايا بمنطقة البويرة، دراسة تاريخية وأثرية"، مجلة عصور، مجلد12، عدد02، مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة وهران1، ص 218

وقد روى لنا السيد "الحاج علي رضوان" أنّ الزاوية رُمّمت مرّتين كان آخرها سنة 1973م وقد شارك هو في أعمال آخر ترميم، ويقول أنّها أعيدت بنفس المخطّط الذي كانت عليه دون تغيير كما تم استعمال الكثير من موادها البنائية الأصلية في عملية التجديد،<sup>1</sup> هذا عن الزاوية الأصلية لقرومة، وقد أنشئت زاوية حديثة سنة 1983 نشطت لمدة من الزمن، لكن توقفت عن النشاط للظروف الأمنية التي مرت بها البلاد في التسعينيات من القرن الماضي، لتعود للعمل بصفة محتشمة، وخلال زيارتنا للزاوية وجدناها متوقفة تماما عن الوظيفة التعليمية إلا المسجد الذي لا تزال تقام فيه الصلوات.

وقد ذُكرت المنطقة في كثير من المراجع التاريخية خاصّة عن دورها العلمي والثقافي والجهادي، وربّما الزاوية أو الزوايا الموجودة بها هي التي صنعت له تلك الشهرة الحضارية، وكذلك موقع الزاوية في الوسط الجبلي الوعر له أيضا دلالاته على دورها الجهادي خلال فترة الإستعمار الفرنسي، ومن بين المراجع التي ذكرت المنطقة نذكر منها:

أ- "... كما اشتهرت بالقبائل الكبرى زيادة عن القرى المذكورة قرية كانت من أعظم المراكز العلمية وهي "جرّومة" قرّومة بدائرة الأخضرية قيل أنّها من مؤسّسات اللّاجئين الأندلسيين وقد أنجبت كثيرا من العلماء، كما حلّ بها أفراد من أسرة المقرّي التلمساني توارثوا العلم فيها إلى عهد الإستعمار الفرنسي ولم يفارق العلم هذه النواحي..."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> لقاء مع السيد "الحاج علي رضوان" من مواليد 1943م ، كان اللقاء في أوت 2019، وهو الذي دلنا عن مكان الزاوية وروى لنا بعض المحطات من تاريخها.

<sup>2</sup> المهدي البوعبدلي، "تبذة تاريخية عن تيزي وزو"، الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي، تيزي وزو 10-22 جمادي الثانية 1393 هجرية - 10-22 يوليو 1973م، الجزائر: منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ص 22

- ب- "وقدم بلادنا بعض أدباء قرلاومة، وهي قرية بينها وبين الجزائر بهجة الشرق مرحلتان...، كانت دار علم استوطنها أحد أفراد أسرة المقرئ التلمسانيين...".<sup>1</sup>
- ت- عدد من عائلات الشرف من الساقية الحمراء لعلمهم طردوا من بلادهم بسبب الدمار الذي لحقهم من يعقوب بن أبي يوسف بن عبد الحق سلطان المرينيين من المغرب والذي عمل في بلاد سوس سنة 682هـ/1283م فجاءوا وسكنوا في ضفتي واد يسر حيث اشترى أراضي حتى أصبح لهم أحفاد من المرابطين...<sup>2</sup>
- ث- وذكرها الدكتور أبو القاسم سعد الله رحمة الله عليه في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي في عديد من المواقف لكن دون تحديد تاريخها أو تأسيسها.<sup>3</sup>
- 02- زاوية سيدي يعقوب بولهاصة - عين تموشنت:
- أ- الموقع الجغرافي:

تقع منطقة ولهاصة في أقصى الحدود الغربية الشمالية لولاية عين تموشنت بالغرب الجزائري، يحدّها ولهاصة من الشمال البحر الأبيض المتوسط، و جنوبا بلدتي الأمير عبد القادر والرمشي التابعة لولاية تلمسان، ومن الجهة الشرقية يحدّها واد تافنة بلدية بني صاف، ومن الناحية الغربية يحدّها جبل ترارة ببلدياته بني وارسوس وبني خالد وهنين التابعة إقليميا لولاية تلمسان، وهي فلكيا بين دائرتي 35.15<sup>0</sup> و 35.45<sup>0</sup> شمال خط الإستواء، وخطي طول 1.16<sup>0</sup> و 1.30<sup>0</sup> غرب خط غرينتش.<sup>4</sup> (خريطة 02)

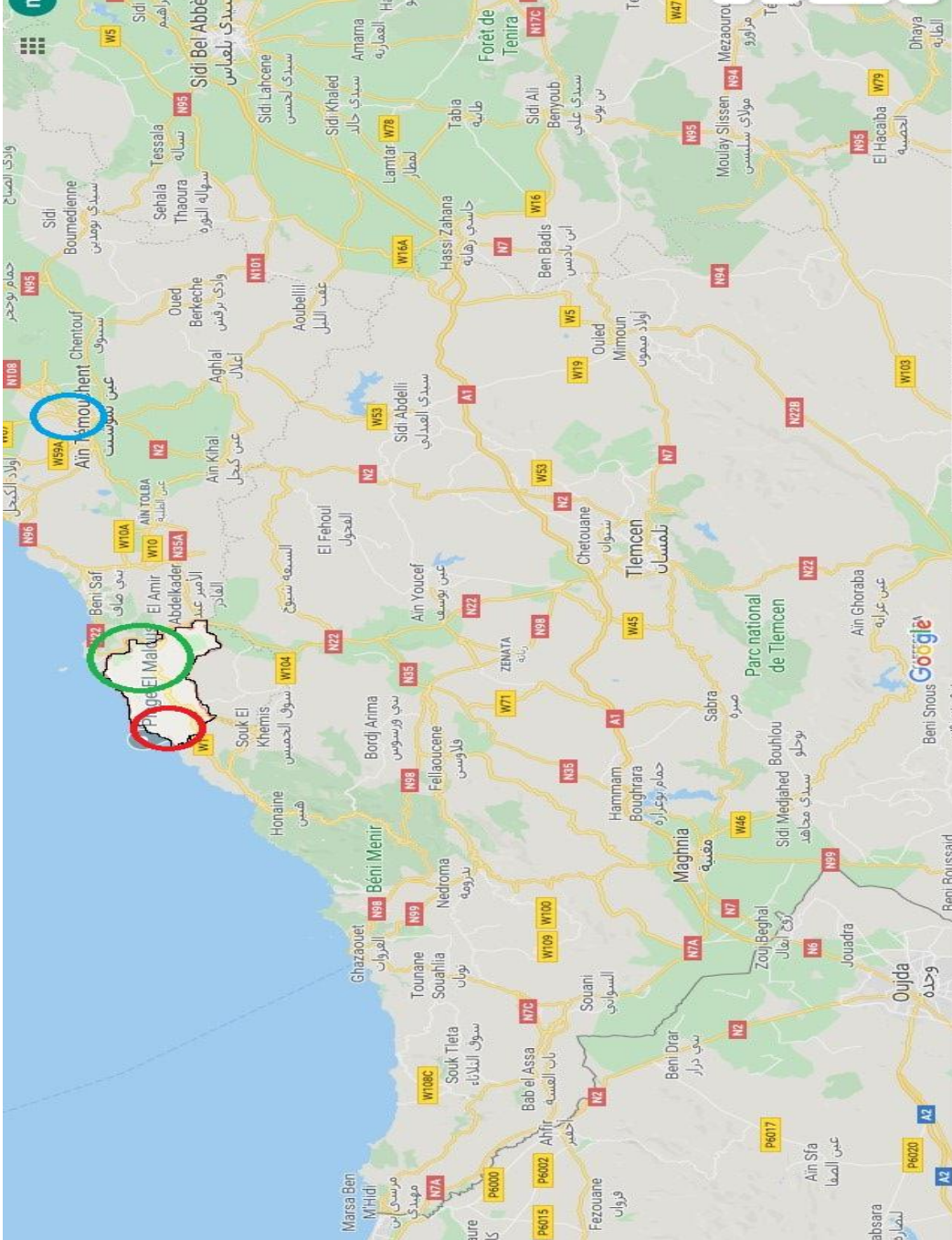
<sup>1</sup> أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، اعتنى به عبد الرحمان دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ص 138.

<sup>2</sup> مجلس الشيوخ الفرنسي، أنظر الوثيقة في الملاحق، الوثيقة رقم 01.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص 401/1، 261/2

<sup>4</sup> ANURB, Aménagement et Règlement (Daira de Oulhassa) , PH3, Ain Temouhvent, 2010, P10

أما عن زاوية سيدي يعقوب فنقع بقرية سيدي يعقوب التي تبعد عن قرية سيدي رحمون بحوالي 4 كلم نصل إليها عبر طريق معبد، وقد بُنيت على سفح جبل يفصل بينها و بين البحر مسافة قصيرة.



عاصمة الولاية عين تموننت

بلدية ولهامة - موقع زاوية سيدي يعقوب

www.google.com/maps/place/Ouhaça+El+Gheraba

خريطة 2: موقع زاوية سيدي يعقوب

ب- تأسيس الزاوية:

ترجمة مؤسس الزاوية:

هو سيدي يعقوب بن الحاج التلمساني، وُلِدَ في ثمانينات القرن 7/هـ 13م،<sup>1</sup> جدّه سيدي يعقوب بن الشريف المغراوي دفين قرية عين تامدة شمال مازونة، فهو سيدي يعقوب بن الحاج التلمساني بن سيدي يعقوب بن محمّد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الخالق بن علي بن عبد القادر بن عامر بن رحو بن مصباح بن صالح بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن سليمان بن محمد بن أحمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن علي بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.<sup>2</sup>

وعن بناء الزاوية بهذا المكان فهناك روايتان: فإنّ الأمر يفتقد إلى التوثيق الدقيق غير بعض الروايات الشفوية المتواترة والمتداولة بين سكان المنطقة.

أ- الرواية الأولى:

تقول أن الشيخ يعقوب كان قاضيا بتلمسان وأرسل لفض النزاع بين قبيلتين متخاصمتين هما قبيلة "أولاد هداج" وقبيلة "أولاد عمار"، وبعد أن أصلح بينهما منحت له قطعة أرض فبنى بها مسجدا وزاوية.

<sup>1</sup> محمد بدّاد، "إسهامات الفكر الصوفي الجزائري في إثراء الثقافة العربية الإسلامية"، ملتقى أمجاد الفكر الصوفي

الجزائري، دار الثقافة، عين تموشنت، 2011، ص 04،

<sup>2</sup> سراج الدين أبو حفص عمر بن علي (ابن الملقن)، طبقات الأولياء، تحقيق نور الدين شريية، ط2، مكتبة الخانجي،

القاهرة، 1994، ص 450

## ب- الرواية الثانية:

بسبب الفتن نزل الولي إلى بلدة ولهاصة الغرابة الساحلية- بولاية عين تموشنت حاليا في النصف الأول من القرن 14/هـ8م فاتخذ له مكانا بجوار البحر يُسمى إلى اليوم باسمه، وتروي الروايات الشفوية عن تأسيس الزاوية أنه بينما كان يتعبّد بجوار البحر إذ بسفينة تجارية أندلسية تحرف بقرب المرسى "مرسى سيدي يعقوب" فسارع الشيخ يعقوب لمساعدة بحارتها ولرد الجميل طلب رئيس الباخرة أن يقدم له مكافأة، فطلب منه الشيخ أنه يحتاج الخشب لإقامة بناء قائلاً حسب الروايات الشفوية: "إذا عدتم إلى بلدكم ارموا بالحزم إلى البحر وقولوا: هذه أمانتك يا يعقوب وستصل الشحنة إلى المكان المعلوم بإذن الله، ففعل البحارة ما أمروا به .... فوصل الخشب للشيخ واستعمله في بناء زاويته.<sup>1</sup>

وقد تعرّضت الزاوية للقصف في الفترة الإستعمارية ممّا أسفر عن سقوط جزء من تسقيفها الجملوني، كما دخلت عليها بعض الترميمات الحديثة غير أنّها لم تمسّ جهاتها الأصلية، كما وضعت لوحة من الزليج الحديث فوق مدخلها الرئيسي كتب عليها تاريخ 1338م.

## 03- زاوية الشيخ المغلي - أدرار:

## أ- الموقع الجغرافي:

تقع بلدية زاوية كنتة في الوسط الغربي الجنوبي لمدينة أدرار، يحدها من الناحية الشرقية أقبلي (أولف)، ومن الناحية الجنوبية بلدية انزجمير، ومن الغرب بلدية أم العسل

<sup>1</sup> أنظر مدونة برج بن عزوز <https://albordj.blogspot>

التابعة لولاية تندوف، أما شمالاً فتحدّها بلدية تامست، وهي تبعد عن مقر الولاية بحوالي 70 كلم.<sup>1</sup> (خريطة 03)

أمّا عن زاوية الشّيخ المغيلي التي لم يبق منها سوى الجامع والذي نعتقد أنّه كان نواة للزاوية التي بناها الشّيخ المغيلي بالمنطقة على الرّغم من أنّ ضريحه (الضريح تم تجديده كلياً) يبعد عن المسجد وعن القصر، فقد كانت حسب الروايات في قصر بوعلي بكننة، إذ يقع المسجد الأصلي في الجهة الجنوبيّة للقصر، يطلّ من النّاحية الجنوبيّة والغربيّة على الواحات أمّا من النّاحية الشماليّة فيشرف على ساحة عامة ومن جهة الشّرق تحدّه البيوت العامّة، وهو منعزل عن المحيط العمراني للقصر.

<sup>1</sup> مليكة بنّاجي، مساجد زاوية كنتة وقصر تاخفيفت بولاية أدرار، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر،



● عاصمة الولاية أدرار    ○ دائرة زاوية كنتة    ○ قصر بوعلي موقع الزاوية

[www.google.com/maps/search/Zaouiet+Kounta+](http://www.google.com/maps/search/Zaouiet+Kounta+)

خريطة 03: موقع زاوية كنتة

ب- تأسيس الزاوية:

ترجمة مؤسس الزاوية:

هو محمّد بن عبد الكريم بن محمّد بن المغيلي بن عمر بن مخلوف بن علي بن الحسن بن يحيى بن علي بن محمّد بن أحمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية بن مناد بن السري بن قيس بن غالب بن أبي بكر بن أبي بكر مكرّرة بن عبد الله بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى السبط، بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد سيدي محمّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني في مدينة مغيلة التابعة لبلدية ودائرة مغيلة ولاية تيارت الحالية، سنة 831هـ/1427م،<sup>1</sup> قال عنه صاحب "ذكر الأولياء: القدوة الصالح الحبر أحد أذكى العالم وأفراد العلماء الذين أوتوا بسطة في العلم والتقدم"،<sup>2</sup> وقد نمت في نفسه بذور الصوفية وغذاها اتّصّاله بالشّيخ العالم سيدي عبد الرّحمان الثعالبي الذي تتلمذ عليه وزادت المصاهرة بينها أواصر المودّة والقرابة وكان هذا سنة 875هـ/1471م،<sup>3</sup> ارتحل إلى منطقة توات ونزل بتمنطيط سنة 882هـ/1472م واستقرّ بها فقيها ومدرّسا،<sup>4</sup> جاء في نيل الإبتهاج "خاتمة المحقّقين الإمام العالم العلامة الفهامة القدوة الصالح السنّي أحد الأذكى ممّن له بسطة في الفهم والتّقدم متمكّن المحبّة في السنّة، وقع له بسبب ذلك أمور مع فقهاء وقته حين قام على يهود توات وألزمهم الذلّ

<sup>1</sup> مقدم مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيليا التلمساني، ط1، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2002، ص 27

<sup>2</sup> ابن مريم، المرجع السابق، ص 253

<sup>3</sup> مبروك مقدم، المرجع السابق، ص 27

<sup>4</sup> عبد الحميد حاجيات، دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي، ط2، عالم المعرفة

للتنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 452

بل قتلهم وهدم كنائسهم ...<sup>1</sup>، له تأليف عديدة منها: البدر المُنير في علوم التفسير، ومصباح الأرواح في أصول الفلاح، وكتاب مُغْنِي النَّبِيل، وإكليل المُغْنِي، وشرح بيوع الآجال، وله تأليف في المُنَهَيَّات ومختصر تلخيص المفتاح ومفتاح النظر في علم الحديث ومنح الوهاب،<sup>2</sup> توفي بتوات بالمكان الذي يحمل اسم زاويته الآن بالقرب من قصر بوعلي بلدية زاوية كنتة.<sup>3</sup>

وعن تحديد تاريخ بناء زاوية الشيخ المغيلي ومسجده فتعوزنا الوثائق الكتابية التي توثق توثيقاً صريحاً لتاريخ البناء، غير أن الروايات الشفوية التي تواترت عند سكان المنطقة حول قصر بوعلي أنه يعود إلى القرن 5هـ/11م، وأن المسجد والزاوية يعود إلى القرن 9هـ/15م. وهي من الزوايا القادرية بإقليم توات مخصصة لتعليم علوم الشريعة وتحفيظ القرآن وإطعام الفقراء وأبناء السبيل،<sup>4</sup> والوثائق المادية المتمثلة في البناء تؤكد أن التخطيط والبناء يرجع لفترة الإمام المغيلي أي إلى القرن 9هـ/15م، ولا تزال بصمات راحة اليد اليمنى للشيخ المغيلي موجودة على الجدار الأول المكون لبلاطات بيت الصلاة والمقابل للمدخل الرئيسي للمسجد وهي ثلاثة أزواج في الأسفل تعلوها بصمة راحة يد واحدة.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط2، دار الكتاب، طرابلس، ص 576

<sup>2</sup> نفسه، ص ص 577-578

<sup>3</sup> أحمد أباب الصافي جعفري، اللهجة التواتية الجزائرية، منشورات الحضارة للنشر والتوزيع والطباعة، 2013، ص 133

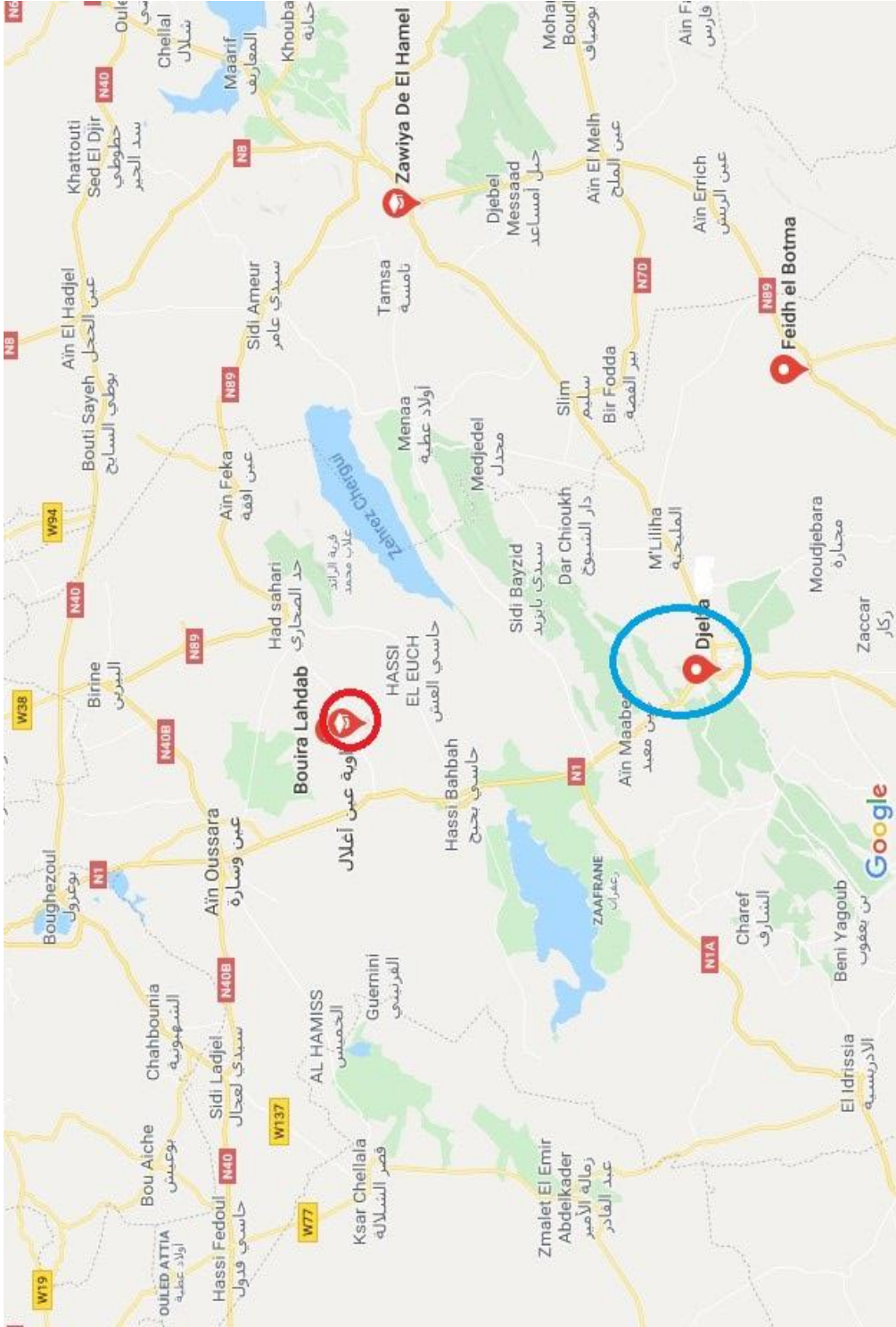
<sup>4</sup> بشار قويدر، حساني مختار، مخطوطات ولاية أدرار، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزائر، 1992، ص 17

<sup>5</sup> مليكة بناجي، المرجع السابق، ص 39

## 04- زاوية عين أقال بالجلفة

## أ- الموقع الجغرافي

تقع زاوية عين أقال ببلدية بويرة الأحداب التابعة إقليمياً لدائرة حد الصّحاري بولاية الجلفة، وتبعد بويرة الأحداب عن عاصمة الولاية بـ82 كلم، يحدّها من الشّمال دائرة حد الصّحاري وجنوبا حاسي بحبح ومن الشّرق بلدية حاسي العش ومن الغرب بلدية بنهار، وتقع الزّاوية في الجهة الجنوبيّة الغربيّة للبلدية وتبعد عن المحيط العمراني بـ3.4 كلم نصل إليها عبر طريق معبد وكثير المنعرجات والسّير يكون في اتّجاه جبل الخيثر، وقد بنيت الزاوية على هضبة مرتفعة كثيرا إذ تظهر الزّاوية من بعيد من كل الجهات، وتترع الزّاوية على مساحة 5632.63م<sup>2</sup> يحدّها من الشّمال واد وبالقرب منه وحدات تكسير الحجارة ومن الجهة الشماليّة أرض للخواص ومن الجهة الغربيّة جبل الخيثر ومن الجهة الشّرقية مقبرة قديمة، ويُرجّح الكثير أنّ تسمية الزّاوية بهذا الإسم هو نسبة لعين ماء قريبة من الزّاوية تُسمّى "عين اقال" و"القال" جمع قُلّة وهي في اللّهجة المحليّة إناء من الطّين للجلب وتخزين الماء، ويروي البعض أن شخصاً صالحاً اسمه بوقلال جلس أسفل الهضبة وأخذ ينبش الأرض فانفجرت منها عين وسمّيت باسمه (خريطة4).



عاصمة الولاية الجلفة موقع زاوية عين أقلال

www.google.com/maps/search/عين+أقلال

خريطة 04: موقع زاوية عين أقلال بولاية الجلفة

ب- تأسيس الزاوية:

وقد تأسست الزاوية سنة 1225هـ/1811م على يد الشيخ "أبو القاسم بن جلولا لأحدابي" الذي أخذ الطريقة عن مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري،<sup>1</sup> فكانت الزاوية مركزاً للتربية الروحية وتلقين القرآن الكريم والعلوم الشرعية، وبقيت على هذه الحال إلى يومنا هذا، فبعد وفاة المؤسس تولى المشيخة عدد من المشايخ العلماء العاملين الذين بذلوا الكثير في تحقيق نفس الغاية وهي الحفاظ على الدين والوطن من خلال أداء رسالتهم الربانية،<sup>2</sup> ومنهم:

- الشيخ خليفة ثم الشيخ المختار بن خليفة من علماء المنطقة ومن الذين درسوا بالأزهر الشريف، وتولى الزاوية بعده أخوه الشيخ بن عزوز الذي توفي سنة 1901م، ثم الشيخ محمد وفي عهده بلغ عدد الطلبة 200 طالب، تولى بعده الشيخ المختار بن عزوز ثم الشيخ محمد الصغير الذي تخرج من الزيتونة، وبعده أخوه الشيخ مصطفى بن محمد.<sup>3</sup> وبالزاوية مكتبة هامة تحتوي على أكثر من 160 مخطوط، وقد زارها علماء أعلام منهم: عبد الحي الكتّاني، أحمد الأمين بن عزوز، البشير الإبراهيمي الذي درس بالزاوية ومكث بها شهورا طويلة.<sup>4</sup>

05-زاوية أولاد جلال بسكرة

أ- الموقع الجغرافي: مدينة أولاد جلال تقع بين دائرتي عرض 34<sup>0</sup> و 35<sup>0</sup> وخطي طول 5<sup>0</sup> و 6<sup>0</sup>، تبعد عن عاصمة الولاية بسكرة بحوالي 100 كلم

<sup>1</sup> عبد المنعم قاسمي الحسني، الطريقة الخلوتية الرحمانية: الأصول والآثار منذ ظهورها الى غاية الحرب العالمية الأولى، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2009/2008، ص 543

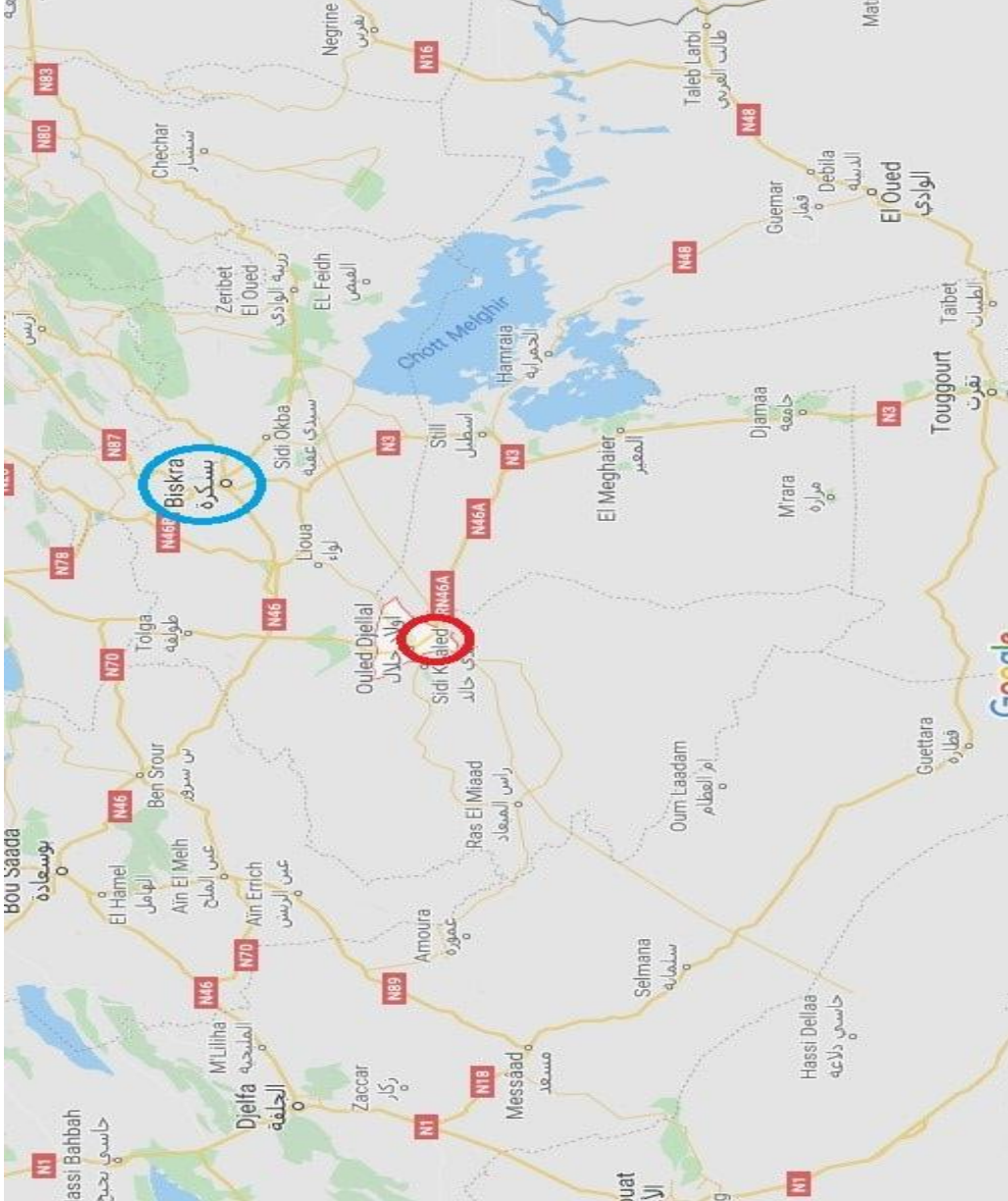
<sup>2</sup> عبد الباقي مفتاح، المرجع سابق، ص 250

<sup>3</sup> عبد المنعم قاسمي الحسني، المرجع السابق، ص 543

<sup>4</sup> عبد المنعم قاسمي الحسني، نفسه، ص 54، والوثائق الموجودة بالزاوية تثبت تلك الزيارات وكل من درس بالزاوية.

غرباً، وتحدها من جهة الشمال ولاية المسيلة، وشرقاً ولاية الوادي، وتحدها كل من بلدية الشّعبية من الشمال الغربي وبلديتا ليوة ولغروس من الشمال الشرقي، وبلدية البساس من جهة الجنوب الشرقي.<sup>1</sup>

وتقع الزاوية في وسط الحيّ العريق أو (الحارة القديمة) كما يُسمّيها سكان المنطقة.



عاصمة الولاية بسكرة  موقع الزاوية بولاية جلال

[www.google.com/maps/place/Ouled+Djellal](http://www.google.com/maps/place/Ouled+Djellal)

خريطة 05: ولاية بسكرة

<sup>1</sup> محمد العربي حرز الله، أولاد جلال أصالة، حضارة وتاريخ، الجزائر، 2012، ص 22

## ب- تأسيس الزاوية:

## ترجمة مؤسس الزاوية:

الشيخ المختار بن عبد الرحمان بن محمد بن يوسف صاحب القبّة المعروفة بسيدي خالد بن عبد الرحمان المدفون قرب ضريح خالد بن سنان العبسي، بن خليفة بن أحمد بن عبد الله بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي بن عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سالم بن مروان بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن علي كرم الله وجهه ورضي عنه.<sup>1</sup>

ولد الشيخ المختار سنة 1202هـ/1788م بسيدي خالد، حفظ القرآن بمسقط رأسه ودرس الفقه في زاوية برج بن عزوز بطولقة على يد شيخه محمد بن عزوز، وقد كان بمعية الشيخ عبد الحفيظ الخنقي والشيخ علي بن عمر وقد وصل الشيخ المختار إلى درجة كبيرة من التّصوف والنّقوى وانخرط في الطّريقة الرّحمانية الخلوتية وأخذ من أرواده متحلّيا بالأخلاق الحسنة حتى شفت روحه ورقّت وتهدّبت وأصبح شيخًا من شيوخ الطّريقة.

وعن تأسيس الزاوية فكانت في 1230هـ/1815م بعدما أمره شيخه بفتح زاوية وكانت في بداية الأمر بسيدي خالد ثم انتقل الشيخ إلى أولاد جلال، وقد وصلت إلى مئات الطّلبة في عهده. حيث امتدّ تأثيرها في عهد المؤسس إلى مناطق واسع من الوطن: آفلو، زمورة، عمّي موسى، تيارت، الجزائر العاصمة، بئر غبالو، سور الغزلان، قصر البخاري، البرواقية، بوغار، قصر الشلالة، الجلفة، بوسعادة، بسكرة، جرجرة...<sup>2</sup> وبحكم انتشارها على مدى واسع فقد صار لها أتباع كثيرون ولها تأثير قوي. فقد تبنّى الشيخ

<sup>1</sup> من وثائق الزاوية<sup>2</sup>Dupont et Coppolani, confréries religieuses musulmanes, Alger,A, Jourdan, 1897, P406

المختار بن عبد الرحمان قضية الثورة، ونسّق جهوده مع الشريف بومعزة الذي ظهر في المنطقة سنة 1262هـ/1846م،<sup>1</sup> ببلدة أولاد جلال نواحي بسكرة.<sup>2</sup>

#### 06- زاوية الهامل ببوسعادة - المسيلة

##### أ- الموقع الجغرافي:

تقع بلدية الهامل بدائرة بوسعادة ولاية المسيلة، على بعد حوالي 250 كلم جنوب الجزائر العاصمة، وعلى مسافة 12 كلم جنوب شرق بوسعادة التابعة لها إداريا، على الطريق الوطني رقم 89 الرابط بين دائرة بوسعادة ودائرة عين الملح، يحدّ الهامل من الجهة الشمال جبل الأخناق ومن الجهة الجنوبية جبل امساعد (عين اغراب)، ومن الجهة الغربية جبل عمران ومن جهة الشرق والشمال الشرقي بوسعادة.

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900/1830)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، ص

<sup>2</sup> عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص 125



خريطة 06: تبين حدود منطقة الهامل

## ب - تأسيس الزاوية:

كان تأسيس زاوية الهامل في ظلّ ظروف صعبة شهدتها الجزائر عامّة، وتحت محاولة المستدمر الفرنسي طمس الهوية الجزائرية الإسلاميّة، ومحاولاته من خلال حملات التّصير وتحويل المجتمع الجزائري عن هويته الثقافيّة والدينيّة الإسلاميّة. وكرّد فعل من طرف بعض العلماء والمشايخ وذوي المال كان تأسيس مجموعة من الزوايا في هذه الفترة كحصون تعليميّة ودفاعية للحفاظ على الهوية ومقوماتها، ومن بينها زاوية الهامل التي أسّسها الشيخ محمّد بن أبي القاسم الهاملي،<sup>1</sup> ولحاجة سكّان المنطقة لمركز تعليمي لأولادهم وشبابهم، طلب من الشيخ تأسيس زاوية تعليميّة، وهناك من الباحثين من يروي أنّ تأسيسها كان بأمر الأمير عبد القادر وهناك من يذكر أنّها أسّست بأمر شيخه أحمد بن أبي داود، ومهما كانت الصّلة بهذا أو بذاك فإنّ أعمال البناء بها بدأت في نهاية سنة 1279هـ/1862م واستكمل بناء أهمّ مرافقها الضّرورية رمضان 1280هـ/1863م.

وبعد أن كانت قرية الهامل تضمّ مدرستين قرآنيتين وبعض الكتاتيب الصّغيرة عند بداية الإحتلال صارت مركز إشعاع علمي وديني عظيم،<sup>2</sup> وظلّت الهامل محلّ احترام النّاس وتقديرهم لنسب أهلها الشّريف ومن جهة أخرى بعد نشأة الزاوية التي استقطبت الطّلبة من كلّ مكان، بالإضافة إلى اشتغال الشيخ محمّد بن أبي القاسم الهاملي بشؤون

<sup>1</sup> محمد بن ابي القاسم بن ربيع بن محمد بن عبد الرحيم بن سائب بن منصور بن عبد الرحيم بن أيوب ينتهي نسبه إلى بوزيد بن علي مهدي بن سفيان (صفوان) بن يسار بن موسى بن عيسى بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن السيّد فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، الشّهير بالهاملي فقيه له مشاركة في علوم الحديث والكلام والتاريخ والأخلاق والتفسير، وولد ببادية الحامدية بين بلديتي دار الشيوخ وحاسي بحبح بولاية الجلفة، كان ميلاده في شهر رمضان 1239هـ/1824م

<sup>2</sup> محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 56

الخلق على كثرة أصنافهم وتشعبات أغراضهم ومطالبهم وتباين طبائعهم، واشتغاله بقضاء حوائجهم من شفاعات وفصل خصومات على الدوام.<sup>1</sup>



خريطة 07: تبين مواقع الزوايا المدروسة

<sup>1</sup> الشيخ محمد القاسمي، الزهر الباسم في ترجمة الشيخ محمد بن أبي القاسم، المطبعة التونسية، 1308، ص 65

## ثانيا: التخطيط العام للزوايا بالمغرب الأوسط:

كما سبق وأشرنا في الفصل السابق حول ذلك التحول في المؤسسة الصوفية -إن صحّ التعبير- بتسميتها هكذا، فقد بدأت من الخلوة التي ينفرد فيها الشيخ للعبادة يخدم نفسه أو يخدمه أهله، ثم بعد انتشار التصوف وازدياد المتصوفين والزهاد والمرابطين الذين عاشوا في الرباط للوظيفتين الحربية والدينية، ليتخلّى فيما بعد عن الوظيفة الحربية ويستقلّ بالوظيفة التربوية أو الدينية كما يرى أغلب الباحثين. ونحن نميل كثيراً إلى أنّ الزاوية عبارة عن أربطة فقدت وظيفتها العسكرية، لأنّ فكرة إقامة الزوايا في الجزائر خاصّة الزوايا الريفية منها تنطبق عليها هذه الفكرة، نظرا للدور الذي أدته في نشر الدين والتعليم، وباعتبارها أيضاً معاقل تخرّج منها المجاهدون في سبيل تحرير الوطن.<sup>1</sup>

أمّا من الناحية المعمارية فإنّه يصعب علينا تحديد النمط البنائي للزاوية عند ظهورها كمؤسسة صوفية وفي بداياتها الأولى، لأنكّل الزوايا خاصّة منها التي تعود إلى الفترة الأولى (ق5-6-7 للهجرة) قد اندثرت، ولا نملك عنها - من الناحية العمرانية- سوى بعض الإشارات في المصادر الكتابية، فكثير من الزوايا القديمة تهدمت بسبب الظروف الطبيعية ومنها ما طالته يد المستعمر الغاشم الذي حاول طمس الهوية الجزائرية بطمس معالمها خاصة منها الدينية، كما نجد بعض الزوايا قد تمّ تجديدها تماماً كما حدث مع زاوية الشيخ المغيلبيأدرار التي لم يبق منها سوى المسجد.

وعن النماذج الأولى ببلاد المغرب الأوسط نجد أنّ زاوية أبي زكريا يحيى الزواوي أول زاوية ببجاية، بحكم أنّ لها أقدم إشارة في مصادرنا. ومن خلال ترجمة الغبريني للشيخ أبي زكريا يتّضح لنا من خلال النصّ أنّ زاوية الزواوي على وجودها كنواة مستقلة

<sup>1</sup> عزوق عبد الكريم، الآثار الإسلامية ببجاية، ص 118

إلا أنّها كانت متاخمة للجامع الأعظم وكأنّها جزء منه أو في وسط جدرانها، وأنّها كانت مقرّ سكنى أبي زكريا يخدمه فيها لا "فقراؤه" حيث لا يذكرهم الغبريني وإنّما يخدمه أهله، أمّا مجلسه فمن الواضح أنّه كان يقوم به في الجامع لا في زاويته.<sup>1</sup> أي أنّها كانت عبارة عن بناء صغير ملحق بمسجد يقوم فيها صاحبها بالتعبّد والخلوة بمفرده، وكذلك الأمر بالنسبة لزاوية أبي حجلة عبد الواحد في تلمسان.<sup>2</sup>

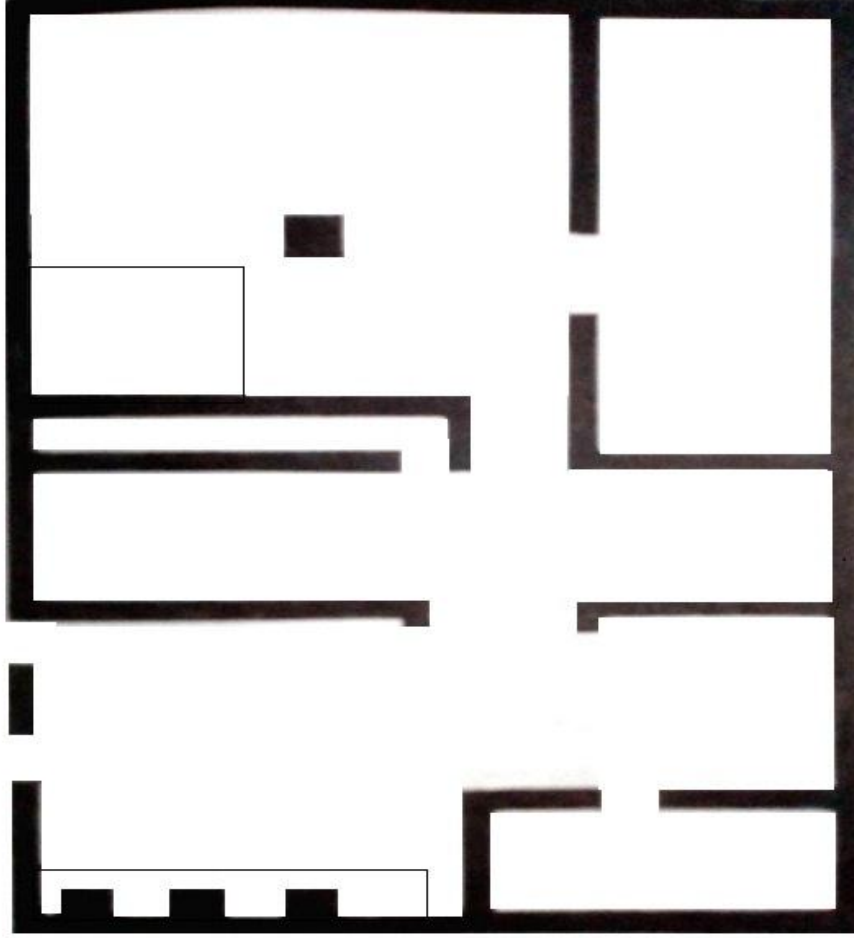
ومن بين النماذج الأولى للزوايا نجد أيضًا التي درسها الدكتور عزوق عبد الكريم بمنطقة بجاية منها زاوية سيدي أحمد بن يحيى: (9/15م) والتي أعطانا حولها ملاحظات عمرانية ومعمارية أهمّها:

- مظهرها الخارجي خال من الزخرفة والتأنق
- سقفاها من القرميد التقليدي مائل
- بنيت من الحجارة والطّين والأوتاد الخشبية.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> نللي سلامة العامري، الولاية والمجتمع، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2001، ص ص 118-119

<sup>2</sup> الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص 223

<sup>3</sup> حول الزاوية أكثر أنظر: عزوق عبد الكريم، المرجع السابق، ص 133

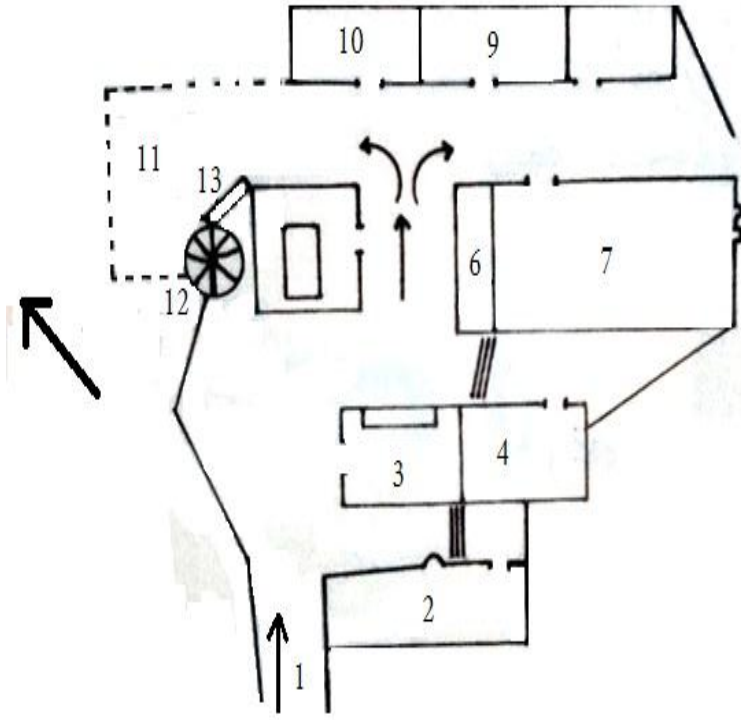


مخطط 1: زاوية سيدي أحمد بن يحيى (عن عزوق عبد الكريم)

وكذلك زاوية زاوية سيدي موسى (تينبدار): (10هـ/16م)

- معهد علمي كبير تشمل العديد من الملاحق
- جامعها الأصلي اندثر ما عدا المئذنة دائرية المسقط واسطوانية البدن إلى مستوى الشرفة التي يقف عليها المؤذن ثم الجوسق الذي يتخذ الشكل المثلث.
- تعدد قاعات التدريس.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> حول الزاوية أنظر: عزوق عبد الكريم، المرجع السابق، ص ص 134-135



- 1 رواق مستوف
- 2 قاعة للتدريس
- 3 مطبخ
- 4 قاعة للتدريس
- 5 ضريح
- 6 دكانة لجلوس الطلبة
- 7 قاعة للتدريس
- 10.9.8 مرآقد للطلبة
- 11 مسجد الزاوية المنذر
- 12 قاعدة المئذنة
- 13 مكان غسل الألواح القرآنية

مخطط زاوية تيندار بسيدي عيش - عن عزوق عبد الكريم -

مخطط 2: زاوية تيندار

## 1- الوصف المعماري للزوايا المدروسة

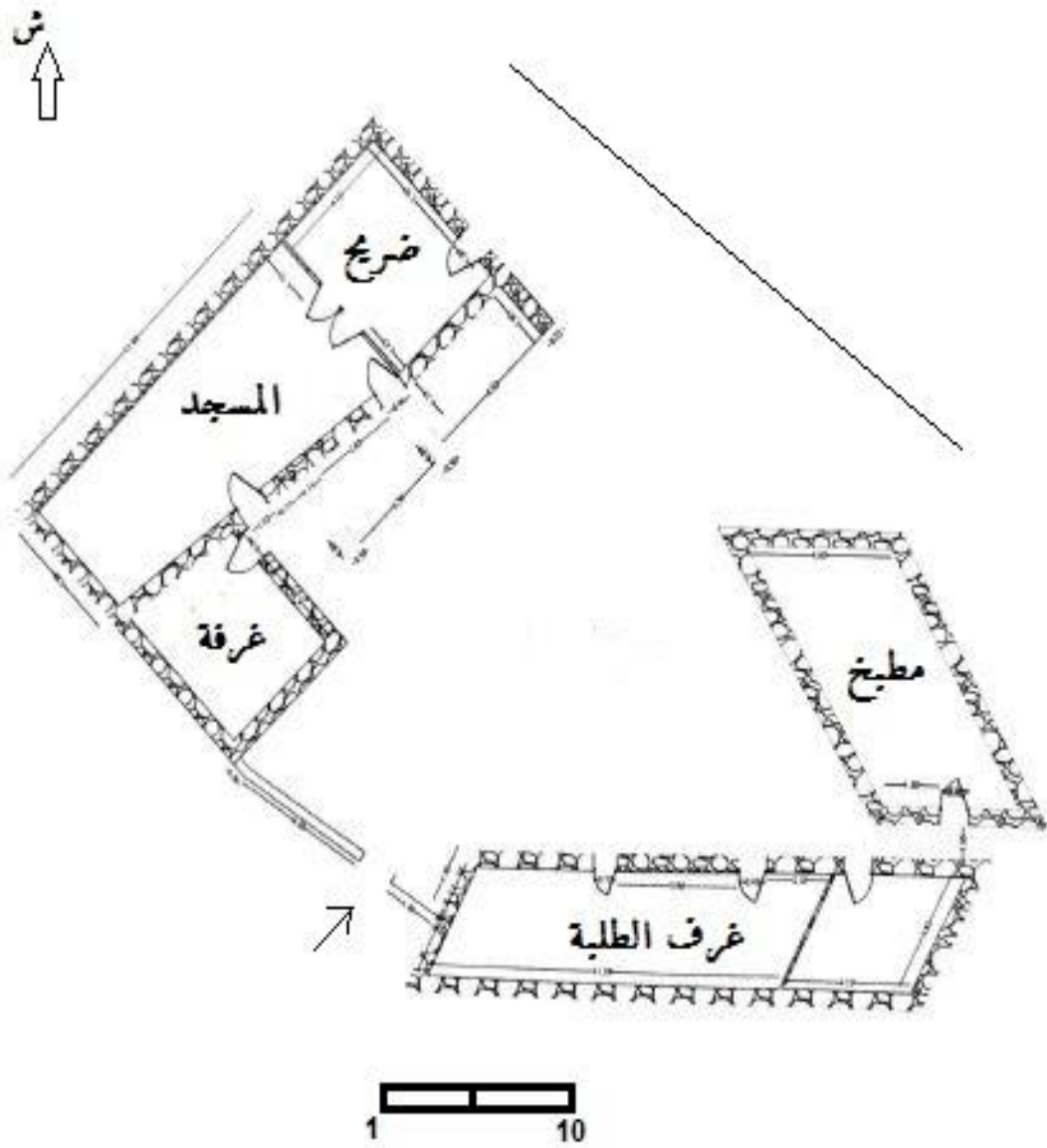
## 1-1- زاوية قرومة:

عند وصولنا لمنطقة قرّومة - المكان الأصلي للتسمية قبل تسمية بلدية قرّومة الحالية- ونزلنا عند الزاوية الجديدة التي بنيت سنة 1983 كما تُشير الوثائق الموجودة بحوزتنا، وتبعد الزاوية محلّ الدّراسة عن هذه الزاوية بقراءة الـ 2 كلم عبر طريق ثانوي متشعب داخل الجبل وبين الأحرش وهو طريق وعر وصعب (صورة 01 لوحة 01).

زاوية قرومة مُكوّنة من مجموعة من الوحدات العمرانية (المسجد - الضريح - مجموعة غرف) لكنّها تمثل لنا وحدة معمارية متكاملة، لها مدخل وحيد يقع في الجهة الجنوبية الغربية (صورة 02 لوحة 01)، عند دخولنا إلى الفضاء الداخلي للزاوية من هذا المدخل الذي تبلغ مقاساته 1.10م/1.82م، على يمين المدخل وعلى بعد 1.80م نجد غرفتين مختلفتي المقاسات، وإلى جانبهم غرفة صغيرة منفصلة عنهم ربّما كانت تستعمل كمطبخ لأنّ الزاوية تظهر أنّها لا تتحمّل عدداً كبيراً من الطّلبة، وعلى يسارها نجد فراغاً مطّلاً على مساحة شاسعة بها أشجار مثمرة، ثم نجد غرفة الضريح الملتصقة بالمسجد الذي ينفّث على الصّحن المكشوف للزاوية، وتلتصق به غرفة أخرى كانت تستعمل مخزناً للزاوية. (مخطط 03)

أمّا التّسقيف فهو مستحدث أي أنّه قد أُعيد تسقيفه بواسطة القرميد وقد استعمل القرميد الأوّل وأعيد توظيفه من أجل السّقف لكن أحيانا على عوارض حديدية كما هو الحال في المسجد وعوارض خشبية كما هو الحال في الغرف والضريح، والتّسقيف كله في وحدات الزاوية أنجز بطريقة مائلة (صورة 03 لوحة 01).

والزّاوية خاليّة من أيّ مظهر من مظاهر الزّخرفة سواء في مظهرها الخارجي أو الداخلي بل هي في أتمّ البساطة، ربّما لطبيعة المنطقة الجبلية القاسية وانشغال أهلها بالعلم والتدريس.



مخطط 03: المخطط العام لزاوية قرومة (عن مكتب الدراسات شريف دحماني - الجلفة - بطلب من الطالب)



صورة رقم: 1 منظر لموقع للزاوية



صورة رقم 2: مدخل الزاوية صورة رقم 3: قرميد التسقيف

### لوحة 1: زاوية قرومة

## 1-1-1 - المسجد

مسجد زاوية قرّومة يتربع على مساحة مستطيلة الشكل مقاساتها 3.88م/11.40م يحتوي على مدخلين المدخل الأول مقاساته 1.70/0.96م والمدخل الثاني 1.83/0.94م المسافة بينهما 5.67م بما فيها المحراب الذي يظهر في جدار القبلة من الواجهة الخارجية، إذ يتقدّم جدار القبلة رواق مغطّى عرضه 1.90م يقوم على دعامتين مربّعتي الشكل وقد استعملت فيهما مواد حديثة (الإسمنت) مقاسات الدعامتين على التوالي 0.80/50م والدّعامّة الثانية 0.82/0.57م المسافة بينهما 3.50م (صورة 01 لوحة 01)، وسقف المسجد جملوني من مادة القرميد الأحمر يقوم على عوارض حديدية حديثة، ويخلو المنظر الخارجي للمسجد من أيّ مظهر من مظاهر الزّخرفة، وهذا بذاته ميزة من ميزات العمائر الصّوفية التي تقوم على الزّهد في زخرف الدنّيا وزينتها، كذلك هو الحال بالنّسبة للمنظر الدّاخلي للمسجد فعند دخولنا إليه يوحي منظره بالزّهد والتّشّرف، ونجد المحراب الذي يبعد عن الباب الأوّل بـ 2.87م وقد بُني بطريقة بسيطة جدًّا ومتواضعة تقليدية يبلغ عرضه 1.10م وعمقه 0.97م وهو ذو شكل نصف دائري غير منتظم أي كلما اتّجهنا إلى أعلاه زاد انحصاره، ونجد في الجدار الذي يفصل بين المسجد والضّريح نافذة مقاساتها 0.78/0.51م. كما يخلو المسجد من المئذنة وهي الظاهرة المعروفة في أغلب الزوايا الصوفية خاصة قبل الفترة العثمانية (لوحة 02).



صورة 1: مسجد زاوية قرومة



صورة 2: الرواق الذي يتقدم المسجد صورة 3: المحراب من الخارج



صورة 1: الدعامة صورة 2: المحراب صورة 3: النافذة

لوحة 2: عناصر من المسجد

## 1-1-2- الضريح:

يتميز ضريح زاوية قرّومة بالبساطة التامة فهو عبارة عن حُجرة مستطيلة الشكل ملتصقة ببناء المسجد في جهته الجنوبية يبلغ طوله 8.35م وعرضه 4.98م وله مدخل موجّه للجهة الجنوبيّة مقاساته 0.90م/1.95م، ويفصل بينه وبين المسجد جدار فتحت به نافذة مقاساتها 0.78/0.51م، ويبلغ سمك الجدران بالزاوية فيبلغ 0.50معموماً، وعن سقفه فهو يشترك مع المسجد في نفس السقفية ترميمات واستعملت السّواكف الحديدية لحمل القرميدوعن مواد البناء فهي الحجارة والملاط، كما لاحظنا وجود تشققات كبيرة بجدران الضريح، وقد دفن به الشيخ " سيدي سليمان بن علي" في قبر بسيط مغطّى بالحجارة وليست عليه أيّ زخرفة، كما لاحظنا آثار ومخلفات لبعض الطقوس كأثار إشعال الشموع والحناء. (لوحة 03)



صورة 1: الضريح صورة 2: تسقيف الضريح

لوحة 3: ضريح زاوية قرّومة

## 1-1-3- بيوت الطلبة

وجدنا بزواوية قرّومة غرفتين لإقامة الطلبة (وهو ما أفادنا به الحاج رضوان علي من مواليد 1942 بقرّومة)، والغرفتين مختلفتين في المقاسات إذ تحتوي الغرفة الأولى الموجودة على يسار المدخل الرئيسي للزواوية على مدخلين عرض المدخل الأول 0.75م، والمدخل الثاني 0.92م المسافة بينهما 3.90م، والغرفة غير منتظمة إذ تبلغ مقاساتها 7.90م/ 3.70م أرضيتها غير مبلّطة فهي ترابية، وهي بسيطة جداً لا تحتوي على زخارف عدا مجموعة من التجويفات الصغيرة المثلثة الشكل وهي معروفة في المناطق الريفية، تتوسّط الجدار المقابل لجدار المدخلين يبلغ عددها 17، وهي عبارة عن فتحات صغيرة يعلوها قرميد نصف أسطواني، كانت تستعمل هذه التجويفات لأغراض الطلبة البسيطة كوضع الدواة أو للإنارة، بالإضافة إلى تجويفتين في الجدار الفاصل بين الغرفتين و الذي فُتحت فيه نافذة مقاساتها 1.15/0.80م. أمّا الغرفة الثانية فتبلغ مقاساتها 4.10م/3.80م أرضيتها ليست بنفس مستوى الغرفة الأولى، ندخل إلى الغرفة الثانية عبر مدخل مقاساته 0.87م/ 1.95م وهي الأخرى غرفة بسيطة خالية تماماً من أيّ زخرفة، واستحدثت بها نافذتين متقابلتين في الجدارين الشمالي والجنوبي وهي صمّاء ربما استخدمت ككوات لوضع أغراض الطلبة، تقدّر مقاسات النافذة في الجدار الشمالي بـ 0.70م/0.4م والنافذة بالجدار الجنوبي 0.65م/0.40م. وحسب تقديرنا فإن الغرفتين تتسعان لحوالي 30 طالباً، بالإضافة لما كان يُنجزه الطلبة بأنفسهم من حُجَرٍ صغيرة تسمّى محلياً "العشة" حسب الروايات الشفوية وما استقيناها من سكّان المنطقة لكننا لم نجد أيّاً منها، وسقف الغرفتين يظهر من الخارج في كتلة واحدة في شكل جملوني يقوم على عوارض خشبية تمتدّ بين الجدارين لتحمل الرّكائز العموديّة التي تحمل القرميد. (لوحة 4)



صورة 1: غرفتين لإقامة الطلبة



صورة 3: التجويفات بالجدار الشمالي للغرفة

صورة 2: الغرفة الكبيرة

لوحة 4: بيوت الطلبة من الخارج

### 1-1-4 - المخزن:

مخزن زاوية قرّومة عبارة عن غرفة بسيطة تقع على يسار المدخل الرئيسي للزاوية وتبعد عنه بـ 4.50م، مقاساتها 3.50/3.20م وأرضيتها ترابية، نلج إليها عبر مدخل مقاساته 0.90/1.70م والمدخل يرتفع عن أرضية صحن الزاوية بعتبة ارتفاعها 0.42م، وهي تشترك مع المسجد في جدار القبلة واستحدثت كوّات في أعلى هذا الجدار مقاساتها حوالي 0.20/0.25م وسقفها هي الأخرى جملوني مستقلّ عن سقف المسجد الذي تشترك معه في جدار القبلة. (صورة 1)

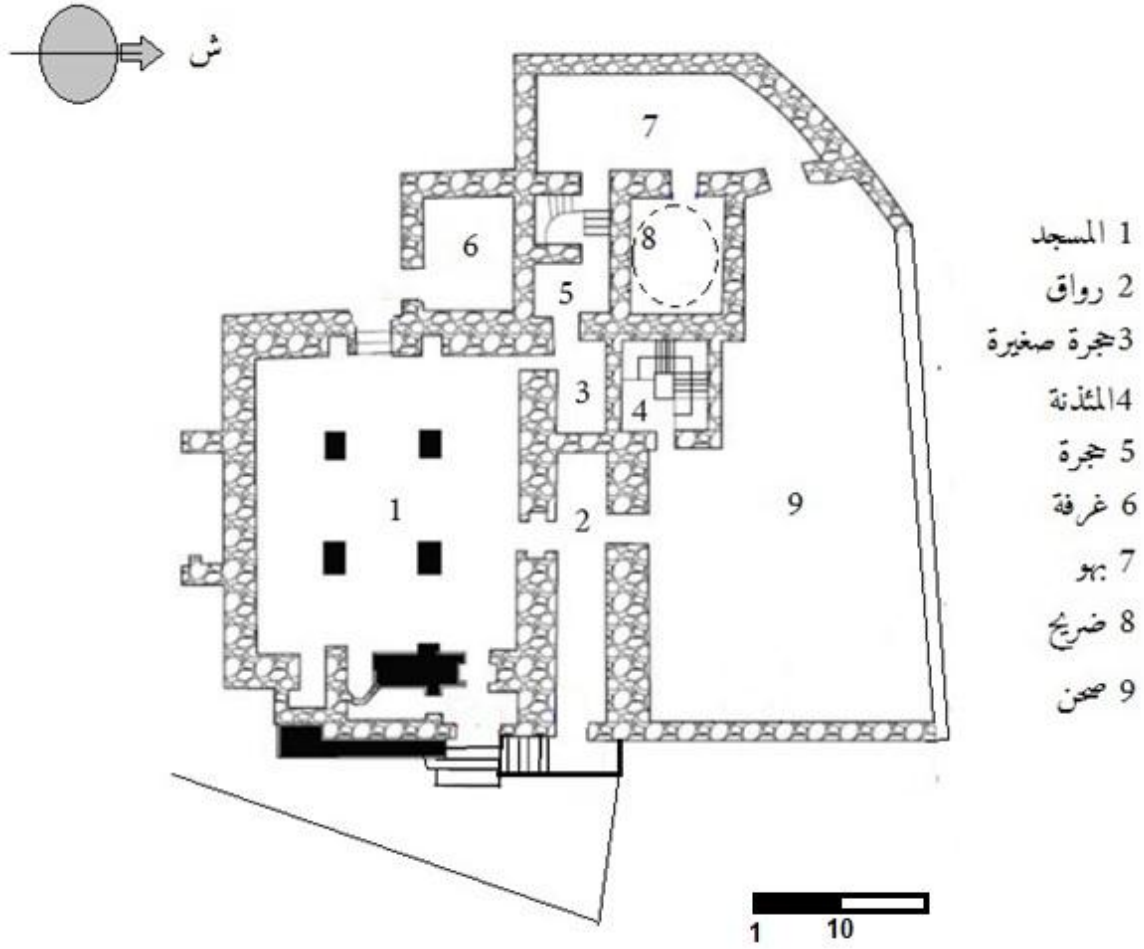


صورة 1: المخزن من الخارج

## 1-2- زاوية سيدي يعقوب بولهاصة:

تتصدر زاوية سيدي يعقوب في كتلة عمرانية واحدة تظهر للوهلة الأولى أنها مسجد لوحده، على الرغم من وجود سور يحيط بالزاوية وهو حديث، فُتح به مدخل يتقدمه سلم حديث، فالأرضية التي بنيت عليها الزاوية مرتفعة بعض الشيء بالنسبة للطريق المؤدي إليها، وعند دخولنا من هذا الباب نجد أنفسنا في صحن يتقدم الجامع الذي تعتبر واجهته الشرقية هي الواجهة الرئيسية، تظهر بسيطة خالية من الزخرفة إلا من الشرفات التي تعلو الجدار، كما نلاحظ أن قاعدة الجدار والتي ترتفع عن الأرضية بحوالي 0.60م سميكة أكثر من الجزء العلوي من الجدار، ونجد مدخلا يبلغ عرضه 1.40م وأقصى ارتفاعه 2م ينتهي بعقد نصف دائري متجاوز، ويبدو أن هذا المدخل والرواق الذي يليه هو إضافة

للمسجد وهذا ما أكدته لنا أحد القائمين على المسجد، أمّا عن الواجهة الشماليّة فهي واجهة غير منتظمة وهي تُشرف على الجزء الآخر من الصّحن أي أنّ الصّحن يحيط بالمسجد من واجهتيه الشرقيّة والشماليّة، وعن الواجهة الشرقيّة فنجد بها مدخلا آخرًا يُفضي للمسجد عرضه 1م وارتفاعه حوالي 1.90م ونجد بجدارها انكسارًا إلى الجهة الشماليّة يحتوي هذا الصّلع من الجدار مدخلًا يُفضي إلى الخلوة وإلى سلّم المئذنة، وبه مدخل ثالث يُؤدّي إلى بهو مسقّف (مستحدث) طوله 8م والعرض غير منتظم أقصاه 4م وأقله 2.30م، أمّا الواجهة الجنوبيّة فهي واجهة صمّاء لا نلاحظ بها سوى الشرفّات التي تعلو الجدار، كما دُعّم الجدار من خارجه بدعامات عموديّة على الجدار، والواجهة الغربيّة يمكن اعتبارها هي الأخرى واجهة رئيسيّة لاحتوائها على مدخل عرضه 1.80م وارتفاعه 2م ينتهي بعقد منفرج (صورة 01)، تتقدم هذا المدخل سقيفة مستعرضة يبلغ عرضها 2.70م وعمقها 1.10م، ونجد على يمين هذا المدخل مدخلا آخرًا لحجرة مقاساتها 3.80/4.10م يسكنها حاليًا أحد الزهاد (شيخ من المنطقة)، وسقفها مستحدث فقد سقط سقفها الأصلي، ثم نجد جدارًا لجزء من البهو وبه نافذة صغيرة مقاساتها 0.80م/0.68م، وتظهر لنا المئذنة من كل الإتجاهات إذ يبلغ ارتفاعها الكليّ 16.60م منها 1.55م ارتفاع الجوسق، مربّعة الشكل بسيطة دون أيّة زخارف، تعلوها في جوانبها الأربع شرفّات ثنائيّة، ويعلوها جوسق في شكل مكعب قد سقط عنه الجزء الذي كان يحمل ثلاث تفافيح وهلال - حسب روايات أهل المنطقة- وبالجدار الشرقي للجوسق فتحة مقاساتها 0.90م/0.72م تفضي إلى شرفة المئذنة، ونجد سلّمًا عدد درجاته 29 درجة يُؤدّي إلى أرضيّة صحن المسجد، كما يظهر لنا السقف القرميدي الجملوني المكون من ثلاث وحدات كل واحدة تغطّي أسكوبا من المسجد وقد سقط جزء في زمن الاستعمار الفرنسي. (مخطط 4)



مخطط 4: زاوية سيدي يعقوب (عن مكتب الدراسات شريف دحماني - الجلفة- بطلب من الطالب)



صورة 1: الواجهة الغربية لزاوية سيدي يعقوب

### 1-2-1- جامع سيدي يعقوب:

نلج إلى المسجد من المدخل الرئيسي الموجود بالواجهة الشرقية وله باب خشبي مكوّن من مجموعة من العوارض الخشبية العمودية، تجمع بينها عوارض أخرى أفقيّة عليها وتضمّها مُكوّنة بابا من مصراعين يشكّلان حال إغلاقهما بابا ينتهي بعقد نصف دائري ونجد بعد المدخل مباشرة سقيفة (إضافة) عرضها 2م، يبلغ عرضها 1.80م وعمقها 1.10 م، لنجد أمامنا المدخل الأصلي للجامع عرضه 0.70م وارتفاعه 1.90م، ينتهي بعقد حدوي ومن خلاله يمكننا معرفة سمك الجدار وهو حوالي 1م، إذ بحكم هذا

السمك تشكل مدخلان متواليان بهذا الجدار لهما نفس المقاسات، غير أن المدخل الثاني ينتهي بعقد نصف دائري. (لوحة 05) (مخطط 05)



صورة 2: مدخل بيت الصلاة

صورة 1: المدخل الرئيسي للمسجد

لوحة 5: مداخل المسجد

يتخذ بيت الصلاة شكلاً شبه مربعاً إذ يبلغ طول جدرانه الشمالي والجنوبي 10.90م على التوالي، أما جدار القبلة فطوله 9.65م والجدار الغربي للمسجد طوله 9.28م، وتتكون بيت الصلاة من ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة وثلاث أسايب موازية له، و بلاطاته متساوية في عرضها وكذلك هو الحال بالنسبة للأسايب. (صورة 01)



صورة1:بيت الصلاة للمسجد

أمّا عن تسقيفه فإنّه يقوم على مجموعة من العقود النّصف دائرية المتجاوزة عددها 6 ستّة عقود، كلّ ثلاث عقود تُشكّل لنا بائكة عموديّة على جدار القبلة، تقوم هذه العقود على أربعة دعائم تتوسّط بيت الصلاة، ودعامتان مدمجتان في الجدار الغربي للمسجد، هذه الدّعائم مستطيلة الشكل تبلغ مقاسات 0.90م/0.70 م وارتفاعها حوالي 1.60م، أما الدّعائم المدمجتان في الجدار الغربي فهي تبرز من الجدار باتجاه بيت الصلاة ب 0.28م وعرض كلّ واحدة منهما 0.70م وارتفاعهما 1.60م، وسُقفت كلّ بلاطة بسقف جملوني مستقلّ عن البائكة الأخرى، حيث تظهر من الداخل على شكل مجموعة من الألواح الخشبية المستطيلة ضُمَّت إلى بعضها البعض لتلتقي في أعلاها مُشكّلة سقفاً جملونياً، غير أنّ سقف البلاطة على يمين المحراب قد سقط أثناء قصف زمن الاستعمار الفرنسي وأعيد تسقيفها بسقف مستوي. (لوحة06)



صورة2: السقف الجملوني للبانكة

صورة1: البلاطة الجانبية



صورة3: السقف الجملوني من الخارج

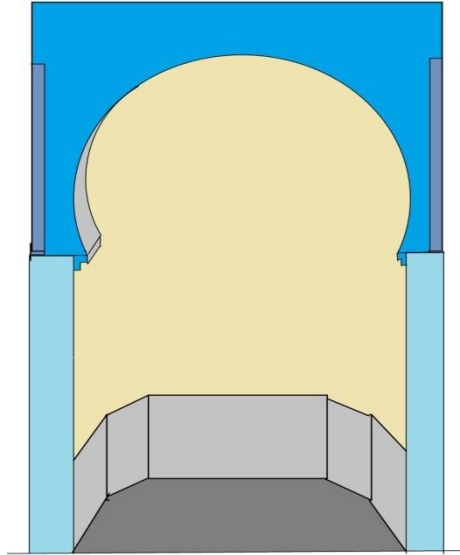
لوحة6: التّسقيف بالمسجد

ويتوسّط الجدار الشرقي محراب مُجوّف خماسي الأضلاع أقصى ارتفاع فيه 2.60م وعرضه 1.10 وعمقه 1.28م، تنتهي واجهته بعقد نصف دائري متجاوز، غُطّيت واجهته وجوانبه ببلاطات خزفية حديثة، وحسب روايات بعض أهل المنطقة أنّه كانت تغطي

جانبيه لوحات رخامية، بالإضافة إلى فتحة للمنبر على يمين المحراب بـ 1.70م عرضها  
0.90م. (لوحة 07)



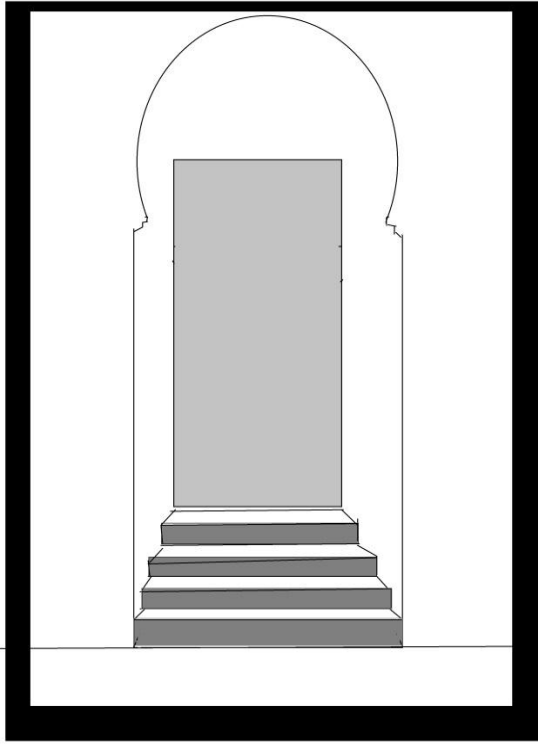
صورة 1: محراب مسجد سيدي يعقوب صورة 2: دكة المنبر بالمسجد



شكل 1: محراب زاوية سيدي يعقوب

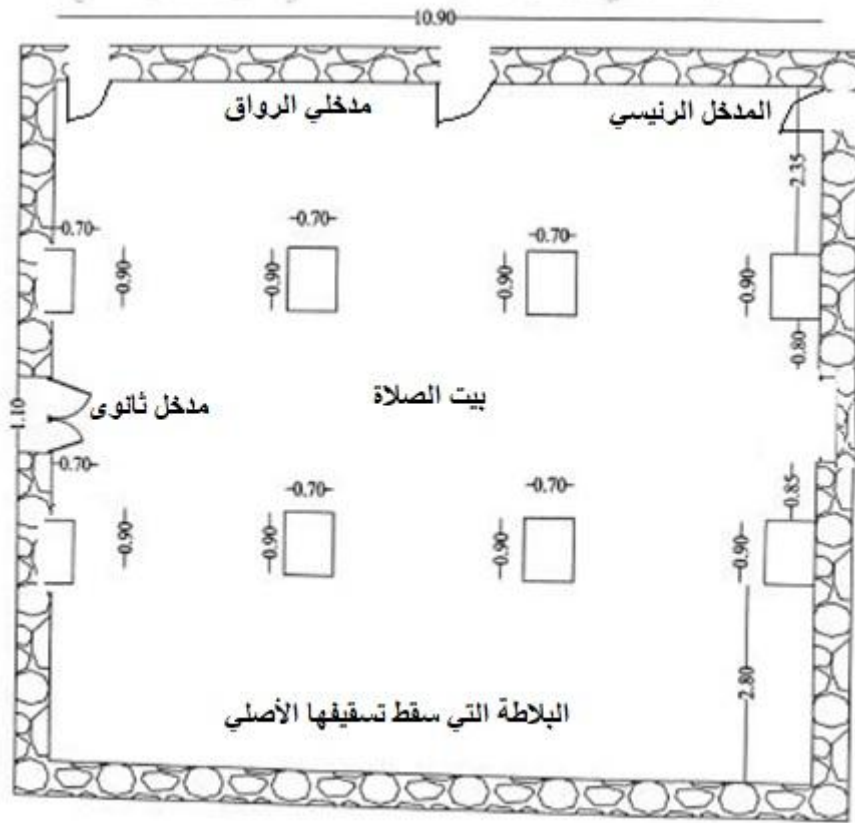
لوحة 7: المحراب وفتحة المنبر بجامع سيدي يعقوب

كما نجد بالجدار الغربي مدخلا آخرًا يتوسط البلاطة الوسطى عرضه 1.20م وهو في الواجهة الخارجية للجدار مما يجعله يترك شبه رواق بالجدار، استغلّ لوضع سلّم مكوّن من خمس درجات ارتفاع كلّ منها 0.25م وعرضها 0.29م، يعلو هذا المدخل عقد نصف دائري متجاوز، كما نجد في أقصى الجدار الشمالي مدخلا آخرًا عرضه 0.90م وارتفاعه 2م يفضي إلى سقيفة ومنها ندخل إلى البهو الذي يفضي إلى الصحن من الجهة الشمالية، كما نجد مدخلا آخر في نفس الجدار (الشمالي) وهو يؤدّي إلى جزء حديث من السقيفة. (لوحة 08)



صورة 1: الباب الغربي شكل 1: الباب الغربي

لوحة 8: المدخل الغربي بالمسجد



مخطط 5: مسجد سيدي يعقوب (عن مكتب الدراسات شريف دحماني - الجلفة- بطلب من الطالب)

### 1-2-2- الضريح:

يقع ضريح سيدي يعقوب إلى الجهة الشمالية الغربية من المسجد ويفصل بينه وبين المسجد بدن المئذنة، وهو بناء مربع الشكل مقاساته 3.55م/ 3.60م، له مدخل بالجدار الغربي عرضه 0.90م وارتفاعه 2م عُطِّيت أرضيته ببلاطات خزفية حديثة، يقابلنا بالجدار الشرقي للضريح عقدان نصف دائريان أصمَّان بينهما عمود حلزوني، بالإضافة إلى وجود كُوتان في جداريه الشمالي والجنوبي وفتحة أخرى بالجدار الشمالي للتهوية والإضاءة، وقد كُسيت جدران الضريح ببلاطات خزفية حديثة، أما عن تسقيفه فهو عبارة عن قبة نصف دائرية وهي القبة الوحيدة بالزاوية، يبلغ نصف قطرها 1.70م تظهر تحتها

في الأركان الأربع حنيات مُجَوَّفَة تُبَيِّن لنا الإنتقال من المربع إلى المثلث إلى الدائرة، بها زخارف هندسية ونباتية. (لوحة 9)



صورة 2: عقود بالضريح



صورة 1: مدخل الضريح



صورة 4: كوة بالمحراب



صورة 3: قبة الضريح

لوحة 9: ضريح سيدي يعقوب

ومن الملاحظات الهامة بمسجد سيدي يعقوب هو وجود خُلوّة تحت أرضية المئذنة، وهي عبارة عن رواق منكسر يبلغ عرضه 1م وارتفاعه حوالي 2.10م سُقِّفَت بطريقة التَّقْيِيب النصف أسطواناني. (لوحة 10)



صورة 2: خلوة سيدي يعقوب

صورة 1: رواق يتقدم الخلوة

لوحة 10: خلوة الشيخ سيدي يعقوب

### 1-3- زاوية الشيخ عبد الكريم المغيلي:

إنّ زاوية الشَّيْخ المغيلي المشهورة في التَّاريخ الجزائري خاصّة في الصحراء الكبرى، ومع الدَّور الذي أدَّاه الشَّيْخ المغيلي في نشر الدَّعوة الإسلاميّة وما فعله مع اليهود الذين كانوا بإقليم توات، هو ما جعل لها سُمعة كبيرة من الجانب الدَّعوي خاصّة، لكن للأسف الشَّدِيد لم يبق أثر تلك الزَّاوية لأنَّها جُدِّدَت تمامًا حتى الضَّرِيح فقد تمَّ تجديده مؤخرًا، ولم يبق من آثار الشَّيْخ المغيلي (فيما يخصّ الزاوية) غير المسجد الأصلي الذي

بناه الشيخ في بداياته الأولى بالمنطقة، وهو بقصر بوعلي والذي بناه في فترة سياسية حرجة (حربه مع اليهود) فمظهره الخارجي لا يوحي بأنه مبنى ديني خاصة وأنه على جانب القصر وليس وسطه كما هو معروف في القصور الصحراوية عموماً، فهو في رأينا كان مسجداً ورباطاً في نفس الوقت.

يترجع المسجد الأصلي للشيخ المغيلي على مساحة مستطيلة غير منتظمة، إذ يبلغ طول جداره الشمالي 12.10م وطول الجدار الجنوبي 9.40م ويبلغ طول الجدار الشرقي 14.50م والجدار الغربي 15.60م، ندخل إلى المسجد عبر مدخل بالجدار الغربي عرضه 0.75م وارتفاعه 1.70م يُفضي إلى سقيفة ضيقة بها مدخلان أحدهما يؤدي إلى المسجد و الآخر إلى المصلى الصيفي غير المسقوف، لنلج إلى بيت الصلاة عبر مدخل عرضه 0.70م وارتفاعه 1.75م ينتهي بعقد نصف دائري، ثم نجد بيت الصلاة التي تتكون من ثلاثة أساكيب تفصل بينها بائكتين كل بائكة عبارة عن جدار سمكه حوالي 0.70م فتحت بكل منهما ثلاثة من المداخل تنتهي بعقود حدوية والأساكيب متساوية الطول أما العرض فتختلف اختلافاً طفيفاً، إذ يبلغ عرض الأسكوب الأول الموازي لجدار القبلة 1.30م، أما الأسكوبان الثاني والثالث فيبلغ عرض كل منهما 1.40م وبالجدار الشرقي نجد محراباً يتوسط الجدار، وهو محراب مجوّف ذو شكل نصف دائري، يبلغ ارتفاعه 2.10م وعرضه 0.82م وعمقه 0.55م ينتهي بعقد نصف دائري، وقد فتحت بعض الفتحات الصغيرة للتهوية والإضاءة غير أنها قليلة مقارنة مع مساحة بيت الصلاة وتخطيطها خاصة وأن البائكتان تحجب الرؤية بعض الشيء وتوزع هذه الفتحات بين الجدارين الشمالي والجنوبي لبيت الصلاة، إذ احتوى الأسكوب الأول الذي يلي المحراب على أربع فتحات اثنتين منها في الجدار الشمالي واثنتين تقابلهما بالجدار الجنوبي بلغت مقاسات هذه الفتحات بين 0.38م ارتفاعاً و 0.20م عرضاً، وكذلك هو الحال بالنسبة

للأسكوب الثاني، أمّا الأسكوب الثالث ففُتحت به واحدة فقط على الجدار الجنوبي، بالإضافة إلى وجود مجموعة من الكوّات في جداري البائكتين استعملت للإنارة ولأغراض أخرى مقاساتها تتراوح بين 0.35م/0.35م عموماً، أمّا أرضية المسجد فهي أرضية غير مبلّطة. (لوحة 11)

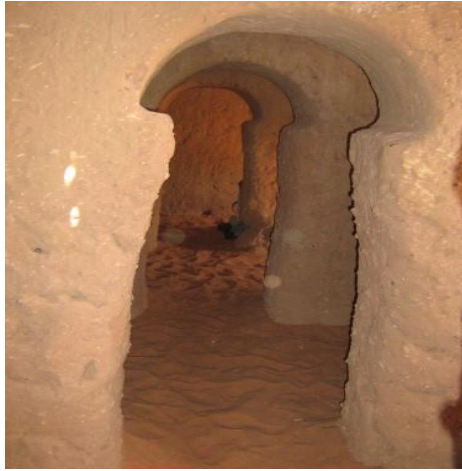
أمّا عن تسقيف مسجد الإمام المغيلي فهو مغطى بالحجارة كلياً، وهي طريقة تختصّ بها العمارة الصّحراوية، إذ تُنبتّ الحجارة المسطّحة بعد اختيارها بعناية كبيرة لتُناسب هذه العملية، إذ بعد بناء الجدران التي يشترط أن تكون قريبة من بعضها لتسهّل عملية تسقيفها بهذه الطريقة، وبعد تساوي الجدران في الإرتفاع تبدأ عملية تثبيت الحجارة على الجدران بطريقة أفقيّة، فتبدأ الحجارة الأولى بتثبيت نصفها على الجدار ونصفها الثاني باتجاه الفراغ الحاصل بين الجدارين، ونفس العملية تمشي على الجدار الثاني، ثم تُنبتّ الحجارة المُسطّحة الثانية باعتماد نصف الحجارة الأولى كقاعدة ونصف الحجارة الثانية في الفراغ المتوسّط بين الجدارين إلى أن تلتقي الكتلتان الحجريّة المسطّحة ويربط بينها في الأخير بواسطة الملاط. ثم يُصبّ فوقها كمّية أخرى من الملاط لتثبيتها أكثر وتماسكها و لإغلاق أيّة تجويفات من شأنها أن تحصل. (لوحة 11)



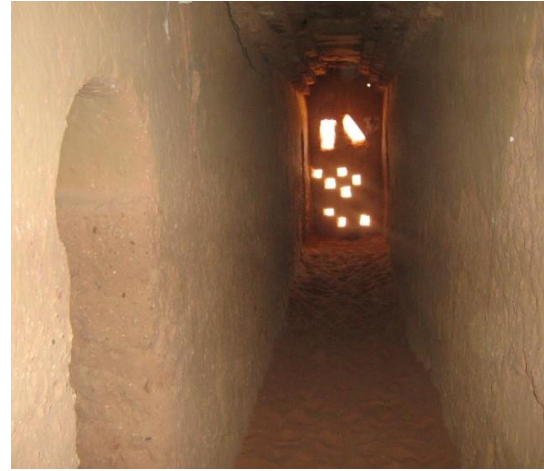
صورة2: المحراب



صورة1: كوة



صورة4: بلاطة



صورة3: فتحات الإضاءة



صورة6: عقد



صورة5: تسقيف جامع المغيلي

لوحة11: بيت الصلاة لجامع المغيلي

## 1-3-1 - المصلى الصيفي:

نظرًا لمناخ المنطقة الصحراوية المتميز بالحرارة الشديدة خاصة في فصل الصيف، فإنه كان لابد من التفكير في حلول عملية أثناء البناء من شأنها أن تساعد على التكيف والعيش بالمنطقة، وهذا ما نجده مطبقًا في مسجد الشيخ المغيلي، إذ اتخذ صحن كبير يأخذ شكل المستطيل غير المنتظم يضيق اتجاه الجنوب، يبلغ طول ضلعه الشرقي 15م والغربي 16.68م، في حين نجد الجدار الشمالي حوالي 7م وجداره الجنوبي 3.60م، ولهذا المصلى الصيفي (هكذا يسميه سكان المنطقة) مدخلين أحدهما في السقيفة التي تلي المدخل الرئيسي لمسجد المغيليمقاساته ع 0.78م/ط 1.78م، وله مدخل ثان من بيت الصلاة الأولى يقع بالأسكوب الثالث ينتهي بعقد نصف دائري متجاوز، ونجد المحراب بجداره الشرقي وهو محراب مجوّف أخذ شكل المستطيل يبلغ ارتفاعه 2.15م وعرضه 0.87م وعمقه 0.35م ينتهي المحراب بعقد نصف دائري متجاوز، كما نجد بهذا المصلى المكشوف وبجداره الجنوبي سلّمًا من الحجارة منكسر يؤدي إلى سطح مسجد المغيلي. (لوحة 12)



صورة 1: المصلى الصيفي صورة 2: الصحن

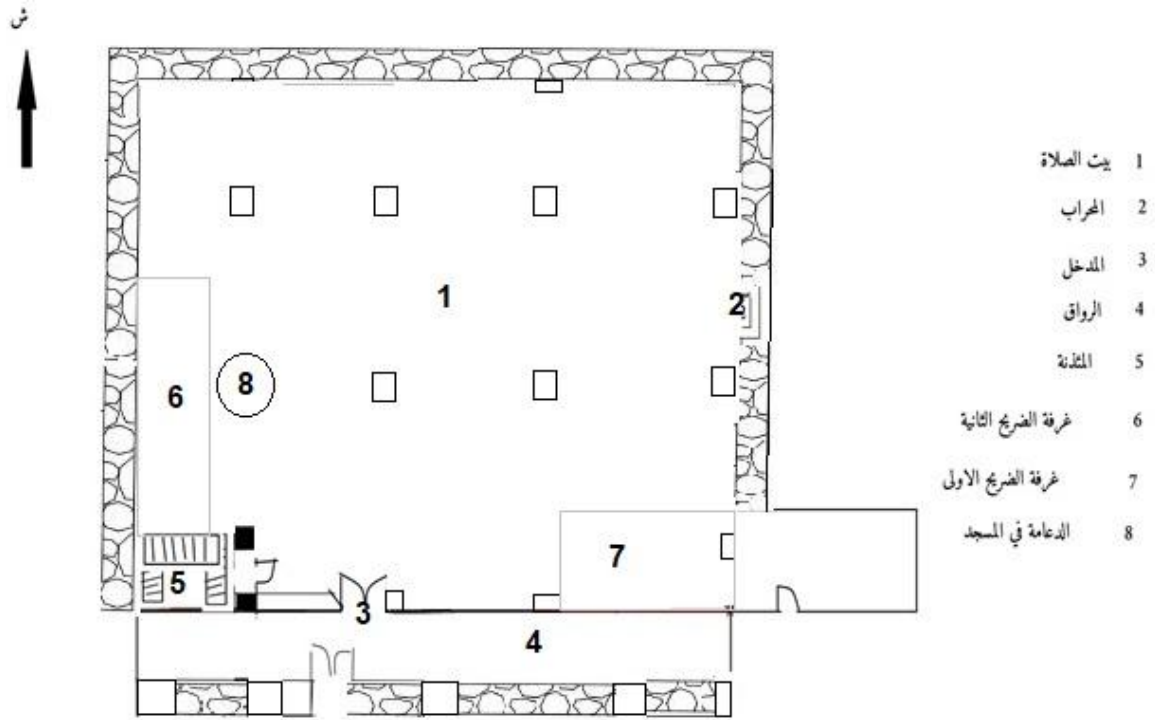
## لوحة 12: المصلى الصيفي

## 1-3-2 - خلوة الشيخ المغيلي:

تقع خلوة الشيخ المغيلي بجوار مسجده إلى الناحية الشمالية وهي منعزلة عن كتلة المسجد، فهي عبارة عن حُجرة تقارب مساحتها الشكل المربع يحدها من جهاتها الأربع ممرات ضيقة تؤدي إلى جهات مختلفة من القصر، تبلغ مقاساتها على النحو التالي: الجدار الشمالي 3.75م والجنوبي 4م والشرقي 4م والغربي 3.50م، نلج إليها عبر مدخل عرضه 0.72م وارتفاعه 1.78م يقع في أقصى يسار الجدار الجنوبي، وفي داخلها لا تظهر فيها أي مظهر للزخرفة كما هو معروف في أغلب الخلوات التي كانت خصيصا للعبادة والزهد، ونجد بها دكّانة ربما كانت مضجعا للشيخ المغيلي ليرتاح فيها يبلغ طولها 1.50م وارتفاعها 0.97م وعرضها 0.70م.

## 1-4-4 - زاوية عين اقلال بالجلفة:

زاوية عين اقلال تتربّع على مساحة كبيرة تحتوي على المرافق الضرورية للحياة العلمية واليومية داخل الزاوية، فنجد المسجد الذي يمثل نواة الزاوية وهو مربع الشكل مباشرة عند دخولنا للزاوية من بوابتها الرئيسية التي تقع شرقه، وقبل المسجد نجد غرفة مستطيلة الشكل وهي مستحدثة، وغرفة أخرى تتقدّم الضريح الذي هو بداخل المسجد، وإلى الجهة الجنوبية من المسجد توجد ثلاث غرف متتالية عبارة عن مساكن للطلبة رغم تجديدها إلا أنها لازالت تحافظ على النمط الأصلي للبناء، ثم يليها مسكنين كبيرين من طابقين خاصين بعائلة الشيخ. وبها دار ضيافة حديثة، بالإضافة إلى مجموعة من المساكن خارج سور الزاوية. (مخطط)



مخطط6: مسجد وضريح زاوية عين اقلال(عن مكتب الدراسات شريف دحماني - الجلفة- بطلب من الطالب)



صورة1:ساحة تتوسط زاوية عين اقلال

## 1-4-1 - مسجد زاوية عين اقلال:

كما سبق وذكرنا أنّ المسجد شُيّد أوّل مرّة سنة 1811م حسب الرّوايات الشّفوية، ثم أعيد بناؤه سنة 1872م ليُرَمَّم آخر مرة في 1898 بعد سقوط الجدار الشّمالي منه، أخذ المسجد شكل المربّع تقريبا إذ يبلغ طوله 19.48م وعرضه 18م وله مظهر خارجي فني رائع، إذ نجد الواجهة الجنوبية وهي الواجهة الرئيسية للمسجد بنيت من الحجارة تظهر في أعلى الجدار في تناسق تام، تعلوه مجموعة من الشرفّات عددها 21 شرفّة كما تظهر المئذنة المربّعة في ركنه الجنوبي الغربي، ونجد أربعة عقود نصف دائريّة تقوم على خمسة دعائم مربّعة الشّكل تساوت المسافة بينها (2.40م) مكوّنة رواقًا عرضه حوالي 2م، كما نجد فيه ثلاث فتحات للتهوية اثنان منها على يمين المدخل الرئيسي للمسجد وواحدة على يساره، تتراوح مقاساتها على التّوالي 0.61م/0.40م و 1.20م/0.80م. أمّا المدخل الرئيسي فيبلغ عرضه 1.60م وارتفاعه حوالي 2.70م ورُزّن في واجهته الخارجية بشريط من البلاطات الخزفية.



صورة رقم 2: المئذنة



صورة رقم 1: الواجهة الرئيسية

لوحة 13: المظهر الخارجي للمسجد

أما من الداخل فنتكوّن بيت الصلّاة من خمس أساكيب وأربع بلاطات عموديّة على جدار القبلة يبلغ عرض كلّ منها 3م تتكوّن من مجموعة من البوائك المكوّنة من عقود نصف دائريّة، تقوم على أعمدة أسطوانية قطرها حوالي 0.40م وطولها 3م والتي تقوم على قواعد مدرّجة مُكوّنة من وحدتين الأولى مربّعة الشكل ترتفع عن الأرضيّة بـ 0.16م والثانية دائرية ترتفع بـ 0.10م قطرها 0.50م، وتعلو هذه الأعمدة تيجان مُدرّجة بسيطة، يبلغ عدد الأعمدة بالمسجدفمنها ثمانية مستقلة يقوم عليها سقف بيت الصلّاة كركائز أساسيّة أمّا البقيّة فهي مدمجة في الجدران، وما لفت انتباهنا هو وجود دعامة واحدة اسطوانية قطرها 01م لزيادة تحمل الثقل. (صورة1)



صورة1: بيت الصلاة

أما جدار القبلة فينوسّطه المحراب ذو المسقط المستطيل والذي كُسيّ ببلاطات خزفية في داخله، وبه إفريز مكوّن من البلاطات الخزفيّة الثنائية ذات زخارف هندسيّة

ونباتية متعددة الألوان، مقاسات المحراب على التوالي: عمقه 0.60م وعرضه 1.12م وارتفاعه 2.60م ينتهي المحراب بعقد منكسر وهو منجز بدقة تدلّ على براعة البناء وإتقانه، وقد كُسيّ الجزء السفلي من جدار القبلة دون غيره بالبلاطات الخزفية ذات أشكال هندسية ونباتية على ارتفاع 01م وعلى يسار المحراب إلى جانب الجدار الشمالي نجد كوة عرضها حوالي 0.70م وأقصى ارتفاعها 0.72م تنتهي بعقد منفرج. (صورة1)



صورة1: البلاطة المستعرضة

أما التسقيف في المسجد فهو مسقف كلياً بواسطة قباب هرمية كلّ قبة منها تقوم على أربعة أعمدة ويبلغ عدد القباب بالمسجد 19 قبة، أكبرها القبة التي تتقدم المحراب.



صورة 2: قبة هرمية

صورة 1: قبة تتقدم المحراب

## لوحة 14: التسقيف بالقباب

والى جانب المدخل الرئيسي للمسجد أي عند دخولنا نجد على الجانب الأيسر مدخلاً عرضه 0.80م وارتفاعه حوالي 2م يفضي إلى سلّم يُصعد به إلى السطح والمئذنة، يبلغ عدد درجات السلّم كاملاً 72 درجة، عند الدرجة الـ 35 نجد باباً ينتهي بعقد بصلي يُفضي إلى السطح تبلغ مقاساته 0.85م/2م، وباقي السلّم يصعد إلى أعلى المئذنة والجوسق.

وما لفت انتباهنا في المسجد هو وجود ضريحين بالمسجد أي داخل بيت الصلاة واحد في الجهة الشرقية الجنوبية مقاساته 4.65م/3.25م والثاني يقابله في الجهة الغربية الجنوبية مقاساته 6.20م/2.20م ومدخلاهما خارج المسجد، وغرفتي الضريحين غير مسقّتين أي أنهما تحت السقف العام للمسجد، الأول مدخله في الجهة الجنوبية على يمين رواق المسجد ويدخل من خلال غرفة تتقدم الضريح وهي مستحدثة وبها مدخل في جدار القبلة الخاص بالمسجد مقاساته 2م/0.80م محاطً بشريط من البلاطات الخزفية وينتهي بعقد منكسر منجز بإتقان وهو باب مدخل أصلي في الجدار. (لوحة 15)



صورة1: مدخل الضريح صورة2: الضريح داخل المسجد

لوحة رقم15: ضريح زاوية عين أقلال

### 1-5-5 - الزاوية المختارية بأولاد جلال - بسكرة -

تتكوّن الزاوية المختارية من مجموعة من الوحدات العمرانية الكبيرة الضرورية لقيام مثل هذه المؤسسة التعليمية، تقع في وسط الحارة القديمة ويتوسط هذا المجمع العلمي الجامع الجديد الذي بني في 1815م وقد خضع لعملية ترميم من واجهاته الخارجية الأربعة، وقد بنيت مئذنتين في الواجهة الرئيسية للزاوية تتوسطهما قبة وهذه بالإضافة كانت سنة 2005 حسب قيم الزاوية، كما تمّ ترميم غرف الطلبة وجدد بها الطابق العلوي وهي تقع إلى الجهة الشرقية من الجامع الجديد.

### 1-5-1 - الجامع القديم:

يقع هذا الجامع فيأقصى الجهة الشمالية من الزاوية، نصل إليه عبر المدخل الرئيسي للزاوية وفي أقصى الصحن تقابلنا بيوت الطلبة التي يتقدمها رواق عريض و منعطف جهة اليسار أي إلى الجهة الشمالية من المسجد الجديد لنجد مدخل الجامع القديم، عرض هذا المدخل 1.30م وارتفاعه 2م وهو مدخل مستحدث إذ نجد المدخل الأصلي في الجدار الغربي وقد أغلق بالطوبوعند الدّخول من هذا المدخل نجد أنفسنا

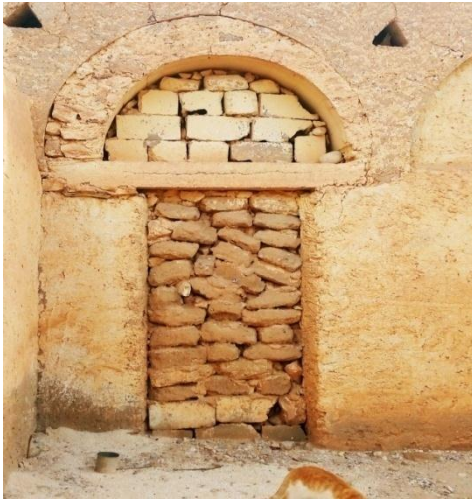
داخل المسجد الذي أزيل سقفه تمامًا، وقد تحوّل إلى مقبرة لعائلات الشيخ المختار، وهو ذو مساحة غير منتظمة يتكوّن من قسمين، القسم الأوّل هو الذي يلي المدخل المستحدث وينتهي بمجموعة من الأعمدة الرخامية عددها ثلاثة أعمدة تلغ المسافة بين الجدار الغربي والعمود الأوّل 1.70م وبين العمود الأوّل والثاني 2.20م والمسافة بين العمود الثاني والثالث 1.20م وبين العمود الثالث والجدار الشرقي الخاص بهذا القسم من المسجد 1.90م، وهذا القسم ذو شكل مستطيل طوله 8.55م وعرضه 6.90م، كما لاحظنا بجداره الشرقي مجموعة من العقود نصف الدائرية الصّماء وعددها أربعة عقود، أمّا القسم الثاني من المسجد فهو ذو شكل مستطيل يبلغ جداره الشمالي 11.5م وجداره الغربي 8.30م، وطول جداره الشرقي 8.20م وهو الذي يحتوي على المحراب المجوّف الذي يبعد عن الجدار الجنوبي ب 1.40م، ويبلغ عرض هذا المحراب 1.40م وعمقه 0.30م وهو ذو مسقط نصف دائري، وينتهي بعقد نصف دائري و هو عقد بارز. (لوحة 16)



صورة 1: الأعمدة والعقود بالجامع



صورة2: العقود المدمجة



صورة4: مدخل بالمسجد القديم



صورة3: المحراب بالمسجد القديم



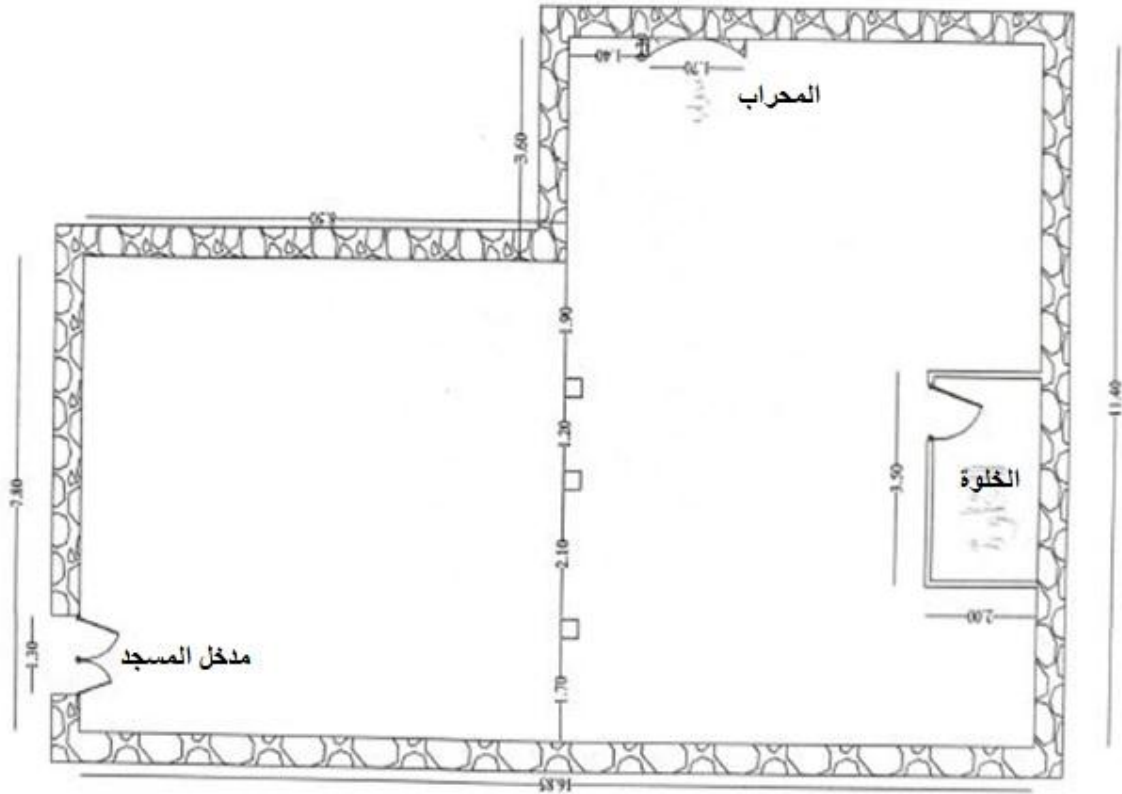
صورة6: الأعمدة بالمسجد القديم



صورة5: خلوة الشيخ

لوحة16: الجامع القديم من الداخل

كما نلاحظ بهذا القسم من المسجد وجود حُجرة تتوسط الجدار الشمالي وبنيت جدرانها داخل المسجد طول ضلعها الجنوبي 3.5م وارتفاعه 2م أما ضلعها الشرقي والغربي فطولهما 2.30م، وهي حجرة تمّ إغلاق مدخلها، وقد أفادنا قيم الزاوية أنها كانت خلوة يتعبد بها الشيخ محمد بن أبي القاسم مؤسس زاوية الهامل. (مخطط 07)



مخطط 7: مخطط المسجد القديم بالزاوية المختارية (عن مكتب الدراسات شريف دحماني - الجلفة - بطلب من الطالب)

### 1-5-2 - الجامع الجديد:

الجامع الجديد والذي بُني بعد المسجد الأول وكان بناؤه سنة 1230هـ/1815م يتربع على مساحة شبه مربعة إذ يبلغ طول جداره الشرقي 10.92م وجداره الغربي 12م وطول جداره الشمالي 11.60م أما الجدار الجنوبي فيبلغ 11.70م، للمسجد مدخلين رئيسيين

أحدهما بالجدار الشرقي والثاني بالجدار الجنوبي، نلج إلى المسجد من المدخل الرئيسي المتواجد بالجدار الشرقي الذي يبلغ عرضه 1.45م من الجهة الخارجية أما عرضه فيزيد بـ 0.10م، يُفضي هذا المدخل مباشرة إلى بيت الصلاة التي تتكوّن من ثلاث بلاطات وثلاث أساكيب، يبلغ عرض البلاطة التي تقابل المحراب 3.54م و البلاطتين الجانبيتين 3.30م، أما الأساكيب، فالأسكوب الأول الذي يلي المحراب عرضه 3.50م والأسكوب الثاني 3.45م وكذلك الأسكوب الأخير 3.45م، تُقسّم هذه الأساكيب والبلاطات أربع بوائك اثنتين منها عموديّة على جدار القبلة واثنتين موازية له، تقوم هذه البوائك على مجموعة من الأعمدة الرخامية المضلّعة، إذ جُمعت كلّ أربعة من هذه الأعمدة على قاعدة واحدة لتساعد أكثر على تحمّل الثقل، وقد كُسيّ الجزء السفلي من جدران بيت الصلاة ببلاطات خزفية منها ما هو أصلي ومنها ما هو مضاف حديثاً، ويتوسّط المحراب الجدار الشرقي الذي يبلغ عرضه 1.40م وعمقه 0.80م ينتهي بعقد نصف دائري متجاوز يقوم على عمودين رخاميين أسطوانيين، أمّا عن فتحات التهوية فنجد نافذة على يمين المحراب عرضها 1م وارتفاعها 1.20م تنتهي بعقد منفرج، ومن خلالها يظهر لنا سُمك الجدار إذ يبلغ 1م، بالإضافة إلى نافذتين بالجدار الجنوبي يتوسّطهما مدخل للمسجد عرضه 1.67م وارتفاعه 2م، أمّا النافذتين فمتساويتين عرضهما 1م لكلّ نافذة، أمّا عن تسقيف المسجد فهو مسقّف بمجموعة من القباب الدائرية والمضلّعة وعدد القباب بالمسجد تسعة قباب مزخرفة من الدّاخل بعضها ببلاطات خزفية وبعضها برسومات، كما لاحظنا أن المسجد يخلو من المئذنة. (لوحة 17) (مخطط 08)



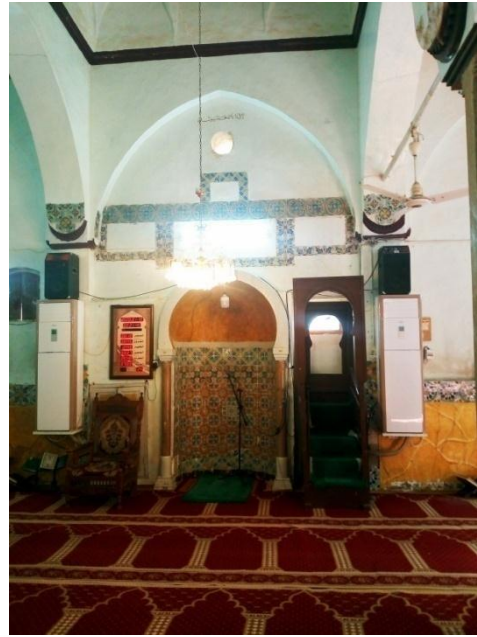
صورة2: بيت الصلاة



صورة1: مدخل المسجد

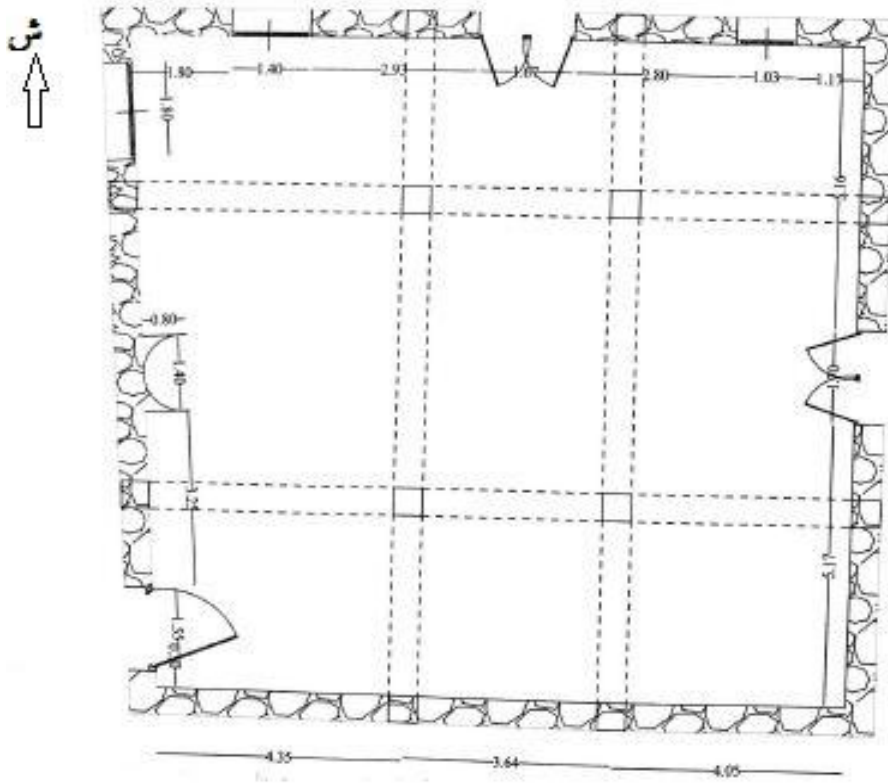


صورة4: الأعمدة ببيت الصلاة



صورة3: بلاطة

لوحة17: مسجد الزاوية المخطارية

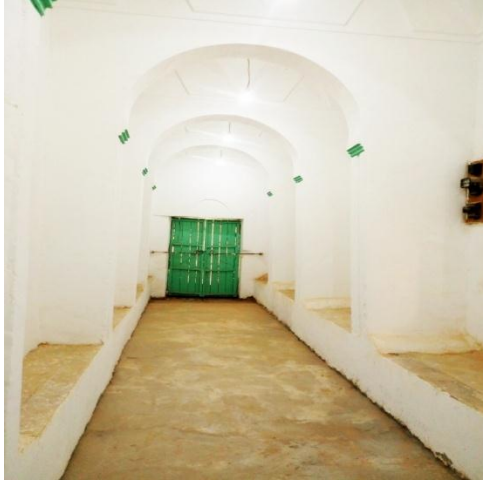


مخطط 8: مخطط المسجد الجديد بالزوايا المختارية (عن مكتب الدراسات شريف دحماني - الجلقة - بطلب من الطالب)

### 1-5-3 - الضريح:

يقع الضريح في الجهة الجنوبية الغربية من المسجد الجديد بالزوايا، ويتجه مدخله ناحية الجنوب، ندخل إلى صحن يتقدم الضريح عبر مدخل له باب خشبي ذو مصراعين، ثم نجد مدخلاً آخر له باب خشبي كذلك، يُفضي هذا المدخل إلى سقيفة تتقدم الضريح عرضها بين 1.80م و 2م وطولها 09م وهي التي فتحت بها مدخل غرفة الضريح، بالإضافة إلى سقيفة أخرى إلى جهة اليمين بها مساطب متقابلة للجلوس على امتداد جداريها يفصل بين هذه المساطب أعمدة مربعة الشكل تحمل عقوداً نصف دائرية تعلوها أربع قباب نصف دائرية، كذلك هو الحال بالنسبة للسقيفة الأولى التي بها مدخل غرفة الضريح غير أنها تخلو من المساطب وبها ثلاث قباب فقط، كما نجد بهذا الرواق بعض

الفتحات الصّغيرة (كوات) مخصّصة لوضع الشموع أو أغراض أخرى تستعمل في طقوس الزيارة للضريح. (لوحة 18)



صورة 2: الرواق الجانبي الأيمن



صورة 1: الباب المؤدي إلى السقيفة



صورة 5: كوة



صورة 4: قبة بالرواق

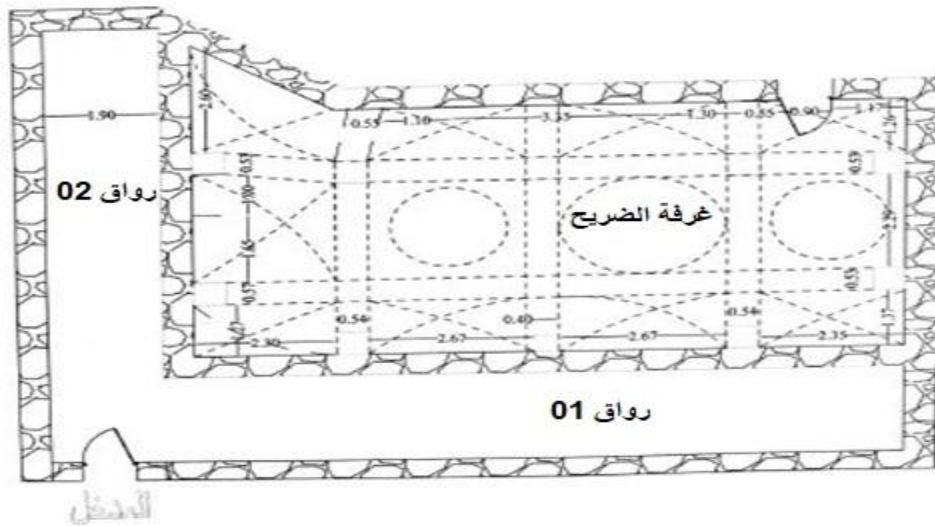


صورة 3: الرواق الذي به مدخل الضريح

لوحة 18: المحيط الخارجي للضريح

أمّا مدخل غرفة الضريح فعرضه 01م وارتفاعه 2م له باب خشبي به زخارف هندسيّة وينتهي بعقد نصف دائري أصم على واجهة العقد بلاطات خزفية ذات زخارف نباتية، كما وُضعت في وسط واجهة العقد تربيعة زخرفة من البلاطات الخزفية، يفضي هذا المدخل إلى غرفة الضريح التي تُمثّل تحفة عمرانية رائعة لما يحتويه من زخارف

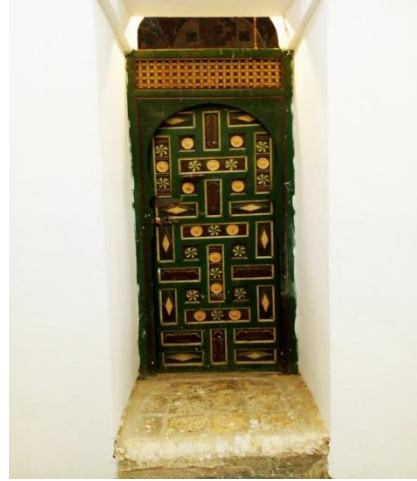
هندسية ونباتية وكتابية، يتكوّن الضريح من أجزاء متكاملة هي وسط الضريح أين يوجد المدفن والأروقة الجانبية المكوّنة لهذا الوسط، إذ نجد مجموعة من الأعمدة المُجمّعة كلّ أربعة من الأعمدة ضُمَّت إلى بعضها لتحمل ثقل جهة معينة فكوّنت وسط الضريح الذي سُفّف بقبة مركزية حُمِلت على عقود نصف دائرية، هذا الوسط شكّل فراغًا بين الأعمدة والجدران عرضه 1.20م من الجهات الأربعة، كما سُفّفت الأروقة الجانبية بطريقة التقبيب عدا ما يلي القبة المركزية وما قبلها فهي قباب صغيرة، كما كُسيّت القبة المركزية ببلاطات خزفية مزخرفة بزخارف نباتية شكّلت طبقا زخرفيا هندسياً كما زُخرفت كلّ الحنايا الركنية بالبلاطات الخزفية، وفُتحت بأعلى الجدران نوافذ للتهوية والإضاءة وهي ثلاث نوافذ، بالإضافة إلى وجود خزانتي جداريتين في أقصى الجدار الشمالي للضريح كلّ خزانة منها عرضها 0.80م وارتفاعها 1م وعمقها 0.70م، وعن مقاسات الضريح فعرضه 07م وعمقه 11.20م. (مخطط 9) (لوحة 19)



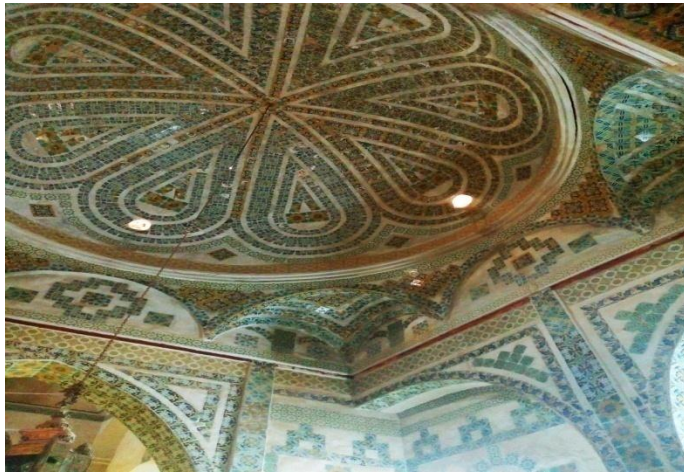
مخطط 9: مخطط ضريح الزاوية المختارية (عن مكتب الدراسات شريف دحماني - الجلفة - بطلب من الطالب)



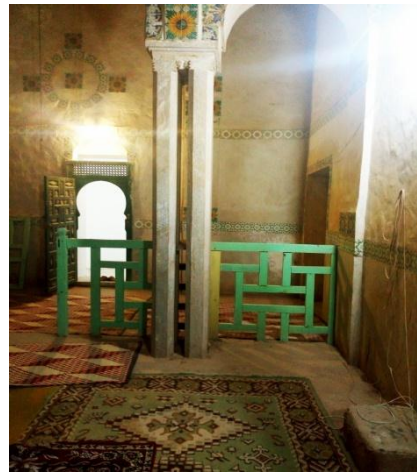
صورة 2: غرفة الضريح



صورة 1: مدخل الضريح



صورة 4: قبة الضريح



صورة 3: جانب الضريح



صورة 6: خزانتي جداريتين



صورة 5: نافذة بالضريح

لوحة 19: غرفة الضريح

## 1-5-4 - غرف الطلبة:

تقع بيوت الطلبة بالزواوية المختاربية إلى الجهة الشماليّة من المسجد الجديد وقد رُمّم الطّابق العلوي من غرف الطلبة وجُدّد هذا الطّابق، أمّا الغرف بالطّابق الأرضي فهي خمس غرف مقابلة للجدار الشمالي للمسجد مقاساتها مختلفة تتراوح بين 4م/4م و 4م/6م، ويوجد ببعضها عقود نصف دائرية أمّا تسقيفها فلا زال الأصلي وجُدّد ما فوقه كأرضيّة للطّابق العلوي، كما توجد ثلاث غرف أخرى تقابل الجدار الشرقي للمسجد يتقدّم هذه الغرف رواق مسقّف عرضه حوالي 2م، يقوم سقفه على مجموعة من الأعمدة الأسطوانية.



صورة 2: غرفة صغيرة



صورة 1: غرفة كبيرة



صورة 2: رواق يتقدم الغرف

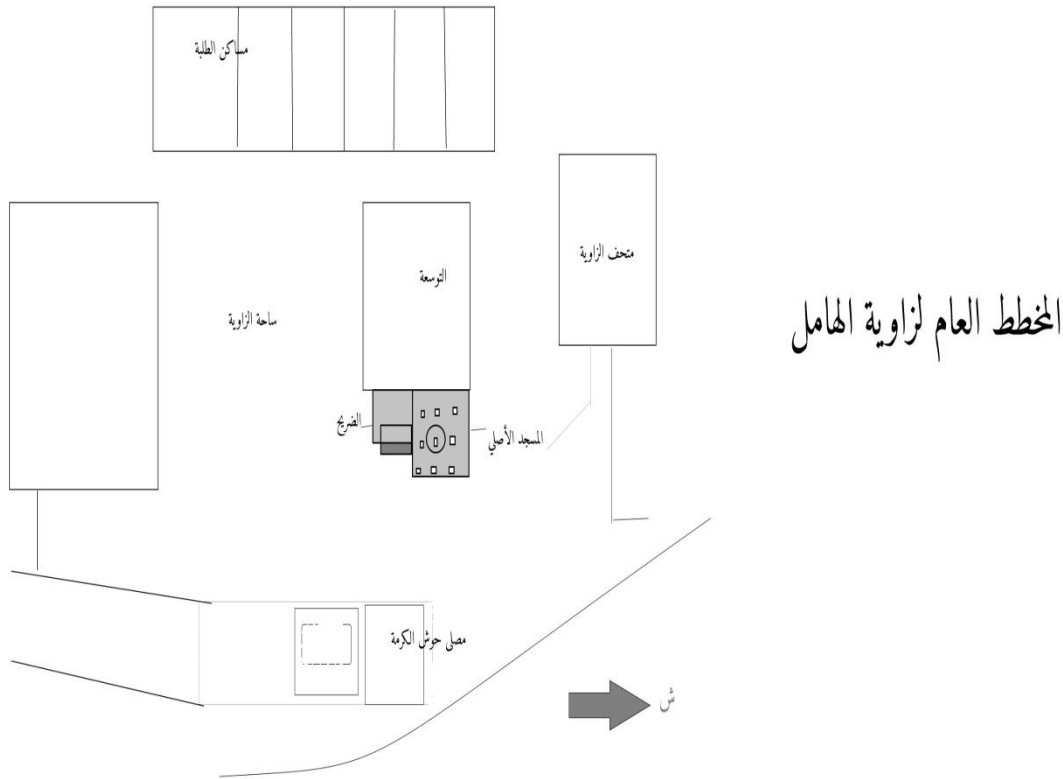


صورة 1: تسقيف الغرف

لوحة 20: غرف الطلبة بالزواوية المختاربية

## 1-6- زاوية الهامل:

تترع زاوية الهامل على مساحة كبيرة تقدر بحوالي 15000م<sup>2</sup> تأخذ شكلاً مستطيلاً عمقه من الشمال إلى الجنوب، ويحتوي هذا المجمع العلمي على جميع المرافق الضرورية للحياة التعليمية في جو منعزل عن العالم الخارجي لما توفر من هياكل بها، إذ تحتوي على المسجد الذي يتوسط هذه المرافق ويُعتبر نواته، إلى جانبه ناحية الجنوب نجد ضريح الشيخ محمد بن أبي القاسم، وفي الجهة الشمالية الشرقية للمسجد توجد دار للضيافة المكونة من طابقين ذات مدخل باتجاه الساحة التي تتقدم المسجد نجدها ناحية اليمين عند دخولنا حرم الزاوية، ومساكن الطلبة ناحية الغرب من المسجد، ومساكن عائلات الشيخ، وسنتطرق بالتفصيل لدراسة هذه الوحدات على النحو التالي، (مخطط10):



مخطط 10: زاوية الهامل

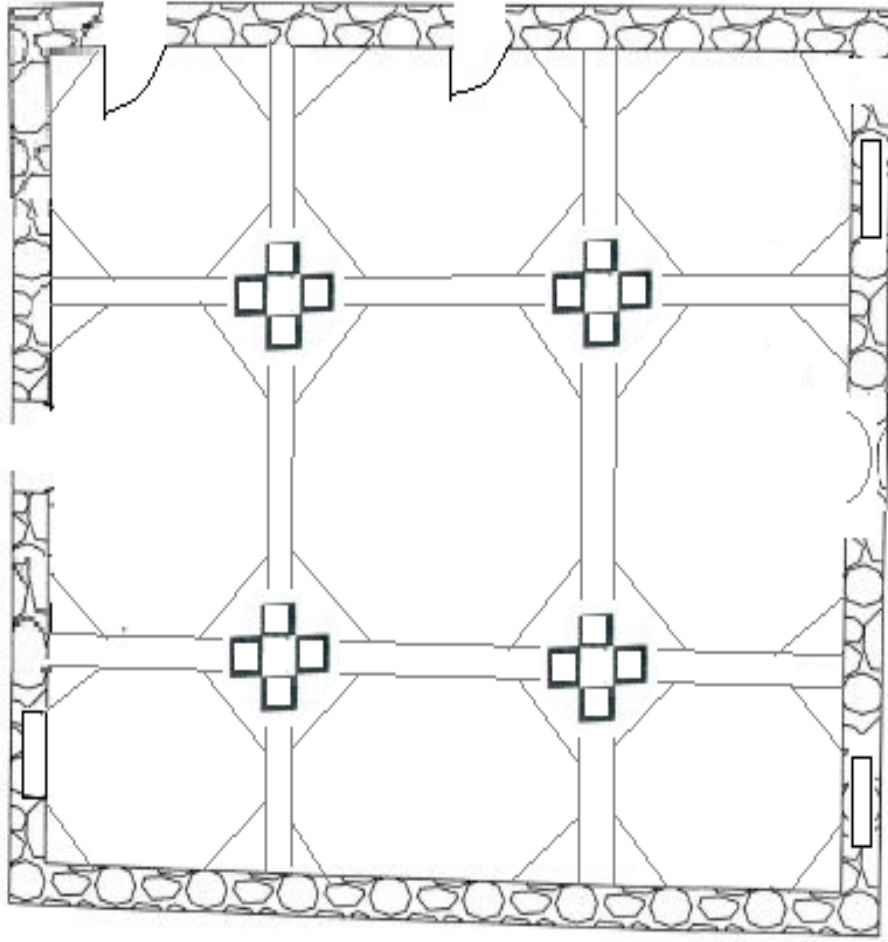


صورة 1: الواجهة الشمالية زاوية الهامل

### 1-6-1 - المسجد:

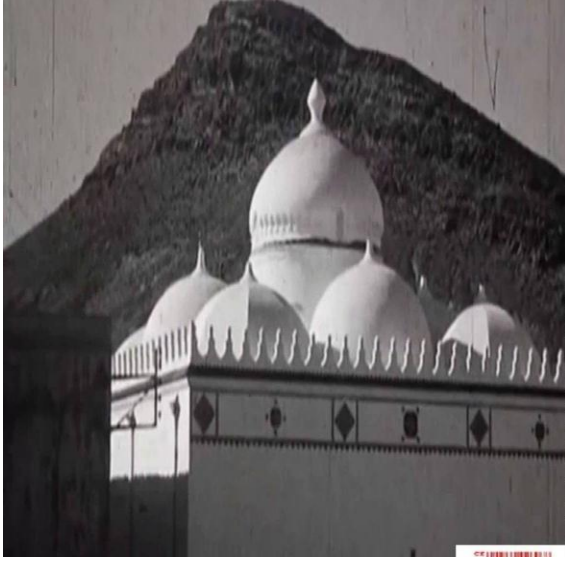
يأخذ المسجد شكلاً مربعاً إذ تبلغ المسافة بين الجدار الشمالي والجنوبي 15.80م والمسافة بين الجدار الشرقي والغربي 15.70م، يترجع على مساحة 248.06م<sup>2</sup> تعتبر الواجهة الشمالية للمسجد هي الواجهة الرئيسية و يبلغ ارتفاع الجدران الخارجية للمسجد 05م وتنتهي بشرفات مستننة عددها 24 في الجدار الرئيسي في القسم الأصلي للمسجد، وفي أعلى الواجهة الرئيسية تظهر لنا مُعِينَات من البلاطات الخزفية بين شريطين زُخرفيين أيضاً من البلاطات، وتظهر لنا أيضاً قباب المسجد خاصة القبة المركزية لِكِبَر حجمها وكونها تقوم على رقبة بارتفاع 1م زادها علواً مقارنة مع باقي القباب التي اختلف شكلها بين الكروي الأملس والمُضَلَع وهي 9قباب، وهي متناسقة مع كتلة المبنى عامّة، يتوسّط الواجهة الرئيسيّة مدخل عرضه 1.35م وأقصى ارتفاع عند نهاية العقد 2.88م ينتهي بعقد نصف دائري ويحيط به شريطين من البلاطات الخزفية ذات زخارف نباتية

وهندسيّة، وعلى جانبي المدخل توجد نافذتين عرض الواحدة منها 1.10م وارتفاعها 0.75م تنتهي بعقد نصف دائري ويحيط بهما شريط من البلاطات الخزفيّة ذات الزخارف النباتية. أمّا الجدار الشرقي للمسجد فنجد به نافذتين كبيرتين كلّ واحدة منهما يقسمها عمود حلزوني إلى نصفين متساويين ينتهي كلّ نصف بعقد نصف دائري متجاوز، وتعلو كلّ نافذة منهما شمسيّة مخرّمة مصنوعة من الجصّ، وفي أعلى هذا الجدار نجد زخرفة على شكل تشبيكات خزفيّة مُشكّلة مجموعة من المعينات المتتالية وأعلى هذه الزخارف يوجد إفريز من القرميد أخضر اللون لينتهي الجدار بمجموعة من الشُرّافات كالتالي بجداره الشمالي.

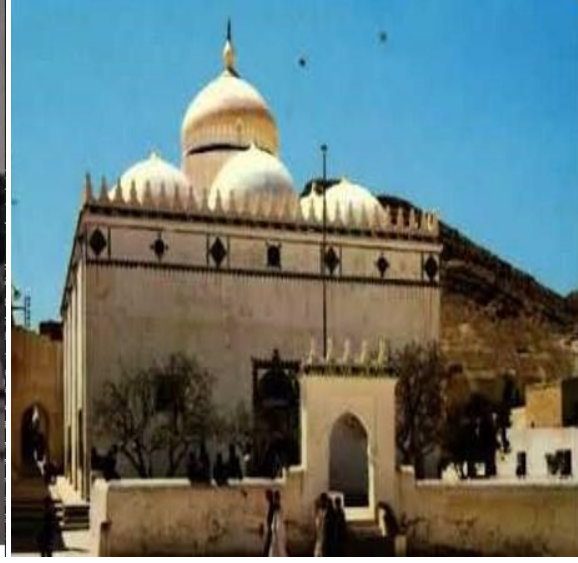


مخطط 11: مسجد زاوية الهامل

وكما سبق وأشرنا أنّ المسجد يحده من النّاحية الجنوبيّة الضّريح ومن النّاحية الغربيّة أحدثت له توسعة، ويخلو المسجد من المئذنة. (لوحة 21)



صورة 2: قباب المسجد



صورة 1: الواجهة الرئيسية للمسجد



صورة 4: المدخل الرئيسي للمسجد



صورة 3: الضريح

لوحة 21: المحيط الخارجي لمسجد زاوية الهامل

أمّا عن محيطه الداخلي فعند دخولنا من المدخل الوحيد للمسجد نجد بيت الصلاة التي تتكوّن من ثلاث أسايب أضيّقها الأسكوب الأوسط الذي يُفضي إليه المدخل، ويبلغ

عرض هذا الأخير 3.80م أمّا الأسكويان الأوّل والثالث فهما متساويان ويبلغ عرض كلّ واحد منهما 4.30م، وكذلك هو الحال بالنسبة للبلاطات فأضيقتها البلاطة الوسطى أي التي بها محراب المسجد يبلغ عرضها 3.85م أمّا البلاطتان الجانبيتان فيبلغ عرض الواحدة منها 4.10م.

وتبلغ المساحة الإجمالية لبيت الصلّاة 248م<sup>2</sup> منتظمة في توزيعها حيث يتساوى العُرض والعُمق وما يميّزها هو تجميع الأعمدة، ففي كلّ نقطة ارتكاز نجد أربعة من الأعمدة تقوم على قواعد مربعة وتنتهي بتيجان بسيطة تقوم عليها مجموعة من العقود التي يغلب عليها العقد النّصف دائري المتجاوز.

وعن فتحات التّهوية والإضاءة بالمسجد فنجد بجدار القبلة نافذتين كبيرتين للتّهوية والإضاءة تتكوّن كلّ نافذة من جزأين وتعلو كل نافذة شمسيّة مُخرّمة منجزة بإتقان مقاسات كلّ نافذة 1.10م/0.90م بالإضافة إلى نافذتين صغيرتين في الجدار الشّمالي على جانبي المدخل والتي تنتهي بعقد مفلطح. (لوحة 22)



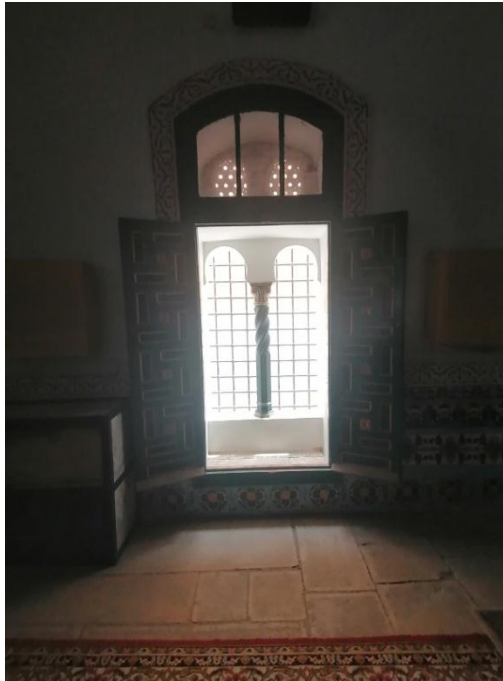
صورة 1: بيتا الصلاة بمسجد زاوية الهامل



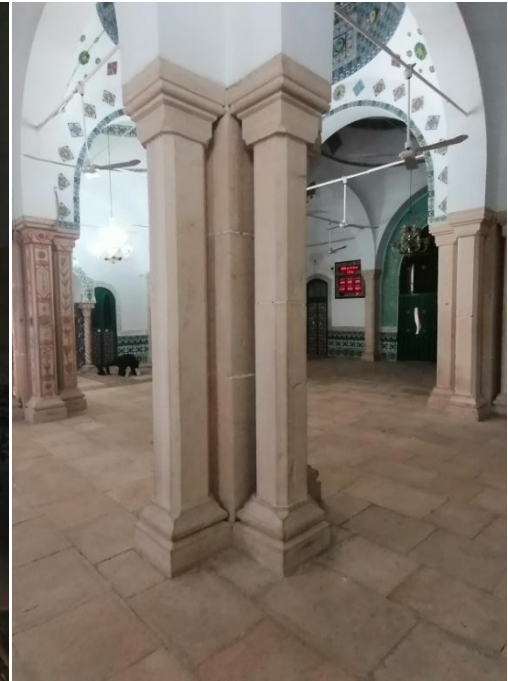
صورة 2: الباطة الوسطى



صورة 1: العقود ببيت الصلاة



صورة 4: نافذة بجدار القبلة



صورة 3: الأعمدة ببيت الصلاة

لوحة 22: بيت الصلاة

## 1-6-2- الضريح:

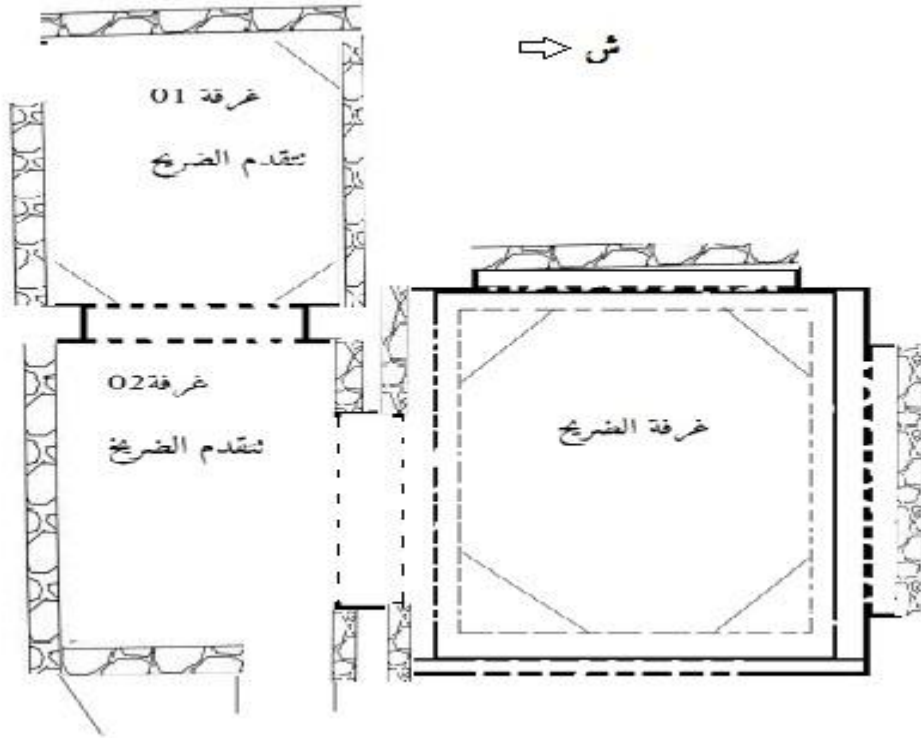
كما أشرنا سابقاً فإنَّ ضريح زاوية الهامل يقع جنوب المسجد ويشترك معه في الجدار الجنوبي، له مدخل رئيسي في جداره الشرقي مُتَّجِه نحو القبلة وتوجيهه هذا يحمل دلالة على الفكر الصّوفي، نلج من هذا المدخل عبر درجتين أسفل المدخل يبلغ ارتفاع كلُّ منهما 0.20م إلى غرفة تتقدّم غرفة الضريح وهي مربعة الشكل عرضها 3م مُسَقَّفة بواسطة قبة نصف كروية عليها زخارف كتابية وهندسية ونباتية فُتحت بها مجموعة من الشَّمسيات للتهوية والإضاءة وهي قبة حديثة، وعلى اليمين نجد مدخلاً مقاساته 2م/3.20م ينتهي بعقد نصف دائري عليه زخارف نباتية، هذا المدخل يحيلنا إلى سقيفة عرضها 2م تتقدم الضريح لنجد الغرفة الخاصة بالمدفن مقاساتها 4.10/4.20م يحتوي كلَّ جدار من جدرانها عقد نصف دائري متجاوزاًصم.



صورة2: غرفة الضريح

صورة1: رواق يتقدم الضريح

لوحة23: الضريح بزواوية الهامل



مخطط 12: مخطط الضريح بزوايا الهامل

### 1-6-3- دار الضيافة:

تقع دار الضيافة بزوايا الهامل في الجهة الشرقية للمسجد يفصلها عنه ممر عرضه حوالي ثلاثة أمتار، وهي عبارة عن مبنى يتكوّن من طابقين، واجهتها الشمالية تحتوي على أربع نوافذ موجهة للخارج بالطابق العلوي، مقاسات النوافذ 1.20م/م، وواجهتها الشرقية تقابل المقبرة بها نافذتين في الطابق السفلي وتظهر لنا حجارة البناء جليّة، وواجهتها الغربية بها نافذتين على جانبي المبنى يتوسطهما الباب الرئيسي والوحيد لدار الضيافة، تتقدّمه درجتين من الحجارة طول كلّ منهما 1.40م وارتفاعها 0.20م.

نلج إلى دار الضيافة عبر المدخل الرئيسي الذي يبلغ عرضه 1.40م وارتفاعه 2م يفضي بنا إلى صحن مكشوف مرّع الشكل تقريبا مقاساته 8م/8.20م وتحيط به الغرف، على اليمين به غرفة صغيرة استعملت كمخزن، تليها ثلاث غرف متساوية المقاسات

مقاسات كل منها 3م/3م لكلِّ غُرْفَة منها مدخل واحد مقاساته 1.10م/1.90م، ويكل منها نافذة مقاساتها 0.90م/ 1م وتقابل المدخل الرئيسي غرفة أخرى واسعة لها مدخل عرضه 1.10م ينتهي بعقد حدي، إلى جانبها غرفة أخرى مساوية لها مقاساتها 6م/4م، وإلى الجهة الشماليّة من الصّحن نجد غرفة واسعة ما يميّزها عن بقية الغرف هو طريقة تسقيفها فقد سُقِّت بطريقة التّقيب، وعلى يسار المدخل الرئيسي نجد السّلم الذي يتكوّن من 14 درجة، طول كلّ وحدة منها 1م وارتفاع كل درجة 0.20م يفضي إلى الطّابق العلوي الذي نجده مقاربا للطّابق الأرضي في التّخطيط وبنفس المقاسات تقريباً، وقد استعملت الغرفة الأولى التي تلي مباشرة السّلم كمكتبة وهي غرفة تبلغ 6م/4م، وألحقت بها غرفة أخرى كمخزن لها بالإضافة إلى طريقة تسقيفها فهي أيضاً مُسَقَّفة بنظام التّقيب والغرفتين متميّزتين عن باقي الغرف، ربما كانتا للضيوف الخواص، أمّا الأبواب في الغرف فهي كلّها ذات مصراع واحد.



صورة 1: دار الضيافة

## 1-6-4- بيوت عائلات الشيخ:

لاحظنا خلال زيارتنا لزوايا الهامل أنّ أغلب بيوت عائلات شيخ الزاوية مغلقة من طرف أصحابها، ومنها بيت تُستغلّ من طرف الطلبة لإقامتهم ومن خلالها يمكننا أخذ نظرة عن هذه البيوت.

تميّزت هذه البيوت بزوايا الهامل بالبساطة في مظهرها الخارجي خالية من أيّة مميّزات أو إشارات، كما تخلو من النوافذ الخارجية إلا نادرا ما تظهر بعض الفتحات الصّغيرة في أعلى الجدران وكذلك بعض فتحات الميازيب التي تظهر من حين لآخر.

يقع البيت نموذج الدّراسة في الجهة الجنوبيّة الشرّقية للمسجد وقد وُجّه بابه نحو الغرب، وهو يتكوّن من طابقين واجهته مبنية بالحجارة المتوسطة الحجم، أمّا مدخله الرّئيسي والوحيد فيتكوّن من مصراعين من مادّة الخشب ويعلوه عقد نصف دائري، أمّا مقاساته فعرضه 1.90م وارتفاعه 2م، يفضي إلى سقيفة واسعة بها مدخلان لغرفتين ومقاسات السقيفة 3.50م/5م وبها مدخل ثالث يفضي إلى صحن مكشوف مقاساته 6م/7م وتحيط به ستّة غرف متساوية المقاسات، والملاحظ في هذا البيت أنّ الطابق السّفلي أقلّ مستوى من الشّارع الذي به المدخل الرّئيسي فقد بني فوق مرتفع، تبلغ مقاسات غرف الطابق الأرضي 6م/3م وهي متقاربة تمامًا لكلّ منهما مدخل واحد بمصراع واحد، ثمّ نجد السُّلم وهو حديث، تعرّضت هذه الدّار إلى بعض التّرميمات التي مسّت أجزاءً منه، والطابق العلوي يتكوّن من ثلاثة عُرف على الجهة الجنوبيّة وثلاثة غرف على الجهة الشرّقية مقاساتها بين 3م/5م، والملاحظ في هذا البيت الذي يشبه البيت الذي سبق ذكره وهما متقاربان في التّخطيط والمقاسات، وتوجد بالطابق الأرضي غرفة على يسار السُّلم بها كوّات ومدخنة بسيطة كانت تستعمل كمطبخ، أمّا تسقيف هذه

البيوت فهو من الخشب والقصب والملاط والذي سنتطرق إليه بالتفصيل في الفصل القادم.

### ثالثاً: العناصر المعمارية بالزوايا المدروسة

العناصر المعمارية هي كلّ جزئيات التكوين المعماري للوحدة البنائية المستقلة أو المتلاحمة مع غيرها من الوحدات، منها العناصر الضرورية التي لا يمكن الإستغناء عنها أي أنّها وظيفيّة بحتة، ومنها ما تكون جماليّة، ومنها التي تجمع بينهما، غير أنّ العناصر المعمارية في العمارة الإسلاميّة المبكّرة كانت في غنى عن الجمالية وركّزت على الوظيفية، بالإضافة إلى العامل الجغرافي الذي يتحكّم بصفة مباشرة في كلّ العناصر البنائية، غير أنّه ومع توسّع الرقعة الإسلامية وامتزاج العديد من الثقافات تحت راية الإسلام، بدأت تظهر بعض العناصر المعمارية المنجزة بإتقان تؤدّي دوراً وظيفياً وجمالياً.

#### 1-المدخل

المدخل هو الفتحة الظاهرة في أحد جدران البيت أو المسجد أو القصر و نحو ذلك بدايتها من الأرضية الخارجية أو يصعد إليها بواسطة سلم حجري، و من خلاله يتمّ الولوج إلى الداخل وكذلك يخرج منه. و قد تميزت مداخل الأبنية العامة و القصور في العمارة الإسلامية بضخامتها و غالباً ما ارتفعت أطرافها و عقودها و حناياها الغائرة المحرابية الشكل حتى بلغت علو جدران الواجهة و ربما جاوزتها ارتفاعاً، و قد استعملت في زخارفها جميع العناصر المعمارية الإسلامية و فنونها كقفرات الأقواس الملونة و المتداخلة و الفسيفساء و الرخام و الحليات الحجرية و الجصية و الخزف و بشكل خاص المقرنصات و المتدليات.<sup>1</sup>

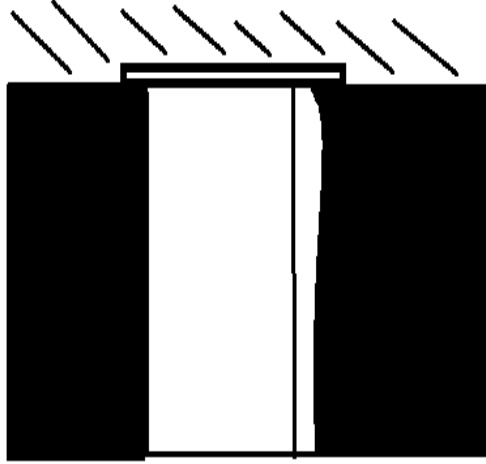
<sup>1</sup> يحيى وزيري، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، مكتبة مدبولي، 1999، ص 11

## 1-1- مداخل زاوية قرومة

تميّزت مداخل زاوية قرومة بالبساطة في البناء بداية من المدخل الرئيسي وهو المدخل الوحيد إلى الزاوية حيث يخلو من أية زخرفة عدى الشريط من القرميد الذي يعلو الجدار الخارجي للواجهة الرئيسية للزاوية، ومنه مباشرة ندخل إلى الصحن المكشوف للزاوية دون وجود أي رواق أو مدخل منكسر، وعن مقاسات المداخل فنبينها في الجدول التالي: (لوحة 24)

جدول 10: يبيّن مقاسات مداخل زاوية قرومة

المدخل	م الرئيسي	المدخل الأول للمسجد	المدخل الثاني للمسجد	مدخل الضريح	مدخل بيوت الطلبة	مدخل المخزن
العرض	1.10م	0.96م	0.94م	0.90م	0.75م 0.92م	0.90م
الإرتفاع	1.82م	1.70م	1.83م	1.95م	1.80م 1.78م	1.70م
ملاحظات	بسيط	بسيط	بسيط	بسيط	بسيط	تتقدمه عتبة



شكل 1: مدخل زاوية قرومة



صورة 1: المدخل الرئيسي لزاوية قرومة



صورة رقم: مدخل بيت الطلبة



صورة رقم: مدخل الضريح

## لوحة 24: مداخل زاوية قرومة

### 1-2- مداخل زاوية سيدي يعقوب

تميّزت مداخل زاوية سيدي يعقوب بالتنوّع والإختلاف في المقاسات، كما لاحظنا أنّها متواجدة بكثرة خاصّة في المسجد الذي يحوي أربعة مداخل منها المدخل الرئيسي وهو مدخل مزدوج بين الأول والثاني 1م وهما متوازيان بالإضافة إلى الباب في الجدار الغربي الذي يتقدّمه سُلّم حجري، بالإضافة إلى مدخلين في الجدار الشمالي يُفضيان إلى سقيفة جانبية، هذه السقيفة بها مدخلين أحدهما في الجدار الشرقي والآخر في الجدار الشمالي يُفضي إلى الصّحن، أمّا الضريح فله مدخل وحيد، بالإضافة إلى مدخل المئذنة ونجد أسفله مدخل الخلوة، أما عن مقاسات المداخل فبيّنها الجدول التالي:(لوحة 25-26)

#### جدول 11: بيّن مقاسات مداخل زاوية سيدي يعقوب

المدخل	مدخل المسجد	المدخل الغربي	مدخل بيت الصلاة	مدخل بين السقيفة وبيت الصلاة	مدخل لسقيفة	مدخل الضريح	مدخل المئذنة
العرض	1.40م	1.80م	0.70م	0.90	1.20	0.90م	1م
الارتفاع	2م	2م	1.90م	2م	2م	2م	1.90م
ملاحظات	ينتهي بعقد نصف دائري متجاوز	ينتهي بعقد نصف دائري متجاوز	ينتهي بعقد حدوي	بسيط	ينتهي بعقد نصف دائري	بسيط	بسيط



صورة2: المدخل المباشر لبيت الصلاة



صورة1: المدخر الرئيسي للمسجد



صورة4: مدخل بين السقيفة والمسجد



صورة3: المدخل الغربي بالمسجد

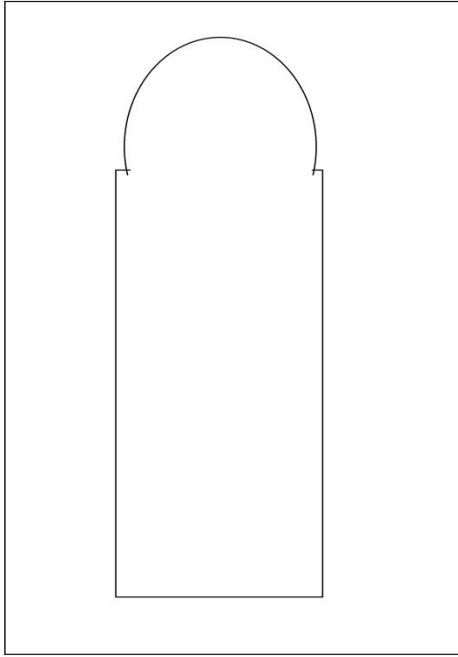


صورة6: مدخل المئذنة

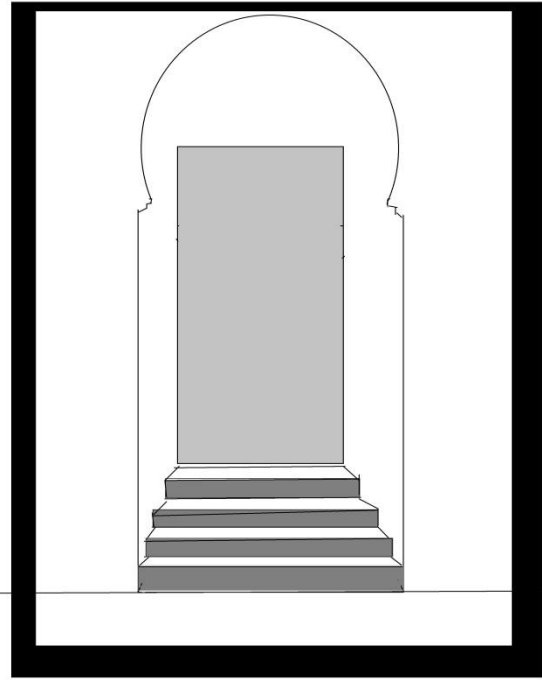


صورة5: مدخل السقيفة

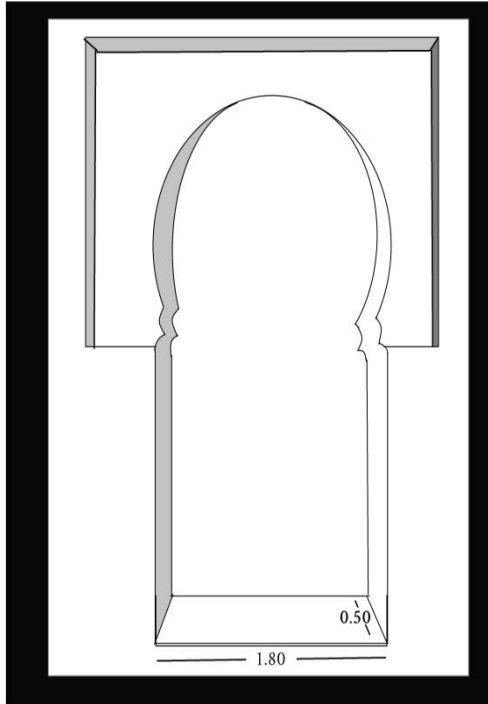
لوحة 25: المداخل بزوايا سيدي يعقوب



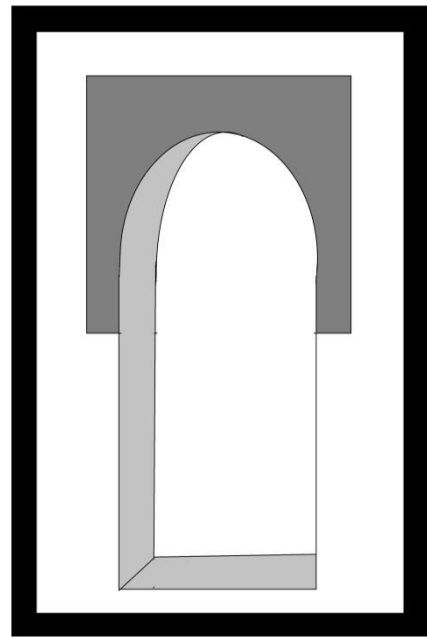
شكل 2: مدخل بيت الصلاة



شكل 1: المدخل الغربي للمسجد



شكل: مدخل السقيفة



شكل: المدخل الشرقي للمسجد

لوحة 26: أشكال المداخل بزوايا سيدي يعقوب

### 1-3- مداخل زاوية المغيلي

جاءت المداخل في مسجد الشيخ المغيلي بسيطة جدا متناسبة مع المعلم وكذلك كون المبنى في منطقة صحراوية تفرض الكثير من الشروط في البناء وفي توجيه المداخل وفتحات التهوية والنوافذ، والجدول التالي يبين مقاسات المداخل:

جدول 12: يبين مقاسات مداخل مسجد المغيلي

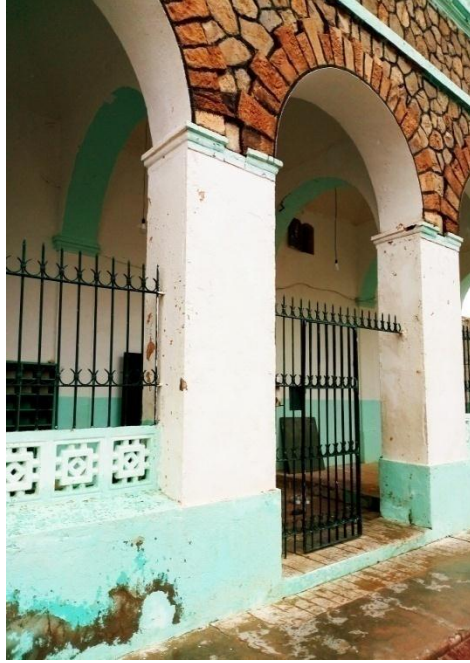
المدخل	المدخل الرئيسي	مدخل بيت الصلاة	م المصلى الصيفي	مدخل الخلوة
العرض	0.75م	0.70م	0.78م	0.72م
الارتفاع	1.75م	1.75م	1.78م	1.78م
ملاحظات	بسيط	ينتهي بعقد نصف دائري	ينتهي بعقد	بسيط

### 1-4- مداخل زاوية عين أقلال

لزاوية عين أقلال مدخل كبير يدخل منه إلى المساحة التي تجتمع حولها العمائر الخاصة بالزاوية وهو منحصر بين جدار بيوت الطلبة وهي جديدة وجدار المضافة وهي بناية جديدة كذلك، غير أن المداخل الأصلية هي الموجودة بالمسجد وهي مبينة في الجدول التالي: (لوحة 27)

جدول 13: يبين مقاسات مداخل زاوية عين أقلال

المدخل	م المسجد	م بيت الصلاة	م الضريح	م المنذنة
العرض	2.40م	1.60م	0.80م	0.80م
الارتفاع	3.90م	2.70م	2م	2م
ملاحظات	ينتهي بعقد نصف دائري	ينتهي بعقد مدبب منفرج	ينتهي بعقد مدبب	ينتهي بعقد مدبب



صورة 02: مدخل بيت الصلاة



صورة 01: المدخل الخارجي



صورة 4: مدخل الضريح



صورة 3: مدخل المئذنة

لوحة 27: مداخل زاوية عين أقلال

1-5- مداخل الزاوية المختارية بأولاد جلال:

تتميز مداخل الزاوية المختارية بأولاد جلال بالتناسق مع المباني التي تحتويها، كما لاحظنا تعدد المداخل بالمبنى الواحد، وتميزت باحتوائها على زخارف نباتية أو هندسية أو عمائرية توهي تختلف من حيث المقاسات حسب كل مبنى، وجاءت المداخل بالزاوية المختارية حسب الجدول التالي: (لوحة)

جدول 14: يبين مقاسات مداخل زاوية عين أقلال

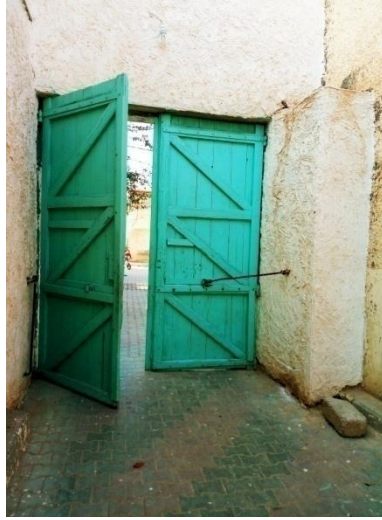
المدخل	م الجامع	م الأصلي	م المسجد	م المسجد	م سقيفة	م الضريح	م بيوت الطلبة
	القديم	للمسجد القديم	الجديد 01	الجديد 02	الضريح		
العرض	1.30م	1م	1.45م	1.67م	1.60م	1م	1م
الارتفاع	2م	1.92م	2م	2م	2م	2م	1.90م
ملاحظات	مستحدث	مغلق بالطوب ويعلوه عقد نصف دائري بارز	- ينتهي بعقد منفرج - عرضه من الداخل أكثر من الخارج	ينتهي بعقد نصف دائري	بسيط	ينتهي بعقد نصف دائري وعليه زخارف بالبلاطات الخزفية اعلا المدخل	اغلب المداخل لها نفس المقاسات وهي بسيطة



صورة2: المدخل الشرقي المسجد الجديد



صورة1: المدخل الاصلي للجامع القديم



صورة4: مدخل صحن الضريح



صورة3: مدخل سقيفة الضريح



صورة6: مدخل الضريح



صورة5: مدخل ثانوي بالضريح

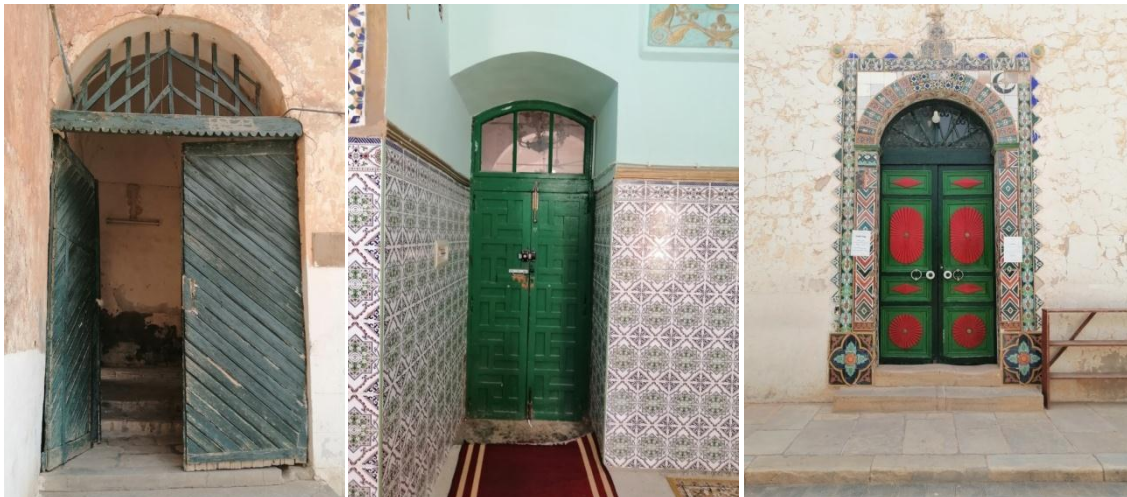
لوحة28: مداخل الزاوية المختارية

1-6- مداخل زاوية الهامل:

في زاوية الهامل جاءت كل مداخل المسجد منتهية بعقد نصف دائري أو مفلطح، ونجد المداخل الرئيسية في بيت عائلات الشيخ تنتهي بعقود نصف دائرية في غالبيتها، أما مداخل الغرف فهي بسيطة لا تحتوي على عقود أو زخارف، وعن مقاسات المداخل بالزاوية نوضحها في الجدول التالي: (لوحة 29)

جدول 15: يبين مقاسات مداخل زاوية الهامل

المدخل	مدخل المسجد	مدخل المضافة	المدخل الأصلي للضريح	المدخل المؤدي إلى مساكن عائلات الشيخ
العرض	1.35م	1.40م	1م	2.10م
الارتفاع	2.88	2م	2م	2.80م
ملاحظات	ينتهي بعقد نصف دائري	بسيط	ينتهي بعقد مفلطح	ينتهي بعقد نصف دائري



صورة 1: مدخل المسجد صورة 2: المدخل الأصلي للضريح صورة 3: مدخل حوش الكرمة

لوحة 29: مداخل زاوية الهامل

## 2- الأروقة:

الرّواق هو ذلك الفراغ المنحصر بين الصّحن والفضاء الخارجي، وهو في العمارة الدّينية غيره في العمارة المدنية خاصّة من حيث الوظيفة التي يقيم من أجلها، وعادة ما يكون مسقوفا وغالبا ما نجده في العمارة المدنية التي يكون فيها الصّحن متوسّطا للمسكن، وكذلك وجدناه في عمارة الزّوايا من خلال النّمادج المدروسة فكانت الأروقة كالتالي: (لوحة 30)

جدول 16: يبيّن مقاسات الأروقة بالزوايا المدروسة

الزاوية	موجود	منعدم	عرضه	مسقف	غير مسقف	عدد الأروقة
زاوية قرومة	/		1.90م	/		01
زاوية سيدي يعقوب	/		1.40م	/		01
زاوية المغيلي	/		1.65م	/		01
زاوية عين اقلال	/		2م	/		01
الزاوية المخطارية	/		1م	/		04
			3م	/		
			2.10م	/		
			بين 1.80م و 2م	/		



صورة2: عرض رواق زاوية قرومة



صورة1: رواق يتقدم مسجد قرومة



صورة4: رواق يتقدم مسجد عين اقلال



صورة3: رواق زاوية سيدي يعقوب



صورة6: رواق يتقدم القسم الثاني من غرف الطلبة



صورة5: رواق يتقدم القسم الاول من غرف الطلبة



صورة8: الرواق شمال الضريح



صورة7: الرواق الذي يتقدم مدخر غرفة الضريح

لوحة 30: الأروقة بالزوايا المدروسة

3- الصّحن:

يعتبر الصّحن من أهمّ العناصر المعماريّة في العمارة فهو الذي يؤدّي دور التّهوئة والإضاءة وتلطيف الجو، كما يستغلّ للأغراض اليومية في العمارة المدنية، ولا تكاد يخلو منه أيّ نوع من العمارة سواء المدنية أو الدّينية، وكذلك هو الحال بالنّسبة للزوايا، فهو يعتبر عنصراً أساسياً فيها، ويظهر ذلك جلياً من خلال النّماذج التي درسناها، غير أنّه يختلف عن الصّحن في العمارة المدنية، ففي الزوايا يتميّز بالإتساع وتوجّه له في الغالب مختلف الوحدات العمرانية للزّاوية، وجاء في الزوايا المدروسة كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول 17: يبيّن مقاسات الصّحن بالزوايا المدروسة

الزاوية	الصحن	أقصى ط	أقصى ع	منتظم	غ منتظم	العدد	مكان الصحن
قرومة	/	20.80م	16م		/	01	وسط الزاوية
س يعقوب	/	11م	1.80م		/	02	شمال الزاوية
المغلي	/	16.68م	3.60م		/	01	جنوب المسجد
ع اقلال	/	يفوق 30م	يفوق 20م		/	متعدد	وسط الزاوية
أ جلال	/	23م	8م	/		01	يتوسط الزاوية
		24م	7م				منكسر
الهامل	/	يفوق 30م	يفوق 25م	/		متعدد	شمال الزاوية
		8.80م	8م				وسط الضيافة
		7م	6م				وسط المسكن

4- المآذن:

لاحظنا من خلال الزيارات الميدانية للعديد من الزوايا والتي من بينها الزوايا المدروسة أنّ الكثير من الزوايا تخلو مساجدها من المآذن وهذا راجع ربما إلى وظيفتها التعليمية الخالصة إلا إذا كان مسجد الزاوية هو المسجد الجامع، هذا بالإضافة إلى أنّ الكثير من الزوايا كانت تتولى الوظيفة الحربية ولو نسبيا فكانت مظاهرها لا توحى بتلك الوظيفة، وقد جاءت المآذن في الزوايا المدروسة كما هو مبين في الجدول التالي: (لوحة 31)

جدول 18: يبيّن تواجد المآذن بالزوايا المدروسة

الزاوية	موجودة	الشكل	الزخرفة	الارتفاع	الجوسق	السلم
					يوجد	
قرومة	x					
س يعقوب	/	مربعة	x	16.60م	/	داخل المئذنة
المغلي	x					
ع اقلال	/	مربعة	/	18م	/	داخل المئذنة
أ جلال	/					
	حديثة					
الهامل	x					

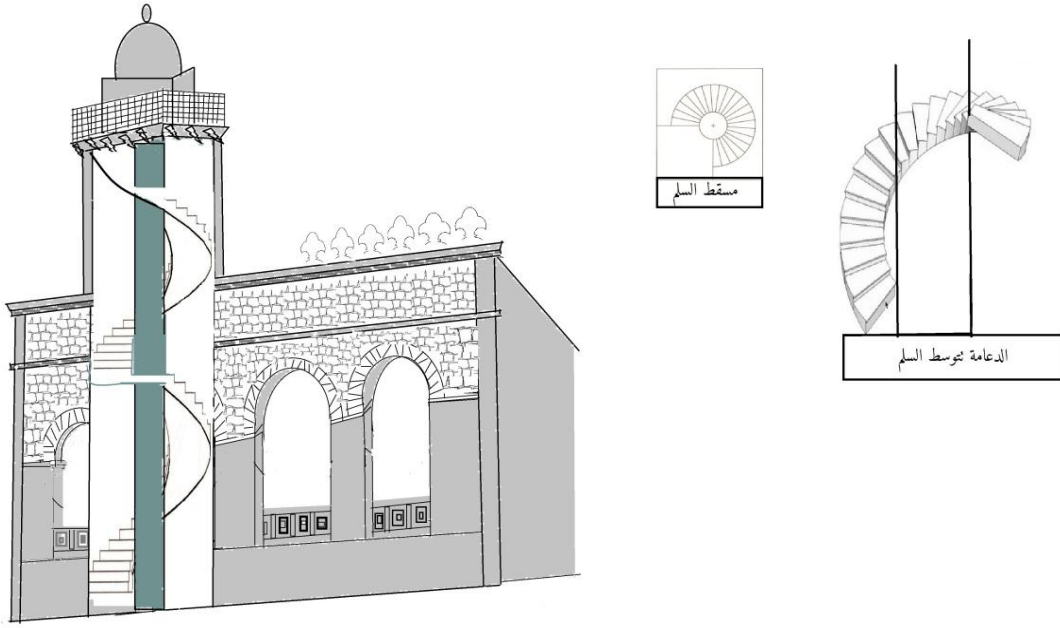


صورة: منئنة مسجد عين اقلال صورة: جوسق منئنة مسجد عين اقلال

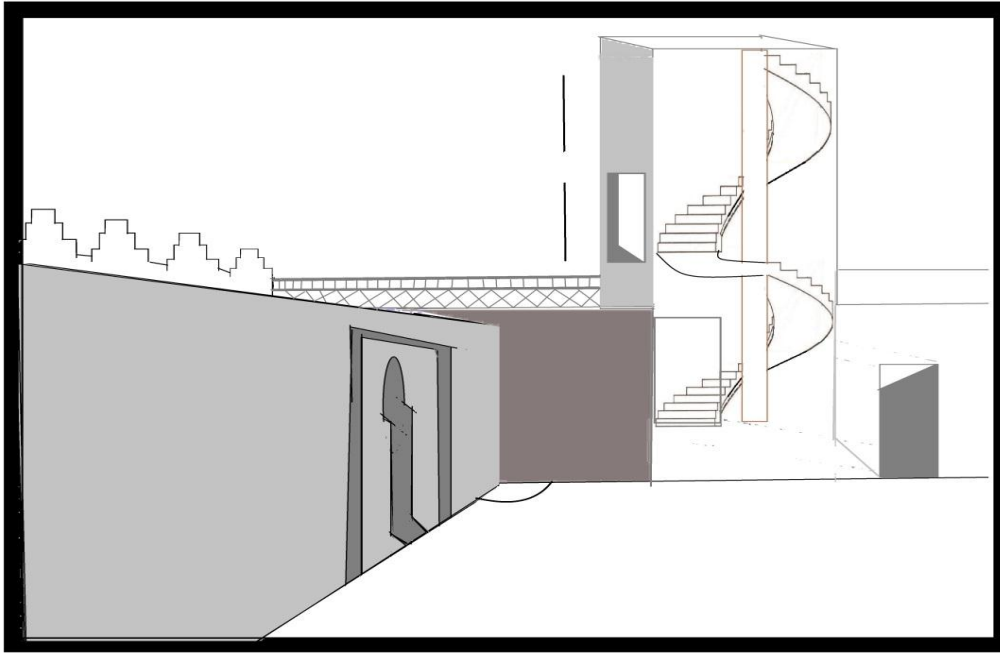


صورة: منئنة سيدي يعقوبصورة: جوسق منئنة سيدي يعقوب

لوحة 31: المآذن بالزوايا المدروسة



شكل 1: مئذنة زاوية عين اقلال



شكل 2: مئذنة جامع سيدي يعقوب

لوحة 32: أشكال السلم في المآذن

5- المحاريب

جاءت المحاريب مختلفة في الزوايا المدروسة، لكن لا يخلو مسجد من المحراب ،  
ووجدنا الإختلاف من حيث طريقة بنائه وإتقانه ومن حيث شكله ومقاساته، وهي مبينة في  
الجدول التالي: (لوحة 33)

جدول 19: يبين المحاريب بالزوايا المدروسة

المسقط	منتظم	الزخرفة	العرض	العمق	أقصى ارتفاع	
نصف دائري	X	X	1.10م	0.97م	2.10م	محراب مسجد قرومة
خماسي	/	ينتهي بعقد متجاوز	1.10م	1.28م	2.60م	محراب مسجد سيدي يعقوب
نصف دائري	X	ينتهي بعقد نصف دائري	0.82م	0.55م	2.10م	محراب مسجد المغربي
مستطيل	/	ينتهي بعقد منكسر	1.12م	0.60م	2.60م	محراب مسجد عين اقلال
القديم نصف دائري	/	ينتهي بعقد متجاوز	1.40م	0.30م	1.75م	محراب مسجد الزاوية
الجديد نصف دائري	/	ينتهي بعقد متجاوز	1.40م	0.80م	1.95م	المختارية
نصف دائري	/	ينتهي بعقد	1.20م	1.24م	2.10م	محراب زاوية الهامل



صورة 1: محراب زاوية قرومة صورة 2: محراب مسجد المغيليصورة 3: محراب مسجد سيدي يعقوب



صورة 4: محراب المسجد القديم صورة 5: محراب المسجد الجديدصورة 6: محراب مسجد عين اقلال



صورة 7: محراب مسجد زاوية الهامل

لوحة 33: المحاريب بالزوايا المدروسة

6- وسائل الدعم

6-1- الدعامات

تعتبر الدعامات عنصراً معمارياً في حمل ثقل السقف، وتختلف أشكالها وأحجامها ومواقعها من مبنى لآخر، كما أنّ المنطقة الجغرافية أيضاً لها تأثيرها على حجمها ومادتها، وقد جاءت الدعامات في الزوايا المدروسة كما يوضّح الجدول التالي: (لوحة 34)

جدول 20: يبين استعمال الدعامات بالزوايا المدروسة

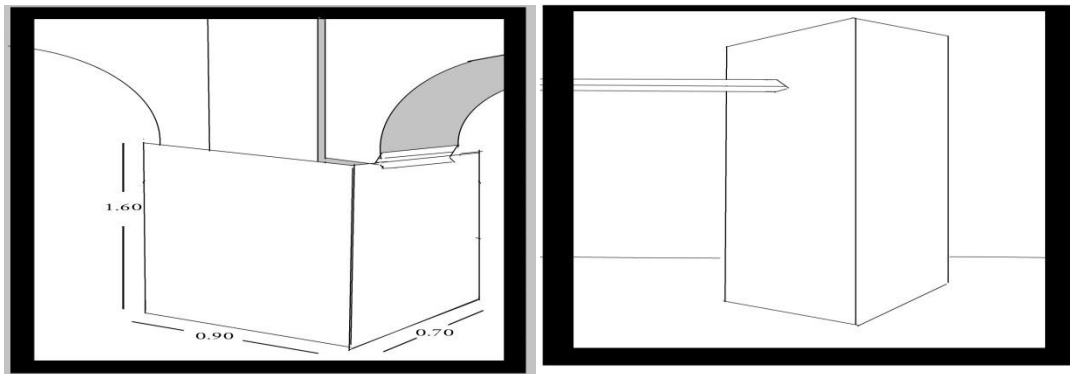
المقاسات	العدد	مكان التواجد	المادة	شكل الدعامة	الزاوية
	02	تتقدم المسجد	الحجارة	مستطيلة	قرومة
	08	بيت الصلاة	الحجارة	مستطيلة	س يعقوب
x	x	x	x	x	المغلي
01م	02	بيت الصلاة - المنذنة	الحجارة	اسطوانية	ع اقلال
	01	المسجد القديم	الحجارة	مربعة	أ جلال
	10	غرف الطلبة	الحجارة	مستطيلة	
0.65	12	تتقدم غرف الطلبة	الحجارة	اسطوانية	
	04	المسجد	الحجارة	مربعة	الهامل
0.60م	04	دار الضيافة	الحجارة	اسطوانية	
	0.6	بيت خاص	الحجارة	مستطيلة	



صورة 1: دعامه بزوايه قرومه      صورة 2: دعامه بزوايه سيدي يعقوب      صورة 3: دعامه بزوايه عين اقلال



صورة 1: دعامه بالزوايه المختاريه      صورة 2: دعامه بمسكن الطلبة ز م      صورة 3: دعامه برواق الزوايه المختاريه



شكل 1: دعامه تحمل السقف شكل 2: دعامه تحمل السقف والعقود

### لوحة 34: الدعامات في الزوايا المدروسة

## 6-2- الأعمدة:

## 6-2-1- الأعمدة بزوايا عين أقلال:

تميّزت الأعمدة بمسجد زاوية عين أقلال بالبساطة وهي ذات شكل أسطواني ملساء تقوم على قواعد مربعة وتنتهي بتيجان مدرّجة بسيطة هي الأخرى، يبلغ عدد الأعمدة 19 عمودا.

## 6-2-2- الأعمدة بزوايا أولاد جلال:

استعمل المعماري بزوايا أولاد جلال الأعمدة بكثرة، إذ نجد بالمسجد القديم ثلاث أعمدة رخامية مزلعة لها أربع أوجه شطفت جوانبها الأربعة لتصبح مزلعة، وهي أعمدة مغروسة مباشرة في أرضية المسجد دون أن تقوم على قواعد، كما نجد بالمسجد الجديد نفس الأعمدة غير أنّ توظيفها كان بطريقة أخرى، إذ جُمعت كل أربعة من الأعمدة على قاعدة مربعة واحدة لتكوّن نقطة ارتكاز واحدة، وهي نفس شكل الأعمدة بالمسجد القديم، كذلك هو الحال بالنسبة للضريح هو الآخر جُمعت فيه كل أربعة من الأعمدة حول قاعدة واحدة، وكلّ هذه الأعمدة رخامية بالإضافة إلى وجود عمودين أسطوانيين يكتنفان المحراب يقوم كلّ منهما على قاعدة مربعة مدرّجة ويعلوها تاجان، كما استعملت الأعمدة في حمل سقف الرواق الذي يتقدّم غرف الطلبة.

## 6-2-3- الأعمدة بزوايا الهامل:

وجدنا بزوايا الهامل مجموعة من الأعمدة في بيت الصلاة والضريح، فبالمسجد وجدناها تجتمع مُشكّلة أربع سواري وهي من الحجارة المنحوتة المربعة تتكوّن من جزأين أو ثلاث يتوسّطها عمود معدني لتتماسك وتترن فوق بعضها بالإضافة إلى مجموعة من الأعمدة مدمجة في الجدران، كما نجد عمودين بالمحراب وهما من الرخام لهما شكل

حلزوني، بالإضافة إلى عمودين آخرين بالنوافذ حلزونيان أيضا وهما من الحجارة، ومثليهما بالضريح و آخرين مضلعان.

والجدول التالي يبين لنا استعمال الأعمدة في الزوايا المدروسة: (لوحة 35)

جدول 21: يبين استعمال الأعمدة بالزوايا المدروسة

الزاوية	شكل العمود	المادة	الوضعية	مكان العمود	العدد
عين اقلال	اسطواني	الحجارة	يقوم على قاعدة	بيت الصلاة	19
اولاد جلال	مضلع	الرخام	لايقوم على قاعدة	المسجد القديم	03
			مجمعة - تقوم على	المسجد الجديد -	16 + 02
			قاعدة مربعة -	الضريح	18
			لايقوم على قاعدة	رواق يتقدم الغرف	09
الهامل	مضلع	الحجارة	مجمعة - تقوم على	بيت الصلاة	20
			قاعدة مربعة -		
	حلزوني	الرخام	يقوم على قاعدة	المحراب	02



صورة1: عمود بزواوية عين اقلال صورة2: عمود بالمسجد القديم بالمختارية صورة3: عمود المسجد الجديد



صورة4: الأعمدة بالمسجد الجديد صورة5: الأعمدة بضريح المختارية صورة6: أعمدة بمسجد الهامل



صورة8: عمود بضريح الهامل

صورة7: عمود محراب الهامل

لوحة35: استعمال الأعمدة بالزوايا المدروسة

## 6-3- التيجان

## 6-3-1- التيجان في زاوية عين اقلال

جاءت التيجان في زاوية عين اقلال تعلو كل الأعمدة المتواجدة ببيت الصلاة وهي مكونة من ثلاث أجزاء، الجزء الأول ذو قاعدة مربعة مشطوفة الأركان تزداد هذه الكتلة مساحة باتجاه الأعلى ليصل ارتفاعها إلى 15 سم، لتكون قاعدة للكتلة المستطيلة الثانية التي يبلغ ارتفاعها 10 سم، ليتدرج بثلاث وحدات أخرى أقل سُمكًا من السابقة تتراوح بين 4 سم و 7 سم.

## 6-3-2- التيجان في زاوية اولاد جلال

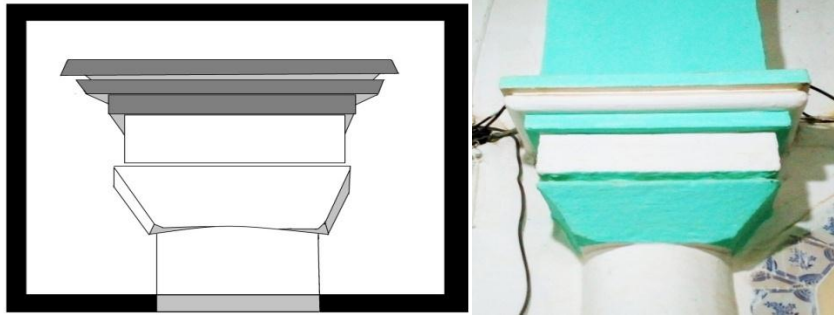
نجد بزوايا اولاد جلال نوعاً آخرًا من التيجان البسيطة المتواضعة في كل من المسجد الجديد والضريح وكذا في الأعمدة أمام غرف الطلبة، إذ نجد أن العمود في أعلاه لا تشطف أركانه الأربعة وإنما يحدث فيه قطع أفقي مكون من أربعة خطوط غائرة فوق بعضها في أركانه الأربعة، غير أن التاجان الذان يعلوان عمودي المحراب مختلفين، فالتاج هنا مربع مدرج ينطلق فوق العمود بقاعدة مربعة ارتفاعها 05 سم تتلوها أخرى أكثر مساحة منها، وفوقها كتلة أخرى أكثر من سابقتها ارتفاعا ومساحة، لتكون أعلاها الكتلة الأكثر ارتفاعا ومساحة.

## 6-3-3- التيجان في زاوية الهامل

نجد بزوايا الهامل أنواعاً من التيجان المختلفة، منها البسيطة التي تعلو الأعمدة التي ببيت الصلاة قوامها لفائف في شكل دوائر تظهر وكأنها تخرج من عمق العمود إلى الخارج، وتاجان رخاميان أعلى عمودي المحراب تزيتهما ورقة الأكنيس مع لفائف تأخذ الشكل الحلزوني، بالإضافة إلى تاج بغرفة الضريح وهو تاج تزينه لفائف منحوتة في واجهته والتاجين الأخيرين مركبين. (جدول 22)

جدول 22: التيجان بالزوايا المدروسة

الزاوية	نوع التاج	موضعه	المادة	الزخرفة
ع اقلال	مركبة	بيت الصلاة	الحجارة	هندسية
أ جلال	بسيطة	كل الأعمدة	الرخام	هندسية
الهامل	مركبة+بسيطة	بيت الصلاة والضريح	الحجارة والرخام	هندسية + نباتية



صورة 1: تاج بزواوية عين اقلال شكل 1: شكل التاج



صورة 2: تاج بزواوية عين اقلال صورة 3: تاج بزواوية عين اقلال



صورة 4: تاج بزواوية عين اقلال صورة 5: تاج بزواوية عين اقلال

لوحة 36: التيجان بالزوايا المدروسة

6-4- القواعد:

6-4-1- القواعد في زاوية عين اقلال:

تتكوّن القواعد التي تحمل الأعمدة بزوايا عين اقلال من جزأين قاعدة مربعة ترتفع ب15 سم عن الأرضية وهي منتظمة يعلوها جزء دائري ارتفاعه 13 سم.

6-4-2- القواعد في زاوية اولاد جلال:

وجد القواعد في المسجد الجديد بالزوايا المختاربية تجمع بين أربعة أعمدة، وهي بسيطة ولا ترتفع كثيرا تتكوّن من ثلاث وحدات الأولى ترتفع من الأرضية مباشرة ارتفاعها حوالي 6سم وهي قاعدة مربعة تشمل كلّ الأعمدة، ثم نجد كلّ عمودان يقومان على وحدتين مربعتين مستقلّتين.

6-4-3- القواعد في زاوية الهامل:

وجدنا القواعد بزوايا الهامل مختلفة الأشكال وكلّها مركّبة، إذ نجد ببيت الصلّاة القواعد تتكوّن من وحدتين الأولى مربعة ارتفاعها 12سم تعلوها أخرى مربعة لكن مشطوفة الأركان نُبِتَ فوقها مباشرة العمود، كما نجد قاعدة العمود الرخامي الذي يتقدّم المحراب تتكوّن من جزأين الأوّل قاعدة مربعة والثانية دائرية. (لوحة 37)



صورة 1: قاعدة بمسجد عين اقلال صورة 2: قاعدة بمسجد المختاربية صورة 3: قاعدة عمود محراب المختاربية صورة 4: قاعدة بمسجد الهامل

لوحة 37: القواعد بالزوايا المدروسة

## 6-4- العقود:

## 6-4-1- العقود المستعملة بزوايا سيدي يعقوب:

تعددت العقود بزوايا سيدي يعقوب بولهاصة فجاءت كالتالي:

- **العقد نصف الدائري المتجاوز:** وهو الغالب بهذه الزاوية إذ نجده في المدخل الرئيسي للمسجد وفي البوائك ببيت الصلاة وهي 6 عقود، كما نجده بمدخل الجدار الغربي للمسجد، وعقدين من هذا النوع بغرفة الضريح، بالإضافة إلى العقد الذي يعلو المحراب.

- **العقد نصف الدائري:** نجد هذا النوع في العقد الذي يعلو المدخل الذي يفضي إلى السطح، كما نجده بمدخل السقيفة بالجدار الشمالي للمسجد.

- **العقد المفلطح:** ونجده في الجهة الخارجية للمدخل بالجدار الغربي للمسجد.

## 6-4-2- العقود المستعملة بمسجد المغيلي:

نجد نوعين من العقود بمسجد الإمام المغيلي وهي:

- **العقد نصف الدائري:** نجده في المدخل الرئيسي في المحراب.

- **العقد الحدوي:** ونجده في بيت الصلاة في المداخل التي تتخلل الجدران المكونة للأساكيب.

## 6-4-3- العقود المستعملة بزوايا عين اقلال:

- **العقد النصف الدائري:** نجده في الواجهة الرئيسية وهي أربعة عقود منها الذي يعلو المدخل الرئيسي، كما نجد منها 24 عقدا ببيت الصلاة وهي التي تقوم على الأعمدة وتحمل السقف.

- **العقد المدبب:** ونجد هذا العقد يعلو المحراب، كما نجده بالمدخل الرئيسي لبيت الصلاة، ومدخل المئذنة، وكذلك بمدخل الضريح.

## 6-4-4- العقود بزواوية أولاد جلال:

نجد بهذه الزاوية ثلاث أنواع من العقود وهي كالتالي:

- **العقد نصف الدائري:** نجده بالمسجد القديم بالبائكة الوحيدة التي تُقسّم المسجد إلى قسمين، كما نجده بالضريح.
- **العقد المدبب:** استعمل في كلّ عقود بيت الصلّاة بالمسجد الجديد.
- **العقد نصف الدائري المتجاوز:** نجده في العقد الذي يعلو المحراب بالمسجد القديم والمسجد الجديد، كما نجده بغرف الطلبة.

## 6-4-5- العقود بزواوية الهامل:

ونجد بها أربعة أنواع من العقود على النحو التالي:

- **العقد نصف الدائري:** نجده في البوابة الرئيسية والمدخل الرئيسي للمسجد.
- **العقد نصف الدائري المتجاوز:** استعمل في بيت الصلّاة سواء منها البوائك أو العقود المدمجة في الجدران (الصّماء).
- **العقد المفلطح:** استعمل عموماً في العقود التي أعلى النوافذ وبعض الكوّاة وفي بعض مداخل الغرف المعيشية.
- **العقد المدبب:** وهو قليل الاستعمال نجده إلّا في دار الضيافة.

والجدول التالي يوضّح أماكن تواجد العقود وأنواعها على النحو التالي: (لوحة 38-39)

جدول 22: التّيجان بالزّوايا المدروسة

مكان التواجد	نوع العقد	الزاوية
المدخل بيت الصلاة. المحراب. المدخل الغربي والضريح	- النصف الدائري	س يعقوب
	- النصف الدائري المتجاوز	
	- المفلطح	
المدخل الرئيسي والمحراب	- النصف دائري	المغيلي
المدخل بين الأساكيب	- الحدوي	
واجهة المسجد وبيت الصلاة	- النصف دائري	ع اقلال
مدخل بيت الصلاة - مدخل المنذنة - مدخل الضريح	- المدبب	
المسجد القديم والضريح	- النصف الدائري	أ جلال
المحاريب وغرف الطلبة	- النصف الدائري المتجاوز	
بيت الصلاة بالمسجد الجديد	- المدبب	
المدخل الرئيسي للمسجد	- النصف دائري	الهامل
بيت الصلاة	- النصف دائري المتجاوز	
النوافذ والكواة وبعض الغرف	- المفلطح	
دار الضيافة	- المدبب	



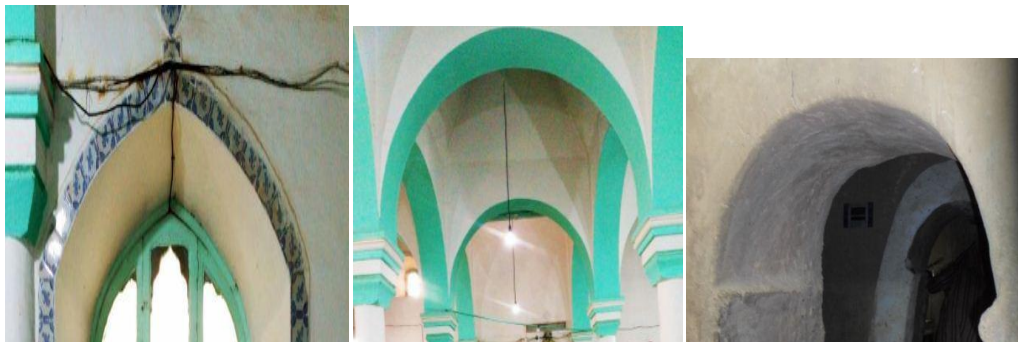
صورة1: مدخل مسجد سيدي يعقوبصورة2: بيت الصلاةصورة3: عقد ببيت مسجد سيدي يعقوب



صورة4: المدخل الغربي سيدي يعقوبصورة5: مدخل شمالي سيدي يعقوبصورة6: محراب مسجد سيدي يعقوب



صورة7: مدخل منذنة سيدي يعقوبصورة8: ضريح سيدي يعقوبصورة9: عقد بمسجد المغيلي



صورة10: مدخل مسجد سيدي يعقوبصورة11: بيت الصلاة عين اقلال صورة12: مدخل مسجد عين اقلال

### لوحة 38: العقود بالزوايا المدروسة



صورة1: مدخل المنذنة بعين اقلال صورة2: واجه مسجد ع اقلال صورة3: محراب مسجد ع اقلال



صورة4: عقد بالمسجد القديم صورة5: مدخل بالمسجد القديم صورة6: محراب المسجد القديم



صورة7: محراب المسجد الجديد صورة8: غرف الطلبة بالمختارية صورة9: عقد ببيت الصلاة



صورة10: ضريح المختارية صورة11: مدخل بضريح المختارية صورة12: واجهة غرب الطلبة بالمختارية

لوحة39: استعمال العقود بالزوايا المدروسة

## 7- وسائل التغطية والتسقيف:

تتنوع وسائل التغطية والتسقيف من مبنى لآخر، لكنّها تجتمع في نفس الهدف الذي هو حماية المبنى من العوامل المناخية والطبيعية، وكثيرا ما تتحكم الظروف المناخية لأية منطقة من المناطق في طريقة وأسلوب التسقيف، وقد جاءت في الزوايا المدروسة كالتالي:

## 7-1- التسقيف المستوي:

تنتشر هذه الطريقة في التسقيف في المناطق التي لا تكثر فيها الأمطار، حيث وجدنا هذا النوع من التسقيف في مسجد الإمام المغيلي وفي بيوت عائلات الشيخ بزواية الهامل وكذلك هو الحال في بعض البيوت بزواية عين أقلال.

## 7-2- السقف الجملوني:

نجد هذا النوع من التسقيف في زاوية سيدي يعقوب في المسجد، إذ عُطيت البلاطة التي بها المدخل الرئيسي والبلاطة التي بها المحراب بهذه الطريقة، أما البلاطة الثالثة فسقفها مستوي حديث فقد سقط سقفها الأصلي، ويظهر لنا من داخل بيت الصلاة ومن خارج المسجد التسقيف يأخذ شكل (V) مقلوبة، كما نجده في تسقيف مخزن زاوية قرومة.

## 7-3- التسقيف المائل:

نجد هذا النوع من التسقيف بزواية قرومة بالمسجد وغرف الطلبة والمطبخ.

## 7-4- التقبيب:

أ- الأقبية البرميلية: هذا النوع نجده في زاوية سيدي يعقوب وبالضبط في خلوة الشيخ، إذ سُفّ الممرّ المؤدّي إليها بسقف نصف برميلي أي يكون السقف في شكل امتداد عقد عريض عرض المكان المراد تسقيفه كلياً في شكل (U) مقلوبة.

ب- الأقبية المتقاطعة: ونجد هذا النوع فيزاوية أولاد جلال بالضبط في الأركان الأربعة للضريح كما نجده بزوايا الهامل، كما نجدها أيضا بالرواقان المحيطان بغرفة الضريح بالزاوية المختارية.

#### 5-7- القباب:

وهذه الطريقة شائعة بكثرة في تسقيف المساجد والأضرحة خاصة في الفترة العثمانية، ونجد هذه الطريقة مستعملة في:

- ضريح سيدي يعقوب: وهي قبة نصف دائرية منتظمة بها زخارف مرسومة هندسية ونباتية.
  - مسجد عين أقلال: وجاءت قبابه مضلعة لها أربعة أضلع وعددها 19 قبة.
  - مسجد زاوية أولاد جلال: سُقِّفَ كَلِيًّا بمجموعة من القباب عددها 9، توزعت بين الدائرية والمضلعة.
  - ضريح الزاوية المختارية: وبه قبة مركزية نصف دائرية وإلى جانبها قبتان صغيرتان من نفس الشكل.
  - مسجد زاوية الهامل: تمَّ تسقيفه كَلِيًّا بقباب نصف دائرية عددها 9 أكبرها القبة المركزية.
  - ضريح زاوية الهامل: وبه قبتين الأولى في الغرفة التي تتقدم غرفة الضريح وهي قبة مضلعة حديثة، وقبة ثانية أصليّة تغطّي غرفة الضريح.
- والجدول التالي نوضّح فيه طرق التسقيف وأماكنها وموادها على النحو التالي: (لوحة 40)

جدول 23: طرق التسقيف بالزوايا المدروسة

المواد المستعملة	مكان التسقيف	نوع التسقيف	الزاوية
القرميد - الخشب	كل الوحدات العمرانية	مائل	زاوية قرومة
القرميد - الخشب	المسجد	جملوني	زاوية سيدي يعقوب
الآجر	الضريح	قبة	
الآجر	الخلوة	قبو برميلي	
الحجارة	المسجد والخلوة	مستوي	جامع المغيلي
الآجر	المسجد	قباب	زاوية عين أقلال
الآجر	المسجد والضريح	قباب	الزاوية المختارية
		أقبية متقاطعة	
الآجر	المسجد والضريح	القباب	الهامل
الخشب	دار الضيافة والبيوت	مستوي	



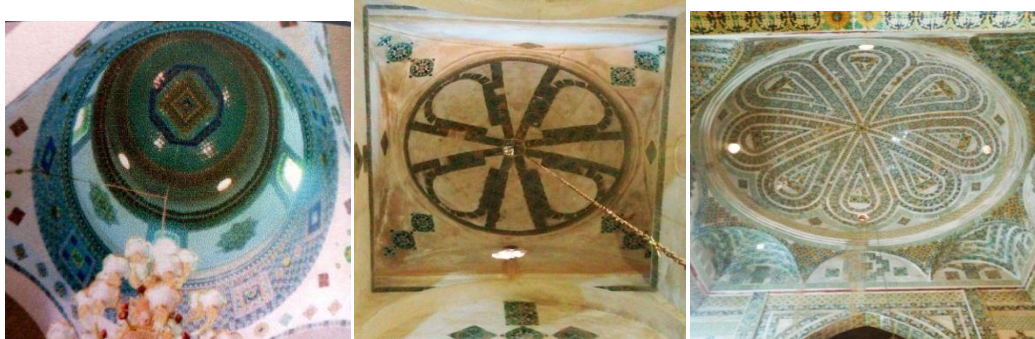
صورة 1: التسقيف المستوي بالهامل  
صورة 2: التسقيف المستوي بالمختارية  
صورة 3: التقبيب بزوايا الهامل



صورة 4: تسقيف برميلي س يعقوب  
صورة 5: تسقيف جملوني بقرومة  
صورة 6: تسقيف جملوني بسيدي يعقوب



صورة 7: التسقيف بالقباب بعين افلاصورة 8: قبة بالزوايا المختارية  
صورة 9: قبة مضلعة بالزوايا المختارية



صورة 10: قبة دائرية بضريح المختارية  
صورة 11: قبة جانبية بالمختارية  
صورة 12: القبة المركزية لمسجد الهامل

#### لوحة 40: طرق التسقيف بالزوايا المدروسة

# الفصل الخامس

## مواد وتقنيات البناء والزخرفة

تتأثر العمارة وموادها البنائية بالعديد من العوامل الطبيعية والبيئية، وكذلك بعض العوامل البشرية التي من ضمنها العامل الديني الذي يظهر من خلال بعض العادات والتقاليد والأعراف، وكذلك هو الحال بالنسبة لبلاد المغرب الأوسط فقد تأثرت بمجموعة من العوامل، ولأنّ الإنسان يحاول دائماً التكيف والتأقلم مع البيئة التي يعيش فيها ومناخها محاولاً تفادي كلّ الصعوبات الطبيعية من رياح وأمطار وعواصف وحرارة، وذلك من خلال محاولة الاستفادة من كلّ ما هو محيط به، ومحاولة ابتكار واستغلال العناصر المادية التي تساعده على تفادي الأضرار بشتّى أنواعها وذلك عن طريق توظيف المواد البنائية المناسبة لنوعية المبنى ومكان استعمالها وتوظيفها.

#### أولاً: مواد وتقنيات البناء والزخرفة

لم يتوقّف تأثير البيئة المحليّة عند حدّ التخطيط وتوجيه المباني وحسب، بل حتى على مواد البناء وتشكيلتها التي يتمّ استخراجها من البيئة المحيطة، إذ يمكن الحصول عليها دون مشقّة أو عناء، فغالباً ما يتمثّل في التربة الطينية التي يصنع منها الطوب والملاط في البناء والرّبط بين أجزاء الجدران وتغطيتها، بالإضافة إلى الحجارة بكلّ أنواعها، وسنتطرق في هذا الفصل إلى المواد المستعملة في العمائر الصّوفية (الزّوايا) من خلال النّماذج المدروسة، وكيفية توظيف هذه المواد بها.

## 1 - مواد البناء والزخرفة:

## 1 - 1 - الحجارة

تعتبر الحجارة من المواد الأساسية في البناء، وهي تنقسم إلى عدة أنواع فهناك الحجارة الكبيرة والمتوسطة والصغيرة، وتختلف في تركيباتها الكيماوية حسب المنطقة التي تستخرج منها.

وقد عرف المسلمون استخدام الحجر منذ العهد الأموي عندما شيّد به الأمويون قصورهم في بادية الشام ومن بعدهم العباسيون في قصر الأخيضر والفاطميّين في مصر، وفي بلاد المغرب الأوسط اتخذته مختلف الدويلات للبناء والزخرفة.<sup>1</sup>

واستعملت الحجارة خاصّة في بناء الأساسات لصلابتها ومتانتها لتكون قاعدة تصلح لمواصلة البناء، بالإضافة إلى أنّها تمنع تسرّب المياه للأساسات، كما استعملت في بناء الأسوار الخارجية كونها عازلة للحرارة والبرودة وحتى الصّوت. وقد استعملت العديد من أنواع من الحجارة بالوحدات العمرانية أهمها:

- الحجارة الكوارتزية الغنيّة بأكسيد السيليس، تركيبها الكيماوية هي ثاني أكسيد السليكون النقي تصل نسبته فيها إلى 46.7% وتتكوّن من الأكسجين الذي تصل نسبته إلى 53.3%، وهي حجارة غير قابلة للإنصهار ولونها أبيض مائل إلى الإصفرار.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> نجيب محمد مصطفى، العمارة في عصر المماليك، القاهرة تاريخها فنونها وآثارها، مطابع الأهرام التجارية، 1970، ص 235

<sup>2</sup> محمد عز الدين حلمي، علم المعادن، المكتبة الإنجلومصرية، 1984، ص 157

- الحجارة الغرانيتية: تحتوي هذه الحجارة على نسبة ضعيفة من الكلس تصل إلى 0.1% في حين تصل نسبة السّليس إلى 78%، ويميل لون هذه الحجارة إلى الأحمر، وهي مقاومة ولا تتفتت بسهولة.<sup>1</sup>
- كما استعملت الحجارة الرّسوبية المسامية وهي حجارة هشّة واستعملت أكثر في المناطق الصّحراوية.
- وقد استعملت الحجارة في كلّ الزّوايا المدروسة فنجدها على النحو التالي: (لوحة 41)
- زاوية قزومة: استعملت في بناء كلّ الجدران للهيكل العمرانية بداية من الأساسات إلى أعلى الجدران وتُربط في بعضها بواسطة الملاط، والملاحظ أنّه استعمل في بنائها حجارة صغيرة لسهولة حملها.
- زاوية سيدي يعقوب: استعملت الحجارة في بناء الجدران الخارجية للمسجد والضريح وللسقيفة المحاذية للمسجد شمالاً، وكذلك في بناء الجزء الغربي الخارجي من المسجد، كما بنيت بها الدعامات بالمسجد.
- مسجد المغيلي: استعملت في كامل هيكل المسجد بداية من الأساسات إلى الجدران حتى السقف فهو من الحجارة كما رأينا سابقاً.
- زاوية عين أقلال: استعملت الحجارة في بناء الجدران الخارجية للمسجد وكذلك في بناء الأعمدة والسلم داخل المئذنة.
- زاوية أولاد جلال: استعملت الحجارة في بناء كلّ الهياكل العمرانية للزّاوية.
- زاوية الهامل: استعملت الحجارة في كلّ الهياكل العمرانية للزّاوية.

<sup>1</sup> بديع ديب، فؤاد الكروي، أساسيات في كيمياء الأراضي وخصوصيتها، مطبعة خالد ابن الوليد، سوريا، 1977، ص



صورة2: استخدام الحجارة بزاوية عين أقلال

صورة1: استخدام الحجارة بزاوية قرومة



صورة3: استخدام الحجارة سيدي يعقوب

لوحة41: استخدام الحجارة في الزوايا

## 1-2- الطين:

إنَّ علاقة الإنسان بالطين علاقة وطيدة تظهر جليَّة من خلال ذكر هذه العلاقة في القرآن الكريم، إذ ورد اللفظ "الطين" في القرآن عدَّة مرَّات، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّىٰ عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾<sup>1</sup>، وقال تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>سورة الأنعام، الآية 2

<sup>2</sup>سورة الصافات، الآية 11

والطين صخر متماسك يتألف من الصلصال ومشتقاته ونسبة كبيرة من الماء وقد يحتوي أنواعًا مختلفة من المعادن،<sup>1</sup> وهو تراب فخّاري أو حواري لزج إذا حلّ بالماء وقاس إذا جفّ حتى وإن لم تمسه نار، يُستعمل في بناء الحيطان أي الأسوار والسّطوح والبيوت بشكل عام وما شابهها وتطلى به،<sup>2</sup> ومن أهمّ مميّزات الطين الجيد صلاحيته للاستعمال فيجب أن تتوفّر فيه خاصيّة المرونة بحيث يمكن تشكيله باليد أو صبّه في قالب كما ينبغي أن يجفّ بسرعة مقبولة دون أن يتشقق بعد الجفاف ويجب أن يكون خاليا من الشوائب،<sup>3</sup> وهو مادّة دقيقة الذرّات له خاصيّة الإحتفاظ بالماء،<sup>4</sup> أمّا عن تحضيره فيتمّ بطريقة سهلة وبسيطة حيث يتمّ تجميعه في شكل أكوام كبيرة وتبدأ تنقيته من الشوائب وما يحتويه من أخشاب أو مواد خارجية، ثمّ يُدقّ جيّدًا حتى يصبح ناعمًا صالحًا للاستعمال وفي أحيان كثيرة تتمّ غربلته، ثمّ يُمزج بالماء ويُعجن بالأرجل ويُترك ليختمر جيّدًا وكلّما أضيف له الماء زاد من تماسكه وصلابته، وهو المادّة الأساسيّة لصناعة الطوب والآجر والملاط، وقد استعمل في كلّ العنائر المدروسة كمادّة للرّبط، كما استعمل في صناعة الطوب والآجر بزواوية سيدي يعقوب.

### 1-3- الملاط:

هو عبارة عن خليط مُتصلّب متكوّن من مادّة صخرية سهلة التفتّت وهي الرّمْل والطين يُضاف إليها الماء ويدعم الكل بإضافة الجير والتّصلب يأتي نتيجة تفاعل

<sup>1</sup>التوني يوسف، معجم المصطلحات الجغرافية، دار الفكر العربي، 1977، ص 336

<sup>2</sup> غالب عبد الرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، ط1، المطبعة العربية، بيروت، لبنان، 1988، ص 265

<sup>3</sup>نذير الزيات، فن النحت، ط2، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، 2000، ص 07

<sup>4</sup> الجوهري، الصحاح في اللّغة والعلوم، تقديم الشيخ عبد الله العاللي، إعداد وتصنيف نديم مركشلي وأسامة علي، ج2،

ط1، دار الحضارة العربية، بيروت، 1974، ص62

المواد،<sup>1</sup> وهو الطين الذي يتم وضعه بين صفوف الحجارة المُشكَّلة للجدران، إذ يُملأ الحائط بوضعه بين المداميك للتماسك، ويكون من الطين أو الجص أو أية مادة أخرى لتقوية الحائط وحمايته من الأمطار وتهيئته للزينة والزخرفة،<sup>2</sup> ويتم تحضيره فوق أرضية مخصصة لهذا الشأن تُحظَر وتُنقى وتُدك جيداً حتى تصبح قاعدة صلبة وتكون قرب مكان البناء كي لا تُكَلَّفَ عناء أو مشقة، ثم يوضع الرمل المغرل ويوضع الجير ويخلط جيداً مع الرمل، ثم يضاف له الماء بالتدرّج، ثم يمزج جيداً بالمجارف، ولا تخل منه أي من العنائر المدروسة فهو مادة أساسية لا يمكن الإستغناء عنها.

#### 1-4- الطوب:

وهو المادة المضروبة من الطين مرتباً أو مستطيلاً يستعمل لغاية البناء، فإن كان محروقاً فهو يُعرف بالآجر وإمّا يُعرف باللبن إن لم يكن محروقاً،<sup>3</sup> كما يُعتبر من أفضل المواد التي توفر العزل الحراري للمبنى،<sup>4</sup> لذلك نجد أن أغلب جدرانها سميكة رغم ذلك يمكنه أن يدوم لفترة طويلة والسبب يكمن في قلة نسبة الرطوبة بالمناطق الصحراوية، وهذا بالنسبة للطوب المجفّف وهناك نوع آخر وهو المُسوَّى تحت قبة الفرن.<sup>5</sup>

ومن المواد المعمارية التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، الآجر الذي يُصنع عن طريق حرق الطين حيث يقول سبحانه وتعالى على لسان فرعون: ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا

<sup>1</sup>Adam (j.p), La construction romaine, matériaux et techniques de construction, franc, 3<sup>e</sup> édition, picard, 1999 ;

<sup>2</sup> محمد نوار سامي، الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية من بطون المعاجم اللغوية، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية: د ت، ص 176

<sup>3</sup>عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 184

<sup>4</sup> حملاوي علي، مرجع سابق، ص 62

<sup>5</sup>عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 184

هَامَانَعْلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أُطَّلِعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى ﴿١﴾، فصناعة الطُّوب أو الآجر كانت شائعة عند الفراعنة حيث كانوا يستخدمونه في بناء المساكن والمدن، أمّا الحَجَر فكان يقتصر استخدامه على بناء المعابد ونحت التماثيل.

وقد مكّن استخدام الطُّوب في بلاد المغرب من التّسريع في إنشاء مدن ومراكز حَضْرِيَّة في أوقات وجيزة، نظرا لخاصيّته في التّحضير ووفرته، بالإضافة لسهولة البناء به فهو خفيف الوزن متناسق الأحجام، وله شكل مُوحّد يوفّر جهدًا كبيرًا على البناّء بعكس الحجارة التي تحتاج إلى صقل وتشذيب وانتقاء الوحدات المناسبة أثناء عملية البناء.<sup>2</sup>

ونجد استعمال الطُّوب في بعض العمائر المدروسة في المواضيع التّالية:

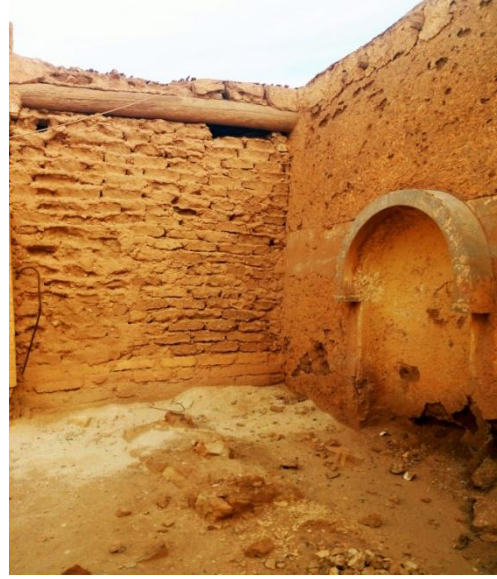
- زاوية سيدي يعقوب: وجدناه في الجدار الذي يقسم السّقيفة المحاذية للمسجد من جهة الشّمال، وقد استعمل الطُّوب غير منتظم المقاسات.
- الزّاوية المختارية: استعمل في أعلى جدران المسجد القديم كما استعمل في أعلى جدران غرف الطلبة.
- زاوية الهامل: وجدنا استخدامه في الجدران الدّاخلية للبيوت.
- مسجد المغيلي: وجدنا استخدامه في الجدران
- لاحظنا أنّ استعمال الطُّوب يكون في المناطق الجافّة أكثر منه في المناطق الرّطبة لأنّها من الأسباب التي تسارع في تلفه. (لوحة 42)

<sup>1</sup>سورة القصص، الآية 38

<sup>2</sup> العربي لقريز، " البناء بمادة الطين في العمارة التقليدية بمنطقة بوسعادة (الخصائص والتقنيات)"، مجلّة الحقوق والعلوم الإنسانيّة، ع 17، جامعة الجلفة، ص 402



صورة 2: استعمال الطوب بزواوية الهامل



صورة 1: استعمال الطوب بزواوية اولاد جلال

لوحة 42: استخدام الطين والطوب في العمران

### 1-5- الأجر:

الأجر مادة اصطناع مملوءة ذات مقاسات وأبعاد مختلفة، استعملت منذ القدم في البناء، ويحصل عليها بعد تحضير عجينة خاصة وقولبتها ثم تجفيفها وحرقتها تحت درجة معينة في أفران خاصة، ويعود أنتشارها الواسع في البناء إلى متانتها العالية وإمكانية تحملها مع الزمن ضد العوامل المتلفة، وتزخرف به الجدران حيث يتخذ أشكالاً وأوصافاً مختلفة وألواناً عديدة في حالة طلائه.<sup>1</sup>

وقد استعمل في الزوايا المدروسة على النحو التالي:

- زاوية سيدي يعقوب: استعمل في تسقيف السقيفة والخلوة، كما بُنيت به القبّة، بالإضافة إلى استعماله في إنشاء العقود وكذلك بُني به السُّلم الذي يتوسّط بدن

المئذنة. (صورة 1)

- عين اقلال: استعمل في بناء القباب بالمسجد.

<sup>1</sup> السعيد بوزرينة، المرجع السابق، ص 348

- أولاد جلال: استعمل في بناء القباب والحنايا الركنية.
- زاوية الهامل: استعمل في بناء القباب.



صورة: استعمال الآجر في زاوية سيدي يعقوب

### 1-6- الجص:

الجص عبارة عن مسحوق رسوبي أبيض، تتحصّل عليه عن طريق طبخ صخر رسوبي يُدعى الجبس، وبإضافة الماء له تتحصل على عجينة ليّنة سريعة التصلب،<sup>1</sup> وأوّل من أطلق عليه اسم الجبس هم الإغريق، واسمه الحقيقي جبسم (Gypsum) والمقطع (Gy) تعني باللّغة الإغريقية الأرض و (Epsum) تعني صنع الشّيء عن طريق خلطه،<sup>2</sup> ويتكوّن من: الصّمغ، الكلس، قشر البيض، ويفرغ لزجاً في قوالب،<sup>3</sup> يوجد

<sup>1</sup> غالب عبد الرحيم، المرجع السابق، ص 93

<sup>2</sup> الأعظمي خالد خليل حمودي، الزخارف الجدارية في آثار بغداد، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980، ص 121

<sup>3</sup> عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 64/65

في محاجر خاصّة وقد يوجد على شكل كتل كبيرة أو على شكل جبس رملي،<sup>1</sup> ومن أهمّ مميّزاته أنّه مسامي أي لا يستعمل في الأماكن التي بها رطوبة، لأنّه يُتلف من الماء أو الرطوبة بعد أن يجفّ إذا تعرض لها، وأغلب استعمالاته تكون داخل الوحدات العمرانية. وقد استعمل في بزواية الهامل دون غيرها من الزوايا المدروسة.

### 1-7- القرميد:

يعتبر القرميد من المواد الكثيرة الإستعمال لوظيفته النّفعيّة ووظيفته التّزيينيّة، وعن طريقة صناعته تُعجن الطّينة وتُشكّل على هيئة أقراص ثمّ تُضبط بتمريرها على المرايا ثمّ تُضرب أو تقولب بالقالب، ويُصَفَّفُ القرميد بجانب بعضه لتجفيفه وإعدادة لعملية التّسوية،<sup>2</sup> وعند استخدامه يوضع بالتّناوب الأولى على الظّهر والثّانية على البطن لتجمع الثّانية في بطنها بين جانبيين من الوحدات التي يوضع ظهرها للأعلى، وهكذا على التّوالي ثمّ يُنَبَّت ويربط بالملاط ليتماسك جيّدًا. وقد وجدناه مستعملًا في الزّوايا المدروسة التّالية:

- زاوية قرومة: سُفِّت به كلّ هياكلها العمرانية. (لوحة 43)
- زاوية سيدي يعقوب: استخدم القرميد في تسقيف بيت الصّلاة بطريقة التّسقيف الجملوني.
- زاوية عين اقلال: استخدم في تسقيف بيت عائلة الشّيخ رُغم أنّه تجدد إلّا أنّه أعيد بنفس الطّريقة.
- زاوية الهامل: استعمل في الجانب الزّخرفي فقط فنجدّه في الإفريز أعلى الواجهة الرّئيسية للمسجد.

<sup>1</sup> الأعظمي، المرجع السابق، ص 121

<sup>2</sup> أندري باكار، المغرب والحرف التقليديّة الإسلاميّة في العمارة، ترجمة سامي جرجس، نشر أوتيليه، 1974، ص



صورة 2: القرميد بزاوية قرومة



صورة 1: القرميد بمسجد قرومة



صورة 3: التسقيف بمسجد زاوية سيدي يعقوب

لوحة 43: استخدام القرميد في الزوايا

### 1-8- الخشب:

يحتلُّ الخشب مكانةً ممتازةً بين مواد البناء، وهو من أقدم مواد البناء التي عرفها الإنسان في الفترات المختلفة، كما أنَّه قوي بالنسبة لحجمه وسهولة الحصول عليه في جميع أنحاء العالم جعلته من أكثر المواد الخام أهميَّة بسبب مصادره الطبيعيَّة، ولما يمتاز به من خواص فنيَّة وسهولة في التَّشغيل، فضلًا عن جمال لونه وسهولة صقله

وتجهيزه،<sup>1</sup> أمّا عن تكوينه فهو ذو نسيج صلب مكون من ألياف وخلايا تحتوي في جوفها على مواد عضويّة ومعدنية وكميّة من الماء، ويتكون الخشب أساسًا من الكربون والهيدروجين والأكسوجين،<sup>2</sup> ومن مميّزاته امتصاص الرطوبة وطرحها، ففي الطّقس الرّطب يمتصّ الماء ويجفّ حالة الطّقس الجاف، ويذكر ابن خلدون من فوائد الخشب: "... ومن صنائع البناء عمل السقف بأن تمد الخشب المحكمة النجارة أو الساذجة على حائط البيت ومن فوقها الألواح كذلك موصلة بالداياتر...".<sup>3</sup>

ولا تكاد تخلو منه زاوية من الزوايا محلّ الدّراسة، وقد استعمل في التّسقيف بزواوية قرّومة وسيدي يعقوب كما استعمل في التّسقيف المستوي بزواوية أولاد جلال و زاوية الهامل، كما استخدم في صناعة الأبواب في جميع المنشآت المدروسة. (لوحة 44)



صورة 2: باب خشبي بزواوية عين اقلال



صورة 1: باب خشبي بزواوية سيدي يعقوب



صورة 4: باب خشبي بضريح الزاوية المختارية



صورة 3: استخدام الخشب في التسقيف

لوحة 44: استخدام الخشب بالزوايا

<sup>1</sup> وانر هرت، أشكال النجارة العامة، ترجمة عبد المنعم عاكف، دار الأهرام للتأليف، القاهرة، 1970، ص 09

<sup>2</sup> توفيق أحمد عبد الجواد، مواد البناء وطرق إنشاء المباني، ط01، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، 1967، ص

<sup>3</sup> عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 425

## 1-9- الحديد:

وَرَدَ ذكر الحديد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾<sup>1</sup> وفي آية أخرى من القرآن الكريم: ﴿ آتُونِي زَبَرَ الْحَدِيدِ ﴾<sup>2</sup>، وقد صُنِّفَ الحديد إلى نوعين رئيسيين: الأول لَيِّنٌ يُسَمَّى "البرهامي" ومنه الفولاذ أمَّا الثَّانِي فهو يُلقَّبُ "الشَّابْرِقَان" وهو صلب، والحديد نجده منفصل مستقلاً أو خليط مع الكربون أو معادن أخرى، ولصناعته يتمصهره في بوتقة مغلقة ثمَّ يُصَبُّ في القالب ليُصهر كتلة ملتتهبة بيضاء، ثمَّ تُسحب الكتل عندئذٍ لتتحوَّل إلى الأشكال المراد الحصول عليها<sup>3</sup>. والحديد هو الآخر نجده مستعملاً في مختلف الزوايا المدروسة إذ استعمل في الشبائيك للتوافذ والربط بين أجزاء الأعمدة وكذلك كوسائل لعلق الأبواب.

## 2- تقنيات البناء:

تختلف تقنيات وأساليب البناء في العمارة عموماً، فهناك العديد من العوامل المتحكِّمة فيها، وخاصَّةً العوامل المناخية، وكذلك حسب توفُّر المادة البنائية وما يناسبها من طرق للبناء والتَّرابط لتكوين الوحدة المعمارية المراد الوصول إليها، وقد استعملت العديد من الطُّرق المختلفة في بناء الزوايا المدروسة وكانت مناسبة للظُّروف المناخية وجعلت هذه المباني تبقى شامخة لقرون من الزَّمن.

## 2-1- تقنيَّة بناء الأساسات:

تعتبر الأساسات أهمَّ الخطوات التي يهتمُّ بها البَنَّاء كونها القاعدة الأساسيَّة التي سينطلق منها وهي التي تضمن له سلامة المبنى، ويختلف إنجازها من منطقة إلى أخرى

<sup>1</sup>سورة الحديد، الآية 25

<sup>2</sup>سورة الكهف، الآية 96

<sup>3</sup> محمد أحمد زهران، فنون أشكال المعادن والتَّحف، المكتبة الإنجلو مصرية، القاهرة، 1965، ص8

وحسب الأرضية المراد البناء فوقها، غير أنّها تعتمد جميعا نفس المراحل، في حين نجد في بعض المناطق التي تكون أرضيتها أصلاً حجريّة فلا يعتمد على حفر الأساسات بل يُبنى فوقها مباشرة، أمّا إذا كان وضع الأساسات ضرورة فيتمّ رسم المخطّط المراد بناؤه ثم يحفر متتبّعاً ذلك الرّسم فيحفر خندقاً يتراوح عمقه بين 0.60 م و 1.20 م، أمّا عرضه فغالبا ما يتراوح بين 0.50 م و 1م، ثم يملأ ذلك الخندق بالحجارة غير المهذبة والملاط إلى غاية وصولها إلى الأرضية، غير أنّه في الأرضيات المنحدرة فإن الخندق يكون متدرّجا.

## 2-2- تقنيّات بناء الجدران:

تختلف هي الأخرى طرق بناء الجدران خاصّة وأنّ مادة البناء هي التي تتحكّم في الطريقتة، لكنّها عموما محدّدة طرُقها في البناء بالطوب والآجر، في حين يستقلّ البناء بالحجارة بطرق مختلفة، فنجد في البناء بالحجارة أنّه يوضع كمّية من الملاط فوق الأساس مباشرة وتبدأ عملية وضع الحجارة بطريقة أفقيّة مع الأساسات أي أنّ الحجارة توضع على أحد أوجهها على الملاط مباشرة وهكذا يتمّ بناء صفّ من الحجارة ونفس الطريقتة توضع بها الحجارة فوقها وصولاً إلى القدر المراد الوصول إليه، غير أنّنا لاحظنا في كثير من المواضع من الزوايا المدروسة وجود بعض العوارض الخشبيّة الأفقيّة في الجدران بين الحين والآخر، توضع للتخفيف من النّقل وامتصاصه، كما نجد طريقتة أخرى أيضا في البناء بالحجارة، وهي غالبا ما تبدأ من منتصف الجدار إلى أعلاه، وهي وضع الحجارة بطريقة عمودية مع شيء من الميلان يمينا أو يسارا وتتوالى بهذه الطريقة إلى اكتمال الصّف الأول ثمّ يكون الصّف الثّاني عكس اتجاه الصّف الأوّل وعند اكتمال الصّفين يأخذ الصّفان شكل السنبلة.

أمّا في البناء بالطوب والآجر فإنّها الطّريقة الغالبة هي الطّريقة البسيطة المعروفة بطريقة المداميك، وهو ما وجدناه خاصّة بالزاوية المختارية وزاوية الهامل.

### 2-3-2- تقنيات التّغطية والتّسقيف:

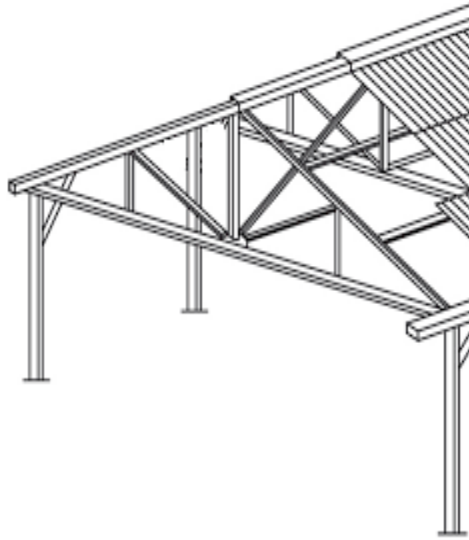
#### 2-3-2-1- تقنية التّسقيف المستوي:

هذا النّوع من التّسقيف من أسهل الطّرق وأبسطها لأنّه لا يُكلّف كثيرًا من الجهد والمادّة وحتى المهارة في البناء، وقوامها وضع جذوع الأشجار بعد إعدادها لهذا الغرض توضع فوق الجدارين المتقابلين وتُنَبَّتُ فيها ويراعى فيها المسافة بين الجدارين لتغطّي الجذوع تلك المسافة، ويتمّ وضع مجموعة من الجذوع المتوالية بعد بعضها وغالبا ما تكون المسافة بينها حوالي 1م على امتداد المسافة المراد تسقيفها، هذه الجذوع تعتبر قاعدة لما بعدها من قصب وأغصان وفي المناطق الصّحراوية الجريد والكرناف، فتوضع بعكس الإتّجاه الذي تُنَبَّتُ به الجذوع، وتُنَبَّتُ هي الأخرى بالجذوع بربطها، ثمّ بعدها يوضع الملاط الذي غالبا ما يكون غير نقي من الشوائب، وهذا النّوع استعمل كثيرا خاصّة بالغرف المعيشيّة وغرف الطّلبة وبعض الأروقة خاصّة بكلّ من زاوية الهامل والزاوية المختارية، أمّا بمسجد الإمام المغيلي فكان التّسقيف مختلفا عن هذا الأسلوب بل كان التّسقيف بالحجارة حيث توضع حجارة مسطحة فوق الجدار بشكل أفقي على الجدارين المتوازيين بشرط أن تكون المسافة بينهما قصيرة، ويتوالى وضع الحجارة بالطريقة الأفقية على مستوى الجدارين لتلتقي الحجارة المسطّحة بين الجدارين ثم يملأ الفراغ الحاصل بينهما بالطين والملاط ثم يغطى كل السطح ليشتراك مع بعضه في كتلة واحدة.

#### 2-3-2-2- تقنية التّسقيف الجملوني:

هذا النّوع يستعمل غالبا في المناطق التي تكثر بها الأمطار فهو بحكم شكله يسمح بتسرّبها مباشرة فور سقوطها على السطح، وتتمّ عملية التّسقيف بهذه الطّريقة

بالإعتماد على العوارض الخشبية، حيث تركز عوارض بطريقة مائلة في الجدارين المتقابلين ليلتقي العمودان في أعلى نقطة مشتركة بينهما، وتتوالى الأعمدة بهذه الطريقة كما تُنَبَّت في أعلاها أي في نقاط التقائها بعوارض خشبية أفقية أخرى ليزداد تماسكها، كما تُدمج عوارض أخرى أفقية في الجدارين المتقابلين المراد تسقيف المسافة بينهما، فتكون قواعد لعوارض أخرى عمودية عليها باتجاه نقاط التقاء العوارض التي وضعت مائلة، ثم يغطى الفراغ الحاصل بين كل تلك العوارض الخشبية بألواح خشبية أعدت للتغطية كما وجدنا بمسجد سيدي يعقوب، ثم يثبت فوقها القرميد. (شكل 1)



شكل 1: التسقيف الجملوني

### 2-3-2- تقنية التسقيف بالقباب:

تختلف القباب من حيث الشكل فمنها الدائرية والتي يشيع استعمالها كثيراً في العمارة الدينية الإسلامية، كما استعملت أيضاً القباب المضلعة خاصة في المساحات الغير واسعة، فبعد بناء الجدران و - أو - العقود التي ستحمل القبة يقوم بتحديد وبناء نقاط انتقال من المربع إلى الدائرة، التي تظهر من داخل القبة ومن ثم يحدّد البناء الطريقة التي يريدتها إذا كانت دائرية أو مضلعة.

ثانياً: تقنيات ومواضيع الزخرفة:

### 1- تقنيات الزخرفة:

#### 1-1- الحفر والنحت:

يعتبر هذا الأسلوب من أقدم الأساليب الفنيّة وأبسطها حيث يحفر حفراً عميقاً حتى تُشكّل الحروف أو الأشكال، واستخدمت هذه التقنيّة استخداماً واسعاً في تشكيل الزخارف على كثير من المواد الصلبة واللينة كالرُخام والخشب والجصّ وبمختلف الأساليب من حفر بارزٍ وغائرٍ وحفرٍ مائلٍ أو مسطحٍ، وتتّم هذه التقنيات بواسطة وسائل مختلفة خشبيّة أو معدنيّة كالأزميل والمطارق والآلات الحديديّة الحادّة منها والمدبّبة.

#### 1-1-أ- الحفر البارز:

يقوم الفنّان برسم العنصر المراد تشكيله على المساحة المخصّصة بعد تهيّيب القطعة المراد نقشها بمطرقة غليظة، ويُرَاعَى في ذلك الحفاظ عليها تفادياً لانكسار الكتلة، ثمّ يرسم تصميمًا مسبقاً للنص أو الزخرفة على القطعة ليحفر ما حولها "بالأقلام المعدنيّة" ذات الأحجام المختلفة وفقاً لما رسمه على القطعة، وبعدها تُسوّى الأشكال أو الحروف بواسطة المكشط أو الرّمّل حتى تبدو ملساء فتصبح بذلك في صورتها الجمالية النهائيّة.

#### 1-1-ب- الحفر الغائر:

وهو كذلك من أقدم الأساليب الفنيّة وأبسطها وهو عكس الحفر البارز إذ بعد رسم العنصر أو الشكّل يُحفر الجزء المرسوم ليكون هو الشكّل الزخرفي وما سواه يبقى أرضيّة له، وفي بعض الأحيان يملأ التّجويف بمادّة صلبة حتّى تتصلّب جيّداً ثمّ يُسوّى سطح اللوحة.

## 1-1-ج-الحفر على الجص:

تأثرت العمارة الإسلامية بأسلوب الزخرفة الجصية التي كانت منتشرة قبل الإسلام، ففي العصر الأموي استخدمت التّكسية الجصية على نطاق واسع في زخرفة قصور بادية الأردن، وتعدّ زخرفة قصري خربة المفجر والحير الغربي من أهمّ تلك النّماذج الجصية،<sup>1</sup> وقد استعمل الحفر على الجص بكثرة في زخرفة وتزيين واجهات الجدران وكذلك في السقوف. والدليل على ذلك ما عُثِر عليه أثناء الحفريات التي أُجريت في عدّة مواقع، منها حفرة سدراتة في الجنوب الجزائري، وصبرة منصورية بتونس،<sup>2</sup> وتتميّز هذه المادّة بسرعة الجفاف، لذا نجد أنّه يضاف لها الملح لجعلها بطيئة الجفاف وتساعد على الإستخدام لوقت أطول.

بعد أن يُسوّى السطح يشرع الفنان في تحديد الزّخارف عليه ورسمها وفقاً للموضوع المراد تنفيذه الذي يكون إمّا في مخيّلته أو مُعدّ في ورق ، تُرسم عليه الزّخرفة بواسطة ثقب ليسهل تمرير المسحوق عبرها فهو يشبه القالب في الصناعات المُجسّمة، ثم يُمرّر النّمودج على الجدار الذي وضع عليه مادّة الجص ويضغط عليه بواسطة اليد ثم ينتزع القالب لتظهر الزخرفة، وتتكرّر العملية على كامل الجدار،<sup>3</sup> وقد استخدمت هذه الطّريقة بزواوية الهامل.

## 1-1-ج-النحت على الرّخام والحجر

بعد تهيئة القطعة الرّخامية المراد الرّسم عليها يرسم الفنّان الموضوع بواسطة قلم وبعد تحديد الرّسم بشكل دقيق يقوم الفنّان بعملية نحت الأشكال المراد استخراجها، وهذا

<sup>1</sup> الرّفاعي أنور، تاريخ الفن الإسلامي عند العرب والمسلمين، ط2، دار الفكر، 1977، ص 160

<sup>2</sup> حملاوي علي، "الزخرفة الجصية بين التطور والإنحطاط في المباني الإسلامية بالجزائر"، مجلة الدّراسات الأثرية،

ع1، معهد الآثار، الجزائر، 1992، ص 58

<sup>3</sup> أندري باكار، المرجع السابق، ص 15

العمل يتمُّ بواسطة أزاميل ومطارق مختلفة الأشكال والأحجام. ولعلَّ أروعَ ما وصل إلينا عن صدر الإسلام الزخارف الحجرية في قصر الحير الغربي وفي قبة الصخرة والمسجد الأموي وقصر المشتى،<sup>1</sup> أما الزخارف الرخامية فقد ظهرت منذ فترة مبكرة في العصر الإسلامي، فأقدم أمثلتها يرجع تاريخه إلى العصر الأموي، حيث نلاحظ أمثلتها بقبة الصخرة مُمثلة في لوحين من الرخام يزيان الواجهتين الخارجيتين لإحدى الدعامات أو الأركان الكائنة في المئمن الأوسط، وهما منسوبتين إلى عبد الملك بن مروان ( 72هـ - 691 م )، كما يحتفظ متحف دمشق بلوح رخامي منسوب إلى الجامع الأموي، ونلاحظ في الزخارف المحفورة في هذه اللوحات الملامح الفنية الأولى لفنّ الحفر في الرخام خلال العصر الإسلامي،<sup>2</sup> وقد استعملت هذه الطريقة في الزاوية المختارية وزاوية الهامل.

### 1-2- الزخرفة على الخشب:

حظيت صناعة الخشب بمكانة مرموقة، إذ أبدع فيها الفنّان المسلم أيما إبداع في انجازاته وهو يحولها من صورتها الصماء إلى لوحة فنية ذات صبغة جمالية إضافة إلى حاجتها النفعية، فاستغلها كمادة خام سهلة التطويع، ليصنع منها الأبواب والنوافذ والخزانات الجدارية، واستغلها في تسقيف مبانيه، إضافة إلى الصناعات الخشبية الأخرى، ثم ليحوّل هذه الصناعات إلى لوحات فنية وينقذ عليها زخارف متنوّعة بأساليب عدّة لعلَّ أهمها :

### 1-2-1- التّجميع والتّعشيق:

وتستعمل للحصول على تركيب زخرفي يقوم على ضمّ مجموعة كبيرة من القطع ذات الأشكال الهندسية مع بعضها البعض، وتتمّ هذه العملية عن طريق تجميع قطع

<sup>1</sup> مرزوق محمد عبد العزيز، الفن الإسلامي وتاريخه وحضارته، مطبعة أسعد، بغداد، 1965، ص 165

<sup>2</sup> الألفي أبو صالح، المرجع السابق، ص ص 293-294

صغيرة من الخشب تتخذ أشكالاً هندسية كالمثلثات والمضلعات، بعدها يتم إعداد الحشوات والوصلات بإطاراتها وأشرطتها المنقذة بطريقة النقر واللّسان مع إعداد أماكنها على اللّوح المراد تركيبها عليه، وتتم هذه العملية في الورشة وتنتهي بتركيب التّحفة في عين المكان وفقاً لطريقة التّجميع والتّعشيق<sup>1</sup>، ونجد هذه الطّريقة في أغلب أبواب الزّوايا المدروسة غير أنها تختلف من حيث الزّخرفة. (لوحة 45)



صورة 2: استعمال التجميع باب مسجد المختارية



صورة 1: استعمال التجميع باب ضريح المختارية



صورة 4: استعمال التجميع باب مسجد المختارية



صورة 3: استعمال التجميع باب ضريح المختارية

لوحة 45: استعمال طريقة التّجميع والتّعشيق بالزّوايا المدروسة

<sup>1</sup> رجب عزت، تاريخ الأثاث منذ أقدم العصور، القاهرة، 1978، ص ص 200-201

## 2 - المواضيع الزخرفية:

## 2-1- الزخرفة النباتية:

إن الزخرفة المتمثلة في الثّبات بشتى أنواعه وألوانه وأشكاله يدعوننا إلى التّمعن بالنظر والإستغراق في الفهم والتدبر لأنّ الآية توجّه الناس إلى النّظر "إلى ثمره إذا أثمر وينعه"، وهو توجيه يلفت النظر هنا بصفة خاصة إلى الجمال المبعوث في هذه الكائنات الحيّة والتمتّع بهذا الجمال في تلك اللّوحة الطّبيعية الحيّة المتناسقة،<sup>1</sup> وهذا ما دفع بالفنان المسلم إلى توظيف النبات في الكثير من مواضيعه الزّخرفية إيماناً منه بأنّها آية من آيات الله.

وقد اعتنى المسلمون عناية كبيرة بالزّخارف النباتية خاصّة منها المجرّدة حيث استعملت السيقان والأوراق والأزهار المختلفة الأنواع والأشكال في كثير من العمائر الإسلاميّة الدنيّة منها والمدنيّة مع تحوير في أشكالها، كما استعملت بعضها بأشكالها الأصليّة وألوانها دون تحوير مع كراهية التصوير للكائنات الحيّة.

## 2-1-1- زاوية عين اقلال:

نجد بزاوية عين أقل الاستعمال البلاطات الخزفيّة المزخرفة التي قوامها عناصر نباتية تمثّلت في وريادات صغيرة وأوراق استعمل اللّون الأزرق والأصفر بكثرة فيها، وقد استعملت هذه البلاطات الخزفية أيضاً في تكسيّة الجزء السّفلي من بيت الصّلاة، حيث استقلّ الجانب الأيسر للمحراب بزخرفة زرقاء قوامها وريادات صغيرة وأوراق صغيرة ثلاثيّة الفصوص، أمّا الأزهار فنجد بها زهرة القرنفل. وقد استعملت أنواع من البلاطات الخزفية التي تحمل زخرفة لكل بلاطة خزفية، بالإضافة إلى البلاطات المتجمعة التي تعطي لنا تجميعاً من البلاطات وبذلك تعطينا موضوعاً زخرفياً تاماً.

<sup>1</sup> محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، ط6، دار الشروق، 1983، بيروت، لبنان، ص28



صورة 2: وريادات صغيرة وأوراق



صورة 1: وريادات صغيرة



صورة 4: وريادات صغيرة وأوراق



صورة 3: بلاطة خزفية بزهرة مركبة

لوحة 46: الزخرفة النباتية بزواوية عين اقلال

2-1-2- زاوية أولاد جلال:

في الزاوية المختارية أيضاً وجدنا البلاطات الخزفية بكثرة في بيت الصلاة وغرفة الضريح، فنجدها في المسجد قد كُسيت به الأجزاء السفلية من بيت الصلاة، كما كسي به المحراب، ونجده أيضاً في أعلى الأعمدة في واجهاتها الأربع، خاصة منها البلاطات التي تحمل زهرة عبّاد الشمس، أمّا بالضريح فوجدت أعلى الجدران بغرفة الضريح وكذا أطر الأبواب والنوافذ، وقد استعملت بكثرة زهرة عبّاد الشمس وزهرة القرنفل بثلاث أنواع، كما

استعملت المراوح النخيلية مُجمّعة وفرادى، واستعملت أيضاً متكاملة فيما بينها لتُشكّل دوائر زخرفية تحتويها صفوف من المراوح النخيلية. (لوحة 47)



صورة 2: بلاطات خزفية بزهرة عباد الشمس



صورة 1: بلاطات خزفية بزهرة القرنفل



صورة 4: بلاطات خزفية بزهرة القرنفل



صورة 3: بلاطات خزفية بمراوح نخيلية



صورة 6: بلاطات خزفية بأزهار وأوراق



صورة 5: بلاطات خزفية بمزهريات

لوحة 47: الزخارف النباتية بالزاوية المختارية

## 2-2- الزخرفة الهندسية:

لقد عني المسلمون بالعلوم الهندسية لما كان لأشكالها وتراكيبها من تداخلات رمزية وكونية وفلسفية، والتزم المعماريون المسلمون التزاماً صارماً في تشييد العمائر بمبادئ الهندسة في مخططاتهم وفي ارتفاعات المنشآت المعمارية، فأدى ذلك إلى تقديم منشآت يبرز فيها التوازن والإنسجام الذين يُميّزان الفن المعماري الإسلامي، أمّا في مجال الزخرفة فقد شغلت الأشكال الهندسية مساحات هندسية في العمائر، وشاع تأطيرها بأطر هندسية ملأت الفراغات التي تواجدت فيه بأشرطة نباتية محوّرة عن الطبيعة.<sup>1</sup>

لما كان الإسلام يقوم على التوحيد وتنزيه الله تعالى " ليس كمثله شيء"<sup>2</sup> فإنّ الفنّان المسلم استعمل الرسوم الهندسية وأكثر من استعمالها، وأقام التكرار بتوازن كامل، وجعل الفنّان يخرج عن الحدود المادية وذلك بتكرار الرسم نصفاً أو ربعاً أو خمساً فيحس الناظر بكمال الرسم فيما يلي الشيء وفي جميع الإتجاهات، والناظر إلى الرسم الإسلامي يلاحظ تكراره بالتوازن في جميع الإتجاهات إلى ما لا نهاية، والتكميل إلى ما لا نهاية مستحيل، وهنا تعمد الصور المختلفة التي حرّكها الرسم إلى إكمال ما لا نهاية له معترفة بالعجز، وهذا التّصوّر مرئي وغير مرئي إلى ما لا نهاية له، فإدراكه ذلك هو إدراكه بصنعة الله تعالى، وهذه النّظرية تتطبق على جميع الفنون الإسلامية في كالإنتاج من إنتاجها.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> إيفا ولسون، الزخارف والرسوم الإسلامية، ترجمة أمال مريود، دار قابس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص 11

<sup>2</sup> سورة الشورى، الآية 11.

<sup>3</sup> علي القاضي، مفهوم الفن بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى، ط1، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، 2002،

## 2-2-1- زاوية سيدي يعقوب:

الزخرفة بزواوية سيدي يعقوب إلأما نجده بقبة الضريح وهي مجموعة من الرسومات الهندسية متمثلة في ثلاثة أطباق نجمية منتظمة ومختلفة، استعملت فيها ألوان مختلفة، وكلها تحيط بها دائرة إما بسيطة أو مركبة، ويمكن أن نلاحظ فيها قلة الإتقان وعدم التمكن من ضبط المقاسات، أمّا أشكاله الشبه نجمية فهي رُبما تُعبر عن الإنتماء الصوفي الذي يؤمن بالرمزية في كل ما ينتمي إليه أو ينتجه، وهي منقوشة بالحفر الغائر ثم استعملت عليها الطلاءات التلوينية. (لوحة 48)



صورة 3: رسم هندسي ينتهي بسنبلة



صورة 1: طبق نجمي

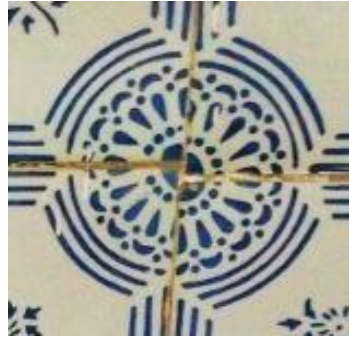


صورة 2: طبق نجمي بزخارف نباتية

## لوحة 48: الزخارف الهندسية بزواوية سيدي يعقوب

## 2-2-2- زاوية عين أقلال:

استعملت الزخرفة الهندسية على البلاطات الخزفية بزواوية عين أقلال تلك البلاطات التي تكسو الجزء السفلي من جدران بيت الصلاة وأطر المداخل، وهي عبارة عن مربعات خزفية مقسمة إلى جزأين جزء لونه أبيض والآخر أخضر أو أزرق وتُرَكَّب إلى جانب بعضها لتُكوِّنَ معيّنات متتالية بيضاء وزرقاء أو بيضاء وخضراء في أشرطة تمتدّ على طول الجدران. (لوحة 49)



صورة 2: دوائر بالبلاطات الخزفية



صورة 1: بلاطات خزفية ملونة

لوحة 49: الزخرفة الهندسية بزوايا عين اقلال

2-2-3- الزاوية المختارية:

استعملت الزخرفة الهندسية بالمسجد والضريح من خلال تكوين أطُر ومعينات بالبلاطات الخزفية وكذلك بع ض النماذج من المعينات والمربعات داخل البلاطات الخزفية، كما نجد طبق نجمي بالقبة المركزية بالضريح. (لوحة 50)



صورة 3: استعمال الأشكال الهندسية



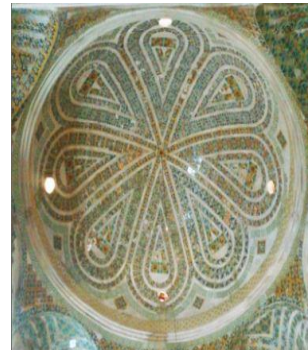
صورة 2: استعمال النجمة والدوائر



صورة 1: استعمال المعين



صورة 5: استعمال المستطيل والمعين



صورة 4: استعمال الطبق النجمي

لوحة 50: الزخرفة الهندسية بالزاوية المختارية

## 2-3- الزخرفة الرمزية:

يلجأ الصوفي إلى الترميز عن طريق الإيماء والإشارة إمّا لغرض تقريب الفهم للأدنى مقامًا من الصوفية أنفسهم أو المتعاطف معهم المسلمّ لعلومهم أو بهدف صون الأسرار والحفاظ عليها حتى لا يتخذها العدو المنكر لأحوالهم سلاحًا للهجوم عليهم بالابتداع لمجرد عدم إدراكه لمقاصدهم...، فيلجأ الصوفي إلى الترميز أيضًا لأنّ اللُغة في نظره تبقى عاجزة عن احتواء كلّ ما يقذفه الذوق في قلبه من معانٍ وأسرار ودلالات،<sup>1</sup> ويقول في هذا الإمام أبو العزائم أن العبارة لا تفي ببيان المضمون من كلام العارفين، إنّما هي أنوار وإشارات تدوّق النفس منها على قدر ما وهبها الله إذ العبارة لا تكشف الحقيقة. فقد استعملوا الأساليب الرمزية في التعبير عمّا يشعر به الصوفي في المحبّة الإلهية التي تختلف في جوهرها عن أيّ حبٍّ معهود، وركن الصوفية إلى الرمزية رغبة منهم في الاعتزاز بمعانيهم وسترًا لها عن غيرهم ممّن لا يحيطون بشيء من علمها وضنوا بكلامهم على غير أهله.<sup>2</sup>

والصوفي يُحمّل اللُغة أكثر من طاقتها، وإذا كان يعتمد الصور الحسيّة والتّمثيل الحسيّ المستمدّ من العالم الخارجي، فإنّه يريد من ذلك التماس معاني جديدة علويّة إذ الغائب المخبوء عند الصوفي هو الحقيقي والممكن، إنّه التّلاشي في حضرة الفقد والمحو فهو التّحرّر من الحضور من أجل تحقيق الوجود وهو محو الأنا من أجل إثبات الآخر.<sup>3</sup> ومثال ذلك ما وجدناه مكتوبًا بضريح الزاوية المختارية في عبارة: "وإذا سخر الإله أناسًا لسعيد فإنهم سعداء" فهي عبارة رمزية.

<sup>1</sup> كمال بوغديري، "الرمز عند الصوفية بين المعيشة والممارسة"، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، ع11، سبتمبر 2014، ص 226

<sup>2</sup> عاطف جودة نصر، الرمز في الشعر الصوفي، ط1، دار الأندلس، بيروت، 1978، ص 501/500

<sup>3</sup> كمال بوغديري، المرجع السابق، ص 227

فشكل الهلال أو القارب له مدلول رمزي عند الصّوفية، فجسم السّفينة أو القارب يماثل كتابة حرف النّون بالخطّ النّسخ، وتشبيهه جسم السّفينة بالنّون له معانٍ رمزيّة عند الصّوفية.<sup>1</sup> فالنّون هي العلم الإجمالي أي الدّواة التي تحوي فيها إجمالاً صورة العالم، فأصبح تشبيه شكل الجسم بالنّون للدّلالة أيضاً على صفة العلم، كما أنّ النون عند الصّوفية تحمل صفة الإبداع والخلق لعلم الوجود.<sup>2</sup>

والسّفينة عند الصّوفية هي وسيلة النّجاة والأمل التي تُعبّر بهم في ثبات وصلابة البحر لتخلّصهم من الآثام وتصل بهم إلى الشاطئ حيث الطّاهرين الناجين،<sup>3</sup> وقد استعملت الرّخارف الرّمزية في الرّوايا من خلال استخدام النّجمة الخماسية والسّداسية والثمانية والهلال وكذلك في زاوية الهامل نجد استخدام الزورق بالعمود الرخامي. (صورة1)



صورة1: استعمال الزورق في الزخرفة الرّمزية بزوايا الهامل

## 2-4- الزخرفة الحيوانية:

<sup>1</sup> المجلة العلمية لجمعية الأثاريين العرب 03، ص 134  
<sup>2</sup> عربي محمد حسين، الحياة الفكرية في العصر الأيوبي في مصر واليمن وأثرها على المظاهر الفنية، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1991، ص13  
<sup>3</sup> محمد صادق عتقا شاه أوييسي، من الفكر الصوفي الإيراني المعاصر، ترجمة السباعي محمد السباعي وإبراهيم الدسوقي شتا، القاهرة، 1991، ص 201/200

جُلُّ الثَّقافات الإنسانية من بداياتها ليس بمفهومها الثقافي وإنما بمفهومها المادي إلى حضارات القيم المادية وثقافتها الأسطورية، وظفّت الحيوان كأداة للتعبير والترميز من خلال كلِّ ما يغوص في أعماقها، فالحكايات الشعبية والخرافية والأساطير وآدابها ورسومها وتمثيلها حتى شعاراتها التّظهارية،<sup>1</sup> نجد فيها توظيفاً للحيوانات.

وقد استعمل المسلمون رسوم الحيوانات في زخارفهم استعمالاً واسعاً حتى بدا أنّهم لم يعتقدوا أنّها داخلية في نطاق الكراهية، واستعملوا في زخارفهم رسوم الأسد والفهد والأرنب والطيور بأنواعها، وربما رسموها على فروع نباتية.<sup>2</sup>

وقد وجدنا هذه الزخرفة بزواوية الهامل دون غيرها من الزوايا المدروسة وهي كالتالي على عمودي المحراب وعلى البلاطات التي تكتنفه: (لوحة 51)

- طائر اللقلق: نُفِّذَ على البلاطة الخزفية من الجهة اليسرى للمحراب من الجهة الداخليّة للعقد، وهو في حركة صيد في بركة مائية بها بعض الأعشاب، له منقار طويل بنيّ مائل إلى السّواد وجناحه مميّز بلونه المتدرّج من الأزرق الفاتح إلى الأزرق القاتم.
- طائر السنونو: ونُفِّذَ على البلاطة الخزفية على الجهة اليمنى من المحراب مقابلاً للطائر الأوّل واقفاً على غصن وممسكا به بمنقاره، وقد امتاز بكثرة الألوان بين الأخضر والأزرق والأصفر والأسود والبيّ.
- طائر اليمامة: وهو مُنْفَذٌ على عمود من السارية المزخرفة بتقنيّة الحفر البارز وهو في حالة الطيران فاتحاً جناحيه.

<sup>1</sup> السبتي عبد الأحد، "التاريخ واللسانيات، النص ومستويات التأويل"، أعمال المائدة المستديرة، مراكش، المغرب، (26/25)، 1990، د ط، ص 77

<sup>2</sup> علي القاضي، المرجع السابق، ص 27

- كما استعمل بعض أنواع الحشرات على عمودي المحراب وهي: النحل وفيه دلالة على ما يقدمه الشيخ من علم للمتعلمين، وهو بمثابة الشهد الذي يعطيه النحل، بالإضافة إلى حشرة العجلان وهي ترمز إلى التواضع والرّضى بالقدر خيره وشره.



صورة 2: طائر اليمامة



صورة 3: طائر السنونو



صورة 1: 1: طائر اللقلق

لوحة 51: الزخرفة الحيوانية بزاوية الهامل

## 2-5- الزخرفة الكتابية:

زعم أهل العلم الباطن أنّ الحروف التي في بداية السور أنّها أصل لجميع الأشياء ومنها أظهر الله علمه، وقد قال سهل بن عبد الله التستري إنّ الحروف هي أصل الأشياء في أول خلقها، ومنها تألّب الأمر وظهر الملك، وأنّ الله - تعالى ذكره وتقدست أسماؤه - جعلها ثمانية وعشرين حرفاً أربعة عشر منها ظاهرة وأربعة عشر باطنة،<sup>1</sup> وقد اهتم المسلمون عموماً في استعمال الآيات القرآنية والأحاديث وبعض الحكم في زخرفة المساجد والمدارس والزوايا، وهكذا وجدنا في بعض الزوايا المدروسة.

<sup>1</sup> محمد العدلوني الإدريسي، نصوص من التراث الصوفي الغرب إسلامي، ط01، دار الثقافة، 2008، ص 30/29

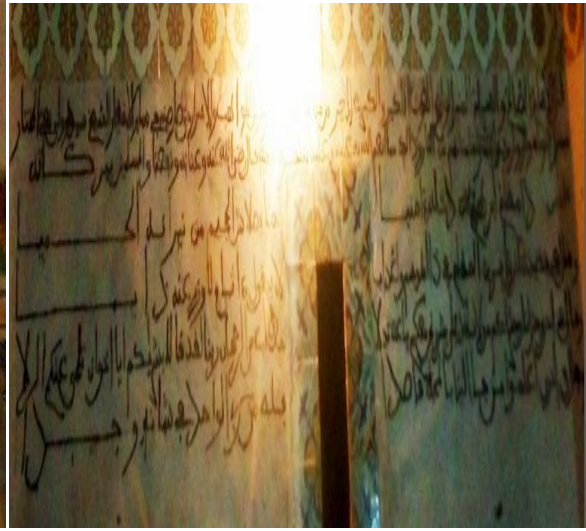
## 2-5-1- الزاوية المختارية:

توجد بضريح الزاوية المختارية مجموعة من الكتابات المنقّدة بالحفر الغائر على الجدار الشمالي للضريح، وأعلى العقد النّصف دائري في الرّواق الخلفي لغرفة الضريح، وهي بالخط المغربي البسيط الغير ملتزم بالقواعد الخطيّة لهذا لكنه مقروء، وهي كتابة حديثة عن الضريح فهي ليست متناسقة تماما مع الزخارف الأخرى بغرفة الضريح وهذا ما يثبت أنها حديثة بالنسبة للضريح، وجاءت الآيات والعبارات كالتالي (لوحة 52)

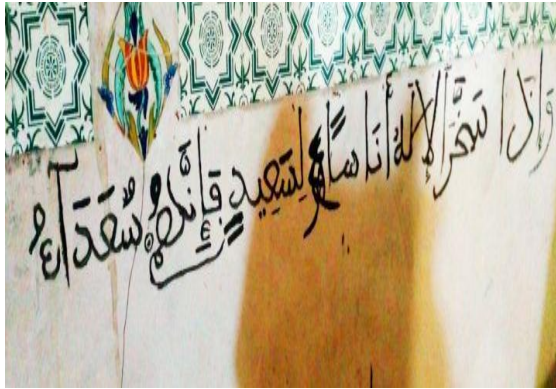
- لا غالب إلا الله
- وإذا سخر الإله أناسا لسعيد فإنهم هم السعداء
- لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم
- نصر من الله وفتح قريب وبشر الصّابرين
- إنّنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر
- وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإنّ الجنة هي المأوى . (سورة النازعات)
- إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنّات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين. سورة يونس الآية 09 . (لم يكتب كلمة \_ ربهم - )
- كاتبه أسير ذنبه وخديم شيخه عبد ربه سليمان بن بخرص الزنخري.



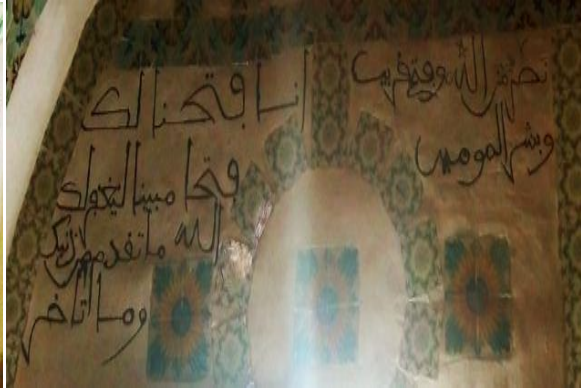
صورة 02



صورة 01



صورة 03



صورة 02



صورة 2



صورة 01

لوحة 52: الزخرفة الكتابية بالزاوية المختارية

الزخرفة الكتابية بزواوية الهامل:

وجدنا بزواوية الهامل كتابة تأسيسية بمحراب المسجد، منفذة بالخط النسخي على البلاطات الخزفية، جاء في الكتابة:

- بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وأت الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين. صدق الله العظيم. مسجد ضريح الأستاذ الصمد القطب الرباني الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم الشريف بن سيدي عبد الرحيم الهاملي قدس الله روحه في أعلى الجنة نفعنا ببركاته آمين، ولد رحمه الله في سنة 1237هـ وتوفي رحمه الله في سنة 1315هـ، وتم بناء مسجده الشريف في يوم 4 شوال سنة 1321هـ/1904م، يسعد من زاره زيارة قلبية بصفاء نية وصل وبلغ ما يتمناه. (صورة1)



صورة 1: زخرفة كتابية بزواوية الهامل

## 2-6- الزخرفة بالألوان:

تحمل الألوان دلالات رمزية كثيرة في مختلف الحضارات، وتختلف هذه الرمزية من حضارة لأخرى بل من ثقافة لأخرى، وقد استعملت الألوان على اختلافها في كل مجالات الحياة، سواء في اللباس أو الأواني أو الحاجيات الأخرى كالتسيج والمصنوعات الخشبية والخزفية... إلخ، كما استعملت الألوان بكثرة في الأعمال المعمارية خاصة منها المدنية والدينية، وتختلف موادها التي تستخرج منها أو تستخلص من خلالها منها النباتية ومنها الحيوانية، وقد استعمل الصوفية الألوان بكثرة في مختلف مجالات حياتهم خاصة منها الألبسة، وكذلك استعملوها على كثير من الزخارف على عمائرهم خاصة في المساجد والأضرحة، فما هي الرمزية التي يوولها كل لون من الألوان التي يستعملها المتصوفة على زخارف عمائرهم؟

## 2-6-1- اللون الأبيض:

اللون الأبيض كاللون الأسود المعاكس له، يقع في طرفي السلم اللوني، إنه لون تام ومكتمل، يختلف فقط في تدرجه من الكامد (البارد) إلى اللامع، تارة يعني الضباب وتارة هو حصيلة الألوان، يركز أحياناً عند بداية أو نهاية الحياة النهارية والعالم المعلن، وهذا ما يمنحه قيمة مثالية، غير أن نهاية الحياة أي لحظة الموت، وهي لحظة عبور عند نقطة الإتصال بين المرئي وغير المرئي: إذن هي إقلاع جديد، الأبيض هو لون المرشح، أي من يريد أن يغير الشروط.<sup>1</sup>

## 2-6-2- اللون الأحمر:

ويتحصّل عليه من نبات الفوة والعلايق والبنجر وصمغ اللك، ونوع من الخشب يعرف باسم "كمباجي"، وكان يعرف اللون الأحمر في إيران باسم "دوغي" ومعناه الفوة

<sup>1</sup>كلود عبيد، الألوان، مراجعة محمد حمود، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 2013، ص 55

المحمولة إلى صبغة بواسطة اللبن الحامض،<sup>1</sup> ويعتبر اللون الأحمر من الألوان الحارة لقربته من لون النار ولون الدم،<sup>2</sup> ويرمز عند المتصوفة إلى العرفان.<sup>3</sup>

### 2-6-3- اللون الأزرق:

يستخرج هذا اللون من نبات النيلة الذي ينمو في إيران وشرق الهند وأوسط آسيا، وكانت إيران تستورده من البنغال حيث كان ينمو بكثرة،<sup>4</sup> وهو رمز للصداقة والحكمة والخلود،<sup>5</sup> أما المتصوفة فقد عرفوا الأزرق بنوعيه، فاللون الأزرق القاتم يعبر عن الإحسان، والأزرق المائي يعبر عن اليقين.<sup>6</sup>

### 2-6-4- اللون الأخضر:

ذُكر كثيرًا في القرآن الكريم، كقوله تعالى: "مَتَكْنِينَ عَلَى رُفْرِ خَضِرٍ وَاسْتَبْرَقِ حَسَانَ"،<sup>7</sup> ويحصل على هذا اللون من ورق العنب والتي كانت تعرف عند الإيرانيين باسم "ارجي ماو"،<sup>8</sup> ويرمز اللون الأخضر إلى النمو والأمل والحياة والخصوبة، وهو لون يتفق مع كل الألوان،<sup>9</sup> وعند الصوفية يعبر عن الإطمئنان.<sup>10</sup>

<sup>1</sup> سعاد محمد ماهر، الفنون الإسلامية، ط2، دار هلاً للطبع والنشر، ص 287

<sup>2</sup> حسن حمودة، فن الزخرفة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972، ص 92

<sup>3</sup> عياض عبد الرحمان أمين الدوري، دلالات اللون في الفن العربي الإسلامي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2002، ص

115

<sup>4</sup> سعاد محمد ماهر، المرجع السابق، ص 286

<sup>5</sup> محي الدين طالو، الرسم واللون، مكتبة الأطلس، دمشق، 1961، ص 172

<sup>6</sup> عبد الناصر ياسين، الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية، زهراء الشرق، القاهرة، 2006، ص 43

<sup>7</sup> سورة الرحمان، آية 76

<sup>8</sup> سعاد محمد ماهر، المرجع السابق، ص 286

<sup>9</sup> محي الدين طالو، المرجع السابق، ص 173

<sup>10</sup> عياض عبد الرحمان أمين الدوري، المرجع السابق، ص 115

## 2-6-5- اللون الأصفر:

يستخرج من نبات الزعفران وقشور الرمان التي تعطي لوناً مائلاً إلى الخضرة، فإذا أضيف إليه الشبرم أعطى لوناً أصفرًا يميل إلى اللون البرتقالي، والأصفر الباهت يحصل عليه من الثوت الذي يعطي اللون الأصفر المائل إلى الخضرة، وكذلك لحاء شجر السندباق ومن نبات العليق،<sup>1</sup> وقد استعمل هذا اللون بكثرة لدى المسلمين وهو يرمز إلى الإيمان.<sup>2</sup>

---

<sup>1</sup> سعاد محمد ماهر، المرجع السابق، ص 286

<sup>2</sup> عياض عبد الرحمان أمين الدوري، المرجع السابق، ص 115

الختامة

## خاتمة

### خاتمة

بعد دراستنا لمجموعة من النماذج للزوايا في بلاد المغرب الأوسط توصلنا إلى مجموعة من النتائج نسردها على النحو التالي:

- بلاد المغرب الإسلامي عموماً والمغرب الأوسط كانت بها حركة التصوف منتشرة في أغلب مناطقها على تعدد طرقها الصوفية ومشاربها وانتماءاتها لمختلف المدارس الصوفية وذلك منذ القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي.
- لم تكن كل الزوايا تطوراً للرباط بل في أغلبها خاصة الموجودة في المناطق الداخلية حيث لا توجد الأريطة بل كانت تطورا للخلوة فكثير من الزوايا بُنيت بجوار خلوات مشايخ الصوفية.
- الزاوية هي مجموعة من الوحدات العمرانية ذات الطابع الديني والاجتماعي والثقافي، إذ قامت بمهام عديدة منها التعليم وإيواء الفقراء وحل النزاعات وملجأ للفارين من الحروب والكوارث الطبيعية.
- مثلت الزاوية الحصن المنيع للهوية الثقافية الجزائرية على مرّ العصور وكانت رائدة في تخريج العلماء والأئمة والطلبة، كما حافظت لنا على تراث مخطوط ضخم بأغلب خزائنها ومكتباتها.
- أمّا من الناحية المعمارية فإننا وجدنا البساطة في البناء ممّا يُرسّخ لنا الفكر الصوفي الزاهد في متاع الدنيا خاصة في الفترات الأولى لظهور الزوايا والمنشآت الصوفية، بل إنّ بعض الحوانيت والحجر كانت بمثابة زوايا لتدارس العلوم.
- المساجد في البدايات الأولى للزوايا كانت غاية في البساطة إلا أنّها توفّر الهدوء والسكينة كما راعى فيها البناء التهوية والإضاءة على قدر الحاجة.

## خاتمة

- مع التطور التاريخي وتمازج الثقافات وشيوع الرحلة في طلب العلم بدأت الزوايا والمؤسسات الصوفية تتطور تدريجياً من الناحية المعمارية وبدأت تخرج عن البساطة والاكتفاء بالضرورة المعمارية بل بدأت تظهر العناصر المعمارية بالمنشآت الصوفية خاصة في المساجد والأضرحة.
- تختلف الزوايا من حيث التخطيط العام، حيث نرى أن هذا الاختلاف فرضته الحاجة فقط، فحاجة الزاوية لبيوت الطلبة هي التي تفرض توفرها، كما وجدنا في زاوية قرومة أنها تخلو من دار الضيافة وربما موقعها في عمق الجبال جعلها بعيدة وصعبة الوصول فيقل الضيوف فيها خاصة من العوام.
- نجد اختلافاً أيضاً في العناصر المعمارية خاصة منها القباب بين زاويتي الهامل وعين أقلال رغم اعتمادهما التسقيف بالقباب لكل المسجد، غير أن هذا الاختلاف يكمن في استخدام القباب الدائرية بزاوية الهامل وتوسطها القبة المركزية التي توسطت بيت الصلاة، في حين اعتمد البناء في زاوية عين أقلال على القباب الهرمية الصغيرة، والقبة التي تتقدم المحراب هي أكبر القباب.
- شاع استعمال البلاطات الخزفية خاصة في الزوايا التي تعود للفترة العثمانية وبعدها واختلفت فيها الزخارف بين النباتية والحيوانية والكتابية.
- توفر الصحن أو ساحة الزاوية في كل الزوايا التي درسناها وتختلف مساحاته بين زاوية وأخرى.
- تتميز العمائر الصوفية الأولى بالبساطة وعدم التكلف وهو ما لاحظناه بزاوية قرومة وزاوية المغيلي في حين نجد الزوايا التي بنيت في الفترة العثمانية أو بعدها تحتوي على الزخارف بكثرة خاصة بالأضرحة.
- لاحظنا أن العديد من الزوايا تخلو مساجدها من المئذنة.

## خاتمة

---

- العناصر المعمارية تكاد تكون متشابهة بين الزوايا التي بُنيت في نفس الفترة وفي نفس المنطقة أو متقاربة، وكذلك في ما يخص مواد البناء والتقنيات وهذا ما يفسر لنا التطور الذي عرفته الزوايا تدريجياً.

# قائمة المصادر والمراجع

## القرآن الكريم

### المصادر

- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج س كولان وإليني بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983.
- أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، ط02، مطبعة الباي الحلبي وأولاده، مصر، 1959.
- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخرى الكرخي، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 2004.
- ابن تيمية، فقه التصوف، تهذيب وتعليق زهير شفيق الكبي، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1993.
- ابن قنفذ، أنس الفقير وعزّ الحقيير، تصحيح محمد الفاسي، لأودولف فور، الرباط، مطبعة اكدال، 1965.
- أبي القاسم ابن حوقل، المسالك والممالك، طبع في مدينة ليدن المحروسة، 1873م، ص 43.
- أبي حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، ت عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، د ت.
- ابي يعقوب يوسف بن يحيى التّادلي، التّشوف إلى رجال التّصوّف وأخبار أبي العباس السّبّتي، تحقيق أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1984.
- ابن عطاء الله السكندري، عنوان التوفيق في آداب الطريق، تحقيق خالد زهري، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2004.
- أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشر البارون دوسلان، باريس، 1965.
- أحمد بن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، المجلد 11، جمع وترتيب عبد الرحمان محمد بن قاسم، مكتبة المعارف، الرباط، د ت.
- أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، صبح الأعشى، ج 05، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1955.
- أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، النّغر الجّماني في ابتسام النّغر الوهراني، تحقيق وتقديم الشيخ المهدي البوعبدلي، اعتنى به عبد الرحمان دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع.
- الشّيخ عبد القادر الجيلاني، السّفينة القادرية، مكتبة المنارة، تونس.
- الشّريف الإدريسي، وصف إفريقية الشّمالية والصّحراوية، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، اعتنى بتصحيحه هنري بيريس، الجزائر، 1957.

## قائمة المصادر والمراجع

- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد، عنوان الدرّاية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970.
- عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط1، مج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ط1، دار ابن الهيثم، القاهرة، 2005.
- عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي محيي الدّين، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، ت صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 2006.
- شمس الدّين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الشّامي المقدسي، أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، 1906م.

### المراجع:

- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1830/1900)، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- ابن الحاج النّميري، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السّعيدة إلى قسنطينة والزّاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
- أبي العباس أحمد الخطيب الشّهير بابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعزّ الحقيير، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1965.
- أبي يعقوب يوسف بن يحيى النّادلي، النّشوّف إلى رجال النّصوّف، تحقيق أحمد التّوفيق، ط2، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، 1997.
- أحمد سيد حامد آل جبريل، تيسير شرح الأجرومية، ط01، مكتبة المشارق للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.
- أحمد وقّاد، قرّومة (جرومة) ودورها الحضاري، دار الأمل للطباعة والنّشر والتوزيع، تيزي وزّو، الجزائر، 2016.
- احميدة عميراي، فواصل من الفكر والتاريخ، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 2002.
- أحمد بابا التتبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الدّيباج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط2، دار الكتاب، طرابلس.
- أحمد بن محمّد بن علي بن سحنون الرّاشدي، الثّغر الجُماني في ابتسام الثّغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، اعتنى به عبد الرحمان دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع.

## قائمة المصادر والمراجع

- الزّمخشري أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن احمد، أساس البلاغة، ت محمد باسل عيون السود، ج01، منشورات محمد علي بيضون، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998
- الرّازي الإمام فخر الدين، مختار الصّحاح، المكتبة العصرية، الدّار النموذجية، بيروت، صيدا. 1999
- الرّفاعي أنور، تاريخ الفن الإسلامي عند العرب والمسلمين، ط2، دار الفكر، 1977.
- الأعظمي خالد خليل حمودي، الزخارف الجدارية في آثار بغداد، العراق، 1980.
- أحمد علي إسماعيل، التّعبئة العسكرية في صدر الإسلام والعهد الأموي، ط1، دار الشورى، بيروت، لبنان، 1982.
- الجوهري، الصّحاح في اللّغة والعلوم، تقديم الشيخ عبد الله العلامي، إعداد وتصنيف نديم مركشلي وأسامة علي، ج2، ط1، دار الحضارة العربية، بيروت، 1974.
- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصّحاح، تحقيق إميل بديع ومحمد نبيل طريفي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999.
- أبي زكريا يحيى، سير الأئمّة وأخبارهم، ت إسماعيل العربي، ط3، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1984.
- القيشاني كمال الدّين عبد الرزّاق، اصطلاحات الصّوفيّة، تحقيق محمد كمال إبراهيم جعفر، ط1، مركز تحقيق التّراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981.
- أحمد محمد الصّاوي المالكي، حاشية العلامّة الصّاوي على تفسير الجلالين، ج01، مطبعة مصطفى محمد، مصر، 1934.
- إبراهيم بن محمد المغنّي، دليل الحيران على مورد الضّمّان في فنّ الرّسم والضّبط باعتبار قراءة الإمام نافع لمحمّد بن محمد الشريسي الخزار، دار الكتب، الجزائر.
- الشّريف ابن مريم، البستان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.
- الشّيخ محمد القاسمي، الزّهر الباسم في ترجمة الشّيخ محمد بن أبي القاسم، المطبعة التونسية، 1308.
- أحمد أبا الصّافي جعفري، من تاريخ توات أبحاث في التّراث، ط1، منشورات الحضارة للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، 2011.
- إبراهيم ابن الحاج الثّميري ، فيض العُباب وإفاضة أقداح الآداب في السعيدة إلى قسنطينة والزّاب، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1990.
- أبي زكريا يحيى ابن ابي بكر محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون، بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج01، مطبعة بيرفونتانا الشرقية، الجزائر، 1903.

## قائمة المصادر والمراجع

- الأزرق أحمد، الكتاتيب القرآنية في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
- الشَّرقي بن السَّايح، بغية المستفيد لشرح منية المرید، ط1، مطبعة التقدم العلمية، درب الدَّليل، القاهرة، مصر، 1993.
- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- أندري باكار، المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة، ت سامي جرجس، مج1، نشر أوتوليه، 1974.
- الحفني عبد المنعم، المعجم الشَّامل للمصطلحات في الفلسفة، ط3، مكتبة مديولي، القاهرة، 2000.
- أبي عمر عثمان السَّلاجي، العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية، تحقيق نزار حمادي، ط1، مؤسسة المعارف للطباعة والنَّشر، بيروت، لبنان، 2008.
- أبو عبادة كحيلة، المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب، الطَّبعة الأولى، الرباط، 1997.
- أبو الوفاء الغنيمي التَّافتراني، مدخل إلى النَّصوْف الإسلامي، ط3، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1979.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج01، 1500-1830، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدِّين، ج4، دار القلم، بيروت، لبنان، د ت.
- أبي القاسم عبد الرَّحمان بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن، الرِّوض الآنف في تفسير السَّيرة النبوية لابن هشام، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- أبي عبد الرحمن السَّلمي، الطَّبقات الصُّوفية، تحقيق أحمد الشرياصي، مؤسسة دار الشعب، 1998.
- إحسان إلهي ظهير، ط01، دراسات في النَّصوْف، دار الإمام المجدد، القاهرة، 2005.
- أبو بكر جابر الجزائري، إلى النَّصوْف يا عباد الله، دار البصيرة، مصر.
- أبو العلا عفيفي، النَّصوْف النَّوْرة الرُّوحية في الإسلام، دار الشَّعب للطباعة والنَّشر، بيروت.
- إيفا ولسون، الزَّخارف والرَّسوم الإسلامية، ترجمة أمال مريود، دار قابس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- إبراهيم بَحَّاز بكير، عبد الرحمان بن رستم، (160/171هـ/777/888م)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1999.
- ابن الجوزي، تلبيس إبليس، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008.
- إبراهيم مياسي، لمحات من جهاد الشعب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

## قائمة المصادر والمراجع

- أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، د ت .
- أحمد المختار العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الإسكندرية، الإسكندرية، 2008.
- التليلي العجيلي، الطّرق الصّوفية والإستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية، مجلد2، جامعة تونس، منشورات كلية الآداب بمنوبة، 1992.
- آيوش بلاسين، ابن عربي حياته ومذهبه، ترجمة عبد الرّحمان بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، د ت.
- أحمد شلبي، موسوعة التّاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج6، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1986.
- السيّد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، 2008 .
- الطّاهر بونابي، التّصوّف في الجزائر خلال القرنين 6هـ/7هـ 12م/13م دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة.
- أيمن فؤاد السيّد، الدّولة الفاطمية في مصر، ط1، الدّار المصرية اللبنانية، القاهرة.
- إميل ناصيف، أروع ما قيل في الزّهد والتّصوّف، دار الجيل، بيروت، 1992.
- ألفريد بيل، الفرق الإسلامية في الشّمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ت عبد الرحمان بدوي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987
- إبراهيم مذكور، معجم العلوم الإجماعية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1975.
- الشّريف كمال دحومان، إشراف الجزائر، دار الخلدونية، الجزائر، 2009.
- أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، ضبط وتصحيح عاصم ابراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ابن ماجة)، سنن ابن ماجة، تحقيق بشار عواد معروف، مج1، دار الجيل، 1998.
- أحمد فكري، آثار تونس الإسلامية ومصادر الفن الإسلامي بإفريقية وتونس وليبيا، تقديم عمر سعيدان، مؤسّسة سعيدان للطّباعة والنّشر، سوسة، تونس
- أبي أنس ماجد البنكاني، رحلة العلماء في طلب العلم، نسخة إلكترونية.
- أحمد محمد عبد العظيم، دور نظام الوقف الإسلامي في التّمنية الإقتصادية المعاصرة، القاهرة، دار السلام، 2007.
- الثّوني يوسف، معجم المصطلحات الجغرافية، دار الفكر العربي، 1977.

## قائمة المصادر والمراجع

- بن عودة المزاري، طلع سعد السّعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق يحيى بوعزيز، ج01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990.
- بن قرية يوسف الصّالح، سامية بوعمران، خالف محمد نجيب، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007.
- بسّام العسيلي، خير الدّين بربروس والجهاد في البحر، 1470-1547، دار النقاش.
- بشير رمضان التليسي، الإتجاهات التّقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي، المدار الإسلامي، بيروت، 2002.
- بديع ديب، فؤاد الكروي، أساسيات في كيمياء الأراضي وخصوبيّتها، مطبعة خالد ابن الوليد، سوريا، 1977.
- تقي الدّين أبي العبّاس أحمد بن علي المقرئ، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، ج02، دار صادر، بيروت، القاهرة .
- توفيق أحمد عبد الجواد، مواد البناء وطرق إنشاء المباني، ط01، المطبعة الفنّية الحديثة، القاهرة، 1967
- جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشّمالية، الدّار التّونسية للنّشر، تونس.
- جمال الدّين ابن الفرج ابن الجوزي، آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، تحقيق سليمان الحرش، ط03، دار النوادر، 2008.
- جمال الدّين ابن منظور، لسان العرب، ج10، طبعة صادر، ، بيروت، 1986.
- حسن حمّودة، فن الرّخرفة، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، 1972.
- حامد محمد الخليفة، انتصارات يوسف بن تاشفين، بطل معركة الزّلاقة وقائد المرابطين موحد المغرب ومنقذ الأندلس من الصّليبيين، ط1، مكتبة الصّحابة، الإمارات، الشارقة، 2004.
- حسين مؤنس، المساجد، سلسلة كتب ثقافية شهرية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981
- حمود شيث خطّاب، قادة فتح بلاد المغرب، الطبعة السابعة، دار الفكر، بيروت، 1984 .
- حسن العكريمي، حقيقة التّصوف والطّريقة في الإسلام، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
- حساني مختار، تاريخ الدّولة الزيانية وأحوالها الإقتصادية والثّقافية، الجزائر، ط1، دار الحضارة.
- مختار حساني، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، ج02، د ط، دار الهدى، الجزائر، 2011.

## قائمة المصادر والمراجع

- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج4، دار الجيل، بيروت
- خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، دراسة تاريخية وحضارية، 633هـ/681هـ الموافق ل 1235م/1282م، ط1، دار الألفية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، سنة 2011.
- ديلاسي أوليري، الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ترجمة إسماعيل البيطار، دار الكتاب، بيروت، لبنان.
- رجب عزت، تاريخ الأثاث منذ أقدم العصور، القاهرة، 1978.
- رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، 1999.
- رشيد بورويبة، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، ج1، المكتبة العصرية للطباعة، بيروت، 1938.
- طه ولي الدين، المساجد في الإسلام، ط01، دار العلم للملايين، 1988
- طه عبد الباقي سرور، محي الدين بن عربي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014.
- كورين شوفالبييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر ( 1510. 1541)، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية.
- كمال الدين محمد بن محمد شريف العامري، الورد الأنسي والوارد القدسي في ترجمة العارف عبد الغني النابلسي، ناشرون، بيروت، لبنان.
- كمال غربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة، ذاكرة الناس، 2012.
- كلود عبيد، الألوان، مراجعة محمد حمود، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- لطيفة الأخضر، الإسلام الطريقي، دار سراس للنشر، 1993.
- محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، 1989
- مريوش أحمد، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر 2007.
- محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي السلماني المعروف بلسان الدين ابن الخطيب، روضة التعريف بالحب الشريف، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان
- موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- محمد محمد زيتون، المسلمون في المغرب والأندلس، المكتبة الإسكندرية، مصر، 1990.
- محمد كمال شبانة، الدويلات الإسلامية، ط01، دار العالم العربي، القاهرة، 2008.
- محمد سهيل طقوش، التاريخ الإسلامي الوجيز، ط 4، دار النقاش، 2008.

## قائمة المصادر والمراجع

- محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، ط6، دار الشروق، بيروت، لبنان 1983.
- مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دت.
- محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية في مصر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.
- محمود السيد، تاريخ دولة المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2007.
- محمد المطوي العروسي، السلطنة الحفصية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
- مازن الشريف، ومجموعة من الباحثين، التصوف في المغرب العربي وإفريقيا، ج01، الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، المنستير، تونس، 2017.
- محمد بن عبد الكريم، التصوف في ميزان الإسلام، مطبعة النهضة، وهران، 1997.
- محمد العبدو، طارق عبد الحليم، الصوفية نشأتها وتطورها، دار الأرقم، الكويت، دت.
- منال عبد المنعم جاد الله، التصوف في مصر والمغرب، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1997.
- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1963.
- سعاد ماهر، الفنون الإسلامية، ط2، دار هلا للطبع والنشر.
- محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة حتى القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية، القاهرة، 1993.
- محمد مصطفى حلمي، الحياة الروحية في الإسلام، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984.
- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المنفردات والوجدان، تحقيق عبد الغفار سليمان البندارري والسعيد بن بسيون زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- مختار الطاهر فيلالي، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن الجرافيك للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، 1976.
- محمد بن مبارك الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج3، مطابع بدران وشركاؤه، بيروت، لبنان، 1964.
- محمد رضوان الداية، ابن طفيل الأندلسي، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، سلسلة أعلام، ع17، 2013.
- محمود قاسم، الفيلسوف المفترى عليه ابن رشد، سلسلة الدراسات الفلسفية والأخلاقية، المكتبة الإنجلو مصرية، القاهرة.

## قائمة المصادر والمراجع

- محمد بن بركة، التصوف الإسلامي من الرّمز إلى العرفان، ط01، دار المتون للنشر والترجمة والطباعة والتوزيع، 2006.
- محمد الصّالح آيت علجت، صحف التصوف الجزائري من 1920 إلى 1955، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001.
- محمد اعبيدو، الشّيخ المولى عبد السّلام بن مشيش قطب المغرب الأقصى، ط3، مطبعة دار أبي رقرق للطباعة والنشر، 2013.
- محمد العربي حرز الله، أولاد جلال أصالة، حضارة وتاريخ، الجزائر، 2012.
- محمد البشير بن عبد الله الفاسي الفهري، قبيلة بني زروال، منشورات جمعية علوم الإنسان، المغرب الأقصى.
- محمد بن يوسف الزّيات، دليل الحيران وأنيس السّهان في أخبار مدينة وهران، الشركة الوطنية للنشر والتّوزيع، الجزائر، 1979.
- محمد العدلوني الإدريسي، نصوص من التّراث الصّوفي الغرب إسلامي، ط01، دار الثقافة، 2008.
- محي الدين طالو، الرّسم واللّون، مكتبة الأطلس، دمشق، 1961.
- مولاي التّهامي غيناوي، الدرر النّفيسة في ذكر جملة من حياة الشّيخ سيدي أحمد بن موسى، المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، الجزائر، 2004.
- معمر علي يحيى، الإباضية في موكب التّاريخ، نشأة المذهب الإباضي، ط1، مطابع دار الكتاب العربي، مكتبة وهبة، القاهرة، 1964.
- محمد بن رمضان شاوش، باقة السّوسان في التّعريف بحاضرة تلمسان دولة بني زيان، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
- محمد عز الدّين حلمي، علم المعادن، المكتبة الانجلومصرية، 1984.
- محمد بن أحمد بن صالح الصّالح، الوقف في الشّريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع، ط01، مكتبة الملك فهد الوطنية، 2001.
- محمد بن ميمون الجزائري، التّحفة المرضية في الدّولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، الشركة الوطنية للنشر والتّوزيع، 1972.
- محمد أحمد زهران، فنون أشكال المعادن والتّحف، المكتبة الإنجلو مصرية، القاهرة، 1965.
- مرزوق محمد عبد العزيز، الفن الإسلامي وتاريخه وحضارته، مطبعة أسعد، بغداد، 1965.
- محمد أبو زهرة، محاضرات في الوقف، دار الفكر العربي، 1986.
- محمد العبدريالبلنسي، الرّحلة المغربية، ت أحمد بن جدو، مطبعة البعث، الجزائر.

- محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيّان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيّان، ت محمود بوعيادة، 2007.
- محمد ضريف، مؤسّسة الزّوايا بالمغرب، ط1، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، 1992.
- محمد حجّي، الزّاوية الدّلائية ودورها الدّيني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية، الرباط، المغرب، 1966.
- محمد بدّاد، إسهامات الفكر الصّوفي الجزائري في إثراء الثقافة العربية الإسلامية، ملتقى أمجاد الفكر الصوفي الجزائري، دار الثقافة، عين تموشنت، 2011.
- مقدم مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، ط1، 2002.
- محمد نوّار سامي، الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية من بطون المعاجم اللّغوية، دار الوفاء للطباعة والنّشر، الإسكندرية، د ت.
- محمد صادق عتقا شاه أوييسي، من الفكر الصّوفي الإيراني المعاصر، ترجمة السّباعي - محمد السّباعي وإبراهيم الدّسوقي شتا، القاهرة، 1991.
- نذير الزّيّات، فن النّحت، ط2، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، 2000.
- ناجي جلول، الرّباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، السّلسلة التاريخية، ع 09، تونس، 1999.
- نهلة شهاب محمد، تاريخ المغرب العربي، دار الفكر العربي، عمان، 2009.
- نور الدّين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، نشر كليّة الآداب الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965.
- نور الدّين الزّاهي، الزّاوية والحزب الإسلام والسياسة في المجتمع المغربي، ط3، إفريقي الشرق، المغرب، 2011.
- ناجي معروف، نشأة المدارس المستقلة في الإسلام، مطبعة الأزهر، بغداد، 1966.
- نوبي محمد حسن، الوقف والعمران الإسلامي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، 2010.
- نللي سلامة العامري، الولاية والمجتمع، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2001.
- نجيب محمد مصطفى، العمارة في عصر المماليك، القاهرة تاريخها فنونها وآثارها، مطابع الأهرام التجارية، 1970.
- صلاح أحمد البهنسي، عمارة المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، راجعه أحمد عبد الرّزاق أحمد، كلية الآداب، جامعة عين شمس.
- صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التّاريخ إلى غاية الإستقلال، دار العلوم، الجزائر، د ت.

## قائمة المصادر والمراجع

- صديق بن حسن القنوجي، أجد العلوم، الوشم المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978.
- أيمن حمدي، قاموس المصطلحات الصوفية، دار أنباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.
- صلاح مؤيد العقبى، الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، تاريخها ونشاطها، دار البُرّاق، لبنان، 2002.
- عبد العزيز غوردو، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ط2، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 2011.
- عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط1، مطبعة مدبولي، مصر، 2000.
- عبد الله علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة، 1971
- عبد القادر بوباية، امحمد بو شريط، مصطفى باديس أوكيل، مصادر ومراجع تاريخ المغرب الأوسط الجزائر، crasck، .
- علي بن خروف، زاوية قرومة وأعلامها، محاضرات الملتقى الأول لأعلام البويرة، مديرية الشؤون الدينية، 27/26 أبريل، 2005م.
- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج01، منشورات دار مكتبة الحياة، الجزائر، 1965.
- عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، شركة دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع، 2013، الجزائر.
- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، ط1، دار الغرب، بيروت، 1997.
- عبد الناصر ياسين، الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية، زهراء الشرق، القاهرة، 2006
- عزوق عبد الكريم، تطوّر المآذن في الجزائر، مكتبة زهراء الشرق، مصر، 2006.
- عبد الله ستيتيتو، الزاوية والمجتمع القبلي والمخزن، الزاوية الدرقاوية نموذجاً، الخزانة الرقمية، موقع مؤسّسة مولاي عبد الله الشريف
- عزوق عبد الكريم، الآثار الإسلامية ببجاية، ط1، مؤسّسة الضحى، الجزائر، 2013
- عبد السلام غرميني، المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري، ط1، دار الرّشاد الحديثة، 2000.
- عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1989.
- عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسّسة الرسالة، بيروت.
- عبد القادر سعود، سليمان القرشي، ديوان أبي مدين شعيب الغوث، ط1، ناشرون، لبنان، 2011.

## قائمة المصادر والمراجع

- عمر النجار عبد المجيد، فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992.
- عبد المجيد الصغير، تجليات الفكر المغربي (تاريخ الفلسفة والتصوف بالمغرب)، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، 2000.
- عبد القادر عيسى، حقائق عن التصوف، من موقع الطريقة الشاذلية الدرقاوية.
- عبد العزيز شهبي، الزوايا الصوفية والعزابة والإحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب، الجزائر، 2007.
- عبد الرزاق القاشاني، إصطلاحات الصوفية، تحقيق عبد العالي شاهين، ط1، دار المنار، القاهرة، 1992.
- عبد القادر الشطي، حقيقة السلفية الوفية لمذهب أهل الحق الصوفية، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2002.
- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، دار الثقافة، بيروت، 1980.
- علي حرازم بن غربي، جواهر المعاني وبلوغ الاماني في فيض ابو العباس التيجاني، ج1، شركة إلياس الحلبي وأولاده، مصر، 1963.
- عبد الرحمان الأنصاري، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، علق عليه أبو الفضل التتوخي، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور وآخرون، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1972.
- عبد الرزاق قسوم، عبد الرحمان الثعالبي والتصوف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1987.
- علي القاضي، مفهوم الفن بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى، ط1، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، 2002.
- عبد الله علام، الدولة الموحدية بالمغرب عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، مصر، 1971.
- عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2005.
- عبد العزيز بن عبد الله، معلمة التصوف الإسلامي، ج1، ط1، دار نشر المعرفة، 2001.
- عبد الحميد حاجيات، دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي، ط2، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
- عياض عبد الرحمان أمين الدوري، دلالات اللون في الفن العربي الإسلامي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2002.
- غالب عبد الرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، ط1، بيروت، لبنان، 1988.

- فراس السواح، دين الإنسان، ماهية الدين ومنتشأ الدافع الديني، ط1، دار علاء الدين، سوريا، 2002.
- فاني كولونا، آيات الصمود الثابت والمتغيرات الدينية في الجزائر المعاصرة، ترجمة لطيف فرج، دار العالم الثالث، مصر، 2003.
- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، 2002.
- سميح عاطف الزين، الصوفية في نظر الإسلامي، ط4، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1993.
- سراج الدين أبو حفص عمر بن علي (ابن الملقن)، طبقات الأولياء، التحقيق نور الدين شريفة، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994.
- شمس الدين أبي المعالي محمد بن عبد الرحمن ابن غزي، ديوان الإسلام، تحقيق سيد كسروي حسن، ج01، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شريف علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405.
- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد "الذهبي"، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، 2006.
- شعبان عبد العاطي عطية وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط04، مكتبة الشروق الدولية، مصر 2004.
- وانر هرت، أشكال التجارة العامة، ترجمة عبد المنعم عاكف، دار الأهرام للتأليف، القاهرة، 1970.
- يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر، ج01، ط01، دار الغرب الإسلامي، 1995، الجزائر، ص 10
- يوسف بن إسماعيل النبهاني، جامع كرامات الأولياء، اعتنى به: سمير مصطفى رباب، ج01، المكتبة العصرية، بيروت، 2005.
- يحيى بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2009.
- يوسف بن أحمد حوالة، الحياة العلمية في إفريقية 450/90هـ، ج01، ط01، جامعة أم القرى، السعودية 2000.
- الرسائل الجامعية:**
- أحمد عبيدلي، الخطاب الشعري الصوفي المغربي في القرنين السادس والسابع الهجري، مذكرة ماجيستر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2005/2004.
- إسماعيل حنفوق، دور الطرق في منطقة الأوراس 1844/1931، رسالة ماجيستر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010/2011.
- أم الخير شتاتحة، رمزية الممارسات الدينية ودلالاتها في المجال العمراني للأضرحة الجزائرية، رسالة دكتوراه، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر 02، 2016/2017.

- بن سويسي محمد، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات، تمنظيط نموذجاً، من القرن 6هـ إلى 13هـ/ 12م - 19م، مذكرة ماجيستر، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007م/2008.
- بوغديري كمال، الطّرق الصّوفية في الجزائر الطّريقة التّيجانية نموذجاً، رسالة دكتوراه، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف، 2014/2015.
- بن عمر بوخضرة، الولي في المخيال الشعبي، الطّريقة القادرية في الغرب الجزائري نموذجاً، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأنتروبولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011/2012.
- بن يوسف تلمساني، الطّريقة التّيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (1782م-1900م)، رسالة ماجيستر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1997/1998.
- بوخضار فايزة، مدارس المغرب الأوسط الزيبانية والمرينية، رسالة ماجيستر، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02.
- بن سويسي محمد، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات تمنظيط نموذجاً، رسالة ماجيستر، معهد الآثار، الجزائر، 2007/2008.
- جلول صلاح، تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي والاجتماعي، مذكرة ماجيستر، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014/2015.
- زينب ملياني، التّصوف بالغرب الإسلامي في عصر المرابطين والموحدين، رسالة ماجيستر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006/2007.
- طيّب جاب الله، الدّور الاجتماعي والتّربوي لزاوية الهامل في المجتمع الريفي، رسالة ماجيستر، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2006/2007.
- محمد علي، الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي خلال القرنين الأوّل والثالث الهجريين/ السّابع والتّاسع الميلاديين، رسالة ماجيستر، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، 2015/2016.
- مراد حديبي، الزّوايا التّيجانية بالجنوب الجزائري، دراسة تاريخية أثرية، مذكرة ماجيستر، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2011/2012.
- محمد الرّؤوف القاسمي الحسني، مؤسسة زاوية الهامل العلمية، رسالة دكتوراه كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2006/2007.
- مليكة بناجي، مساجد زاوية كنتة وقصر تاخيفت بولاية أدرار، رسالة ماجيستر، معهد الآثار، 2009/2010.
- عمارة سيدي محمد، هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن (7هـ/13م) ودورهم الثقافي، رسالة ماجيستر، جامعة وهران، 2012/2013.

- علي عشي، المغرب الأوسط في عهد الموحدين، دراسة تحليلية لأوضاع الثقافة الفكرية 534-633هـ/ 1235/1139م، رسالة ماجستير، باتنة، 2012/2011.
- عبد الله بابا حد، تمثل الأولياء الصالحين لدى مريدي الزوايا، دراسة ميدانية لمريدي الزاوية القادرية بورقلة، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، 2014/2013
- عبد المنعم القاسمي الحسني، الطريقة الخلوتية الرحمانية الأصول والآثار منذ ظهورها إلى غاية الحرب العالمية الأولى، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2009/2008.
- عبد الله رزوقي، الطرق الصوفية ومنطلقاتها الفكرية والأدبية بمنطقة توات - دراسة تاريخية وأدبية، رسالة دكتوراه، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح، 2017/2016.
- عبد المنعم قاسمي الحسني، الطريقة الخلوتية الرحمانية: الأصول والآثار منذ ظهورها إلى غاية الحرب العالمية الأولى، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2009/2008.
- عربي محمد حسين، الحياة الفكرية في العصر الأيوبي في مصر واليمن وأثرها على المظاهر الفنية، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1991.
- فاطمة قارة، موقف الطرق الصوفية التونسية من الحماية الفرنسية (1881/1939) الطريقة القادرية والتيجانية، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2012/2011.
- فراح زينب، الزيارة النسوية للأضرحة، مقاربة أونترولوجية بضريح سيدي قادة بن المختار بولاية معسكر، جامعة وهران، 2011/2010.
- سعيد بوزرينة، الزوايا في الجزائر خلال العهد العثماني -دراسة أثرية معمارية فنية، رسالة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2016/2015.
- سايح الدين، حركة التعليم بالمغرب الأوسط خلال القرن الثالث الهجري/التاسع ميلادي، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجبلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2010/2019.
- سالمى زينب، الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 10/08 هجري، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، 2012/2011.
- يحيى عبد الحليم، مشروع اعمال الترميم - قصر أربوات الفوقاني، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، 2016/2015.

المقالات:

- إبراهيم مياسي، مساهمة القادرية في تأطير الثورات الشعبية، دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع4، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2004/2003.
- المهدي البوعبدلي، نبذة تاريخية عن تيزي وزو، الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي، تيزي وزو 10-22 جمادى الثانية 1393 هجرية - 10-22 يوليو 1973م، الجزائر: منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية.
- السبتي عبد الأحد، التاريخ واللغات، النص ومستويات التأويل، أعمال المائدة المستديرة، مراكش، المغرب، (26/25)، 1990.
- العربي لقريز، البناء بمادة الطين في العمارة التقليدية بمنطقة بوسعادة (الخصائص والتقنيات)، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، ع 17، جامعة الجلفة.
- بكرابي محمد عبد الحق، دور الزوايا البكرية في المحافظة على الهوية الوطنية الجزائرية، مجلة الحقيقة، ع25، جامعة أدرار، الجزائر.
- بلشير عمر، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من القرن 6 الى 9هـ/ 12-15م من خلال كتاب المعيار للونشريسي، اطروحة دكتوراه، قسم التاريخ والآثار، جامعة وهران، الجزائر.
- بن بشير سيد أحمد، يوسي الهواري، جهود علماء المغرب الأوسط في خدمة الفقه المالكي في القرن التاسع الهجري، ع29، مجلة الحضارة الإسلامية، جوان 2016.
- حملاوي علي، الزخرفة الجصية بين التطور والانحطاط في المباني الإسلامية بالجزائر، مجلة الدراسات الأثرية، ع1، معهد الآثار، الجزائر، 1992.
- كمال بوغديري، الرمز عند الصوفية بين المعاشة والممارسة، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، ع11، سبتمبر 2014.
- محمد حوتية، أوقاف إقليم توات، نموذج أوقاف قصر كوسان، الوقف في الجزائر، أعمال ندوة الجزائر العلمية، (7/6 ربيع الأول 1422/30/29/2001).
- محمد نجيب خالف، الأريطة، مجلة آثار، مجلة معهد الآثار، ع06، جامعة الجزائر، 2007.
- مكي عبد الكريم، التصوف في نظر الثعالبي، مجلة الفكر المتوسطي، عدد خاص، ع 07، سبتمبر 2013.

- ناصر الدين سعيدوني، مؤسسة الزوايا في الجزائر العثمانية، نموذج بلاد القبائل، مجلة : international congres on Learning and éducation the ottoman, world Istanbul, 12-15 April 1999
- صالح ذياب هندي، الرحلة في طلب العلم في الإسلام وتطبيقاتها التربوية المعاصرة، مجلة دراسات العلوم التربوية، المجلد 38، ع01، الجامعة الهاشمية بالأردن، 2011.
- علي زيتوني مسعود، دور الطريقة التيجانية في الوسطية ونشر الإسلام وتحقيق الأمن، الملتقى الدولي: الوسطية في الغرب الاسلامي وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا، ربيع الأول 1439هـ/ ديسمبر 2017م، معهد العلوم الاسلامية، جامعة الوادي.
- عبد القادر بوعقادة، هل المغرب الأوسط خرافة، مجلة عصور جديدة، ع 21، ماي 2016.
- عبد الله عماري، واقع تعليم العربية في الزوايا القرآنية بمنطقة توات الجزائرية، مجلة آفاق علمية، مج 11، ع 03، 2019
- عبد الحميد حاجبيات، سيدي محمد الهواري شخصيته وتصوفه، مجلة الثقافة، عدد8، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، اغسطس، 1985.
- قاسم الحادك، الزوايا والطرق الصوفية في المغرب من خدمة المخزن وتكريس شرعيته الى مسالمة المستعمر ومهادنته، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، ع1، جامعة الوادي.
- سليم درنوني، من سيدي عبد السلام المشيشي إلى سيدي خالد العبسي، قراءة أنثربولوجية لموسمي الزيارة والحج إلى الأضرحة في الأوراس والزيبان، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 35، سبتمبر 2018
- وفاء بن عالية، دور زوايا توات في الحفاظ على الشخصية الوطنية والطرق الصوفية، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، مج05، ع 09، المدرسة العليا للاساتذة ببوزريعة، الجزائر،.
- يحيى بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19/20، مجلة الثقافة، السنة 11، ع36، وزارة الإعلام والاتصال، الجزائر، ، ماي 1981،

المراجع الأجنبية

Corneille Trumelet, L'Algérie légendaire :en pèlerinage çà et là aux tombeaux des principaux thaumaturges de l'islam, Tell et Sahara, édition Adolphe Jourdan Paris, 1892 , p 458

- Kamal Nait-zerrad, Dictionnaire des Racines berbères, éditions Peeters, paris, 2002
- ANURB, Aménagement et Règlement (Daira de Oulhassa) , PH3, Ain Temouhvent, 2010.
- Dupont et Coppolani, confréries religieuses musulmanes, Alger,A, Jourdan, 1897.
- Adam (j.p), La constriction romaine, matériaux et techniques de constriction, franc, 3<sup>e</sup> édition, picard, 1999

# الفهرس العام

# الفهرس العام

الصفحة	الموضوع
	اهداء
	شكر و عرفان
أ	مقدمة
	<b>مدخل تمهيدي</b>
15	جغرافية المغرب الأوسط
16	الحدود الجغرافية
24	لمحة تاريخية حول المغرب الأوسط
	<b>الفصل الأول: نشأة التصوف والطرق الصوفية</b>
55	مفهوم التصوف
61	نشأة التصوف
77	الحياة الروحية في التصوف
77	المعتقد
78	الرمز
78	الولاية
81	المريد
81	الكرامة
83	المقام
84	الهيكل التنظيمي للطرق الصوفية
84	الشيخ
84	الوكيل
85	المقدم

85	المريد
86	الطرق الصوفية في المغرب الأوسط
87	مفهوم الطريقة
90	أشهر الطرق الصوفية في المغرب الأوسط
91	الطريقة القادرية
92	الطريقة الرحمانية
92	الطريقة الشاذلية
93	الطريقة التيجانية
94	الطريقة السنوسية
94	الطريقة الدرقاوية
<b>الفصل الثاني: التعليم في المغرب الأوسط</b>	
99	التعليم في المغرب الأوسط خلال فترة الدراسة
100	أهم الوسائط التعليمية بالمغرب الأوسط
101	الكتاب
104	المدرسة
105	الزاوية
108	دور الرحلة في نشر العلوم
111	دور الوقف في دعم الحركة العلمية والتصوف
114	الحواضر العلمية بالمغرب الأوسط
114	بجاية
117	تلمسان
120	إقليم توات
126	أهم العلوم المتداولة

## الفصل الثالث: الحياة الصوفية ببلاد المغرب الأوسط

129	تطور المؤسسات الصوفية ببلاد المغرب الأوسط
130	الخلوة
136	الرباط
140	نشأة الزوايا وانتشارها بالمغرب
141	مفهوم الزاوية
142	لمحة تاريخية حول انتشار الزوايا بالمغرب
147	أنواع الزوايا
149	مكوناتها المعمارية
151	أشهر الزوايا بالمغرب الأوسط

## الفصل الرابع: دراسة نماذج من الزوايا

160	لمحة تاريخية عن نماذج الدراسة
160	زاوية قرومة
166	زاوية سيدي يعقوب
169	زاوية المغيلي
174	زاوية عين أقال
176	الزاوية المختارية
179	زاوية الهامل
183	التخطيط العام للزوايا بالمغرب الأوسط
187	الوصف المعماري للزوايا المدروسة
240	العناصر المعمارية بالزوايا المدروسة

## الفصل الخامس: مواد وتقنيات البناء والزخرفة

277	مواد وتقنيات البناء والزخرفة
-----	------------------------------

---

278	مواد البناء والزخرفة
289	تقنيات البناء
293	تقنيات ومواضيع الزخرفة
297	المواضيع الزخرفية
314	<b>الخاتمة</b>
318	قائمة المصادر والمراجع
337	الفهرس

---